

مجلة
٦ ٦

المكتبة الإلكترونية

فضائل

قطيب

للخشي القروي

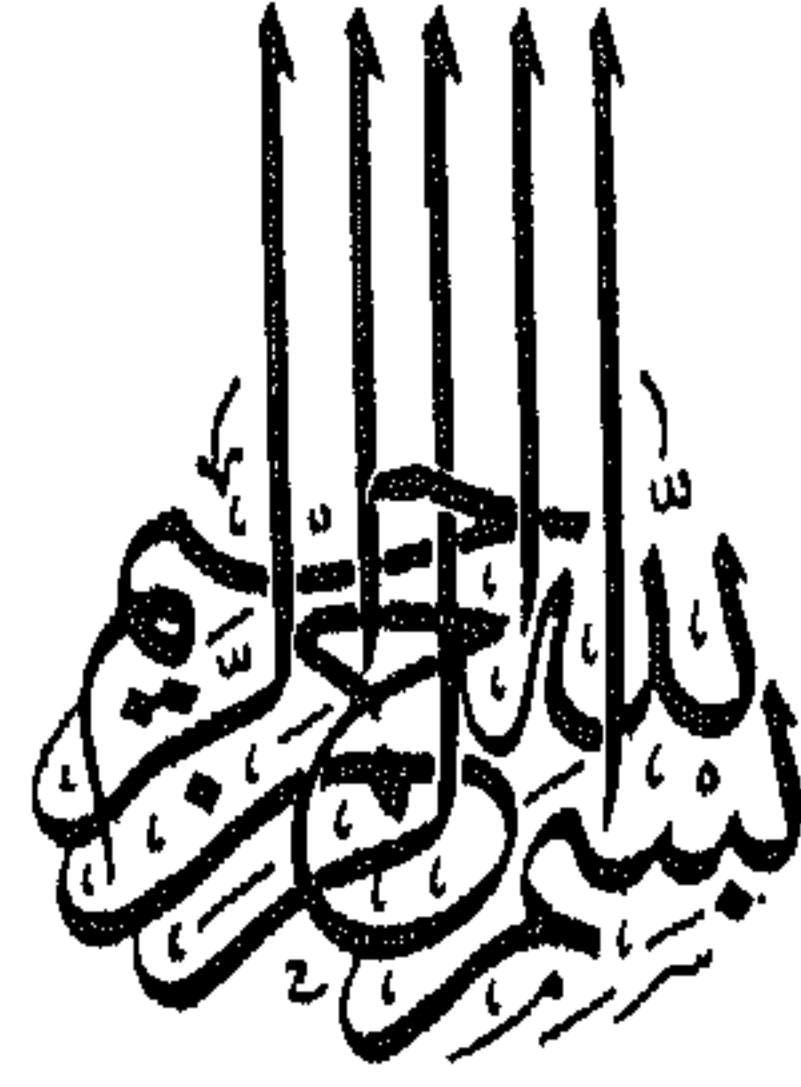
٢٩٧١ - ٥٦٦١

تحقيق : إبراهيم الأبياري

دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني

بيروت

المنامة



دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري = مقابل فندق بريستول
ت: ٨٦٠٧٩٢ / ٨٦١٥٦٣
ص. ب: ١١/٨٢٣
TELEX: DKL 23715 LE
ATT: MAY. H. EL-ZEIN
بيروت = لبنان

جميع
حقوق
الطبع
والنشر
محفوظة
للمنشرين

دار الكتاب المصري

٢٢ شارع قصر النيل = القاهرة ج. م. ع.
ت: ٢٩٢٢١٦٨ / ٢٩٢٤٣٠١
ص. ب: ١٥٦ = الرمز البريدي ١١٥١١ برتياً كنا مصر
TELEX No. 23081-23381-22181
ATT MR. HASSAN EL-ZEIN
فاكسيلي: ٢٩٢٤٦٥٧
FAX: 3924657

الطبعة الثانية: ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

وينتظم هذا التقديم :

- ١ - المراجع .
- ٢ - التعريف بالمؤلف .
- ٣ - التعريف بالكتاب .

(١)

المراجع

- ١ - الأعلام للزركلي (٦ : ٣٠٣) .
- ٢ - الأنساب للسمعاني (ص : ٢٠٠ وجه) .
- ٣ - بغية الملتبس للضبي (ت : ٩٦) .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣ : ٨٨-٨٩) .
- ٥ - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢ : ١١٤-١١٥) .
- ٦ - التبيان (مخطوط) لابن ناصر الدين (وفيات سنة : ٣٧١ هـ) .
- ٧ - تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٢٠٩) .
- ٨ - جذوة المقتبس للحميدي (ت : ٤١) .
- ٩ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص : ٤٥٥) .
- ١٠ - الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٩ - ٢٦٠) .

- ١١ — كشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ٢٩) .
- ١٢ — معالم الإيمان لابن التاجي (٣ : ١٠٠) .
- ١٣ — معجم الأدباء (الإرشاد) لياقوت (١٨ : ١١١) .
- ١٤ — معجم البلدان لياقوت (٢ : ٤٤٨) .
- ١٥ — نفع الطيب للمقري (٤ : ١٦٦ — ١٦٧) .
- ١٦ — هدية العارفين لإسماعيل البغدادي (ص : ٣٨) .

(٢)

التعريف بالمؤلف

الخشني ، هو أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ، كما ذكره ابن الفرضي وابن فرحون ، وعنهما فيما يبدي نقل الزركلي ، وأما السمعاني وياقوت والضيبي والحميدي وغيرهم ممن ذكرنا ، فقد عدلوا واختصروا فقالوا في اسمه : محمد بن حارث الخشني ، وقريب من هذا من إضافة جديدة ماجاء في عنوان الكتاب ، ففيه : أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني القروي .

وليس ثمة بين هذه المراجع من رفع نسبه إلى غير (أسد) ، فلا ندرى من أسد هذا ؟ غير أن الحديث عن لقبه الخشني ربما كشف عن هذا شيئاً .

فهذا اللقب الخشني ، الذي هو بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وفي آخره النون ، ينتهي كما يقول السمعاني إلى قبيلة وقرية . أما القبيلة فهي خشين ، وهي بطن من قضاة ، وخشين هذا الذي به عرفت القبيلة هو : خشين بن النهر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة .

وأما القرية المعروفة باسم : خشين ، فهي موضع بإفريقية .

نقل هذا السمعاني عن ابن مأكولا في كتابه الإكمال .

كذا يقول السمعاني ، ولم يذكر ياقوت في كتابه معجم البلدان بلدا آخر بهذا الاسم في إفريقية ، وإنما ذكر أرضا بهذا الاسم في الشرق نقلا

عن ابن إسحاق ، فقال ، وهو يتحدث - أعني ابن إسحاق - عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم : وغزوة زيد بن حارثة من أرض خشين .

ثم زاد ياقوت نقلا عن ابن هشام : قال ابن هشام : من أرض حسمى .

وقال ياقوت عند كلامه على حسمى : حسمى لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانبي تيه بني إسرائيل .

وذكر السمعاني أن من بين من ينتسبون إلى خشين بن النمر : أبو ثعلبة الخشني وآخرون ، واستطرد فذكر مع هؤلاء الآخرين محمد بن حارث الخشني .

ولم يفصح السمعاني ، وهو منسوب إلى القبيلة أو إلى القرية ، ولكن الذي يبدو من السياق أنه منسوب إلى القبيلة .

ويكاد يرجح هذه ما ذكره ابن حزم في الجهرة إذ يقول ، وهو يتكلم على خشين بن النمر : منهم أبو ثعلبة الخشني ، واسمه الأشرس بن جرم ، له صحبة ، شهد بيعة الرضوان وخيبر .

ثم يقول - أعني ابن حزم - : ودار خشين بالأندلس جيان وأعمال البيرة ، ومنهم بليلة عدد .

غير أن قول ابن الفرضي عن الخشني من أنه كان من أهل القيروان ، وأنه تفقه بها ، يكاد يردنا عن هذا الترجيح ، هذا إذا ضمنا إليه هذه النسبة التي انتسب بها الخشني فقيلا له : القروي ، والقروي ، نسبة إلى القيروان .

ثم إذا قرأنا ما لابن فرحون في هذه فإنه يكاد يزيدنا شكا ، يقول ابن فرحون : وتفقه بالقيروان على أحمد بن نصر ، وأحمد بن زياد ،

وأحمد بن يوسف ، وابن اللباد ، والمعمرى ، وسمع من غير واحد من شيوخ إفريقية ، وقدم الأندلس حدثا وسنه اثنتا عشرة سنة ، فسمع من ابن أيمن ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن حباذة ، ومحمد بن يحيى بن لبابة ، والحسن ابن سعد ، وغيرهم من القرطبيين ، واستوطن بعد هذا قرطبة .

ثم يقول بعد هذا : وقد دخل سبتة قبل العشرين وثلثمائة .

ولا ندرى كم كانت سنه عندها فنحن نجعل تاريخ ميلاده .

ثم يقول ابن فرحون : فخبسه أهلها عندهم ، وتفقه عليه قوم منهم .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : ثم دخل الأندلس وتردد في كور الشغور أخيرا بقرطبة .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : وولاه الحكم المواريث ببجاية - وهي مدينة إفريقية - وولى الشورى بقرطبة .

وهكذا نرى أن محمد بن الحارث كان مولده بإفريقية بالقيروان ، وإليها نسب ، فقبل له : القروى ، وأنه عاش سنه الأولى بها ، ثم اختلف إليها كما اختلف إلى غيرها من مدن إفريقية مرات .

ويغفل السمعاني هذا فلا يذكر شيئا عن نسبة محمد بن الحارث إلى القيروان ، ويحترزىء بقوله : أنداسى قرطبي ، ولا يقول : قروى .

ويزيد ابن فرحون فيحدثنا عن تلامذة الحشنى فيقول : حدثتني أبو بكر بن حوبيل ، وغيره .

ويكاد كلام ابن فرحون يكون فيه ما يغنى عن نشأة محمد بن الحارث وشيوخه ، ثم يزيدنا عن وصفه فيقول : وكان عالما بالآخبار وأسماء الرجال ، وكان حكيما يعمل الأدهان ويتصرف في الأعمال اللطيفة ، شاعرا بليغا إلا أنه يلحن .

كما يقول عنه : كان حافظاً للفقه متقدماً فيه ، نديهاً ذكياً ، فقيهاً فطناً ، متفنناً عالماً بالفتيا ، حسن القياس في المسائل .

ويقول نقلاً عن أحمد بن عبادة : رأينا ابن حارث في مجلس أحمد بن نصر - يعنى وقت طلبه بالقيروان سنة إحدى عشرة - : وهو شعله يتوقد في المناظرة .

إلى أن يقول : وآلت به الحال بعد موت الحكم وتقصير ابن أبي عامر بصنائع الحكم إلى الجلوس في حانوت لبيع الأدهان .

. . .

ولقد قلت قبل : إن تاريخ مولد محمد بن الحارث مجهول ، ولكننا إذا عدنا إلى ما نقلته عن ابن فرحون من أن محمد بن الحارث قدم الأندلس حدثاً وسنه اثنتا عشرة سنة ، ثم إلى ما نقلته عن ابن فرحون أيضاً وهو يحدثنا عن محمد بن الحارث في مجلس أحمد بن نصر ، ثم إلى ما يزيد ابن الفرضي بأن ذلك كان في القيروان ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة ، أى ثلاثمائة وإحدى عشرة .

إذا عدنا إلى هذا وذلك استطعنا أن نقول : إن مولد محمد بن الحارث كان في أواخر القرن الثالث الهجرى ، أى فيما بين سنتى ٢٢٩ و٣٠٠ ، وعندها كان محمد بن الحارث في التاسعة أو العاشرة من عمره ، وما نظن سن التلقى تكون دون هذه السن أو تلك .

هذا عن مولد محمد بن الحارث ، أما عن تاريخ وفاته فالمؤرخون فيه يختلفون ، فيذكر السمعاني أنه - أى محمد بن الحارث - كان حياً في حدود سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومثل هذا يقوله الحميدى والضبي ، وقولهما يكاد يكون واحداً ،

قالا : وقد أفصح أبو سعيد بن يونس باسمه - أى باسم الخشني - ونسبه في موضعين من تاريخه ، في باب السين وفي باب النون ، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه .

إلى أن يقولوا : كان حياً - أى الخشني - في حدود الثلاثين وثلاثمائة .

وهذا ما نقله ياقوت في كتاب معجم الأدباء ولم يزد .
وهذه الأقوال كلها لا تفيد شيئاً في تعيين سنة وفاته ، وإنما تذكر حياة امتدت بعد هذا لاشك .

ونرى إسماعيل البغدادي في كتابه هدية العارفين يذكر أن وفاة الخشني كانت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

ولا ندرى من أى مرجع استقى إسماعيل البغدادي هذا .
ونرى ابن الفرضي يبعد عن هذا بعداً كثيراً ، فيقول : توفي رحمه الله - يعني الخشني - بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ويزيد ابن الفرضي فيقول : ودفن بمقبرة مومرة .
وقريب من قول ابن الفرضي هذا ما يذكره ابن فرحون ، يقول :
وتوفي - يعني الخشني - بقرطبة في صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ثم يزيد ابن الفرضي ويقول : وقيل : سنة أربع وستين .
ويقول الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ : فإنه مات في صفر سنة ٣٦١ هـ
وهذا خطأ ، فإن المستنصر عاش بعد هذا الوقت سنة ٣٧١ هـ .

وما من شك في أن الذهبي اعتمد في هذه على ما جاء من كلام لابن

فرحون انفرده به ، وذلك حين يقول : وآلت به الحال - يعنى الخشنى -
بعد موت الحكيم ، وهى العبارة التى سقناها قبل كاملة .

ولقد كانت وفاة الحكيم المستنصر سنة ست وستين وثلثمائة (٣٦٦هـ) .
لهذا ظن الذهبي هذا الظن من أن فى المساق خطأ ، ورأى « الستين ،
محرقة عن « السبعين » ، ولا أدرى لم لم يقل غيرها .

ويبدو أن ناصر الدين فى كتابه التبيان حين ذكر اسم الخشنى فى
وفيات سنة ٣٧١هـ كان اعتماده على ما ذهب اليه الذهبي .

كما يبدو أن بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى كان معتمده هو
الآخر على مقاله الذهبي ، ولكنه فيما نقل كان غير جازم إذ يصدر قوله
عن تاريخ الوفاة بقوله : ويبدو ، كما فعل الذهبي .

غير أن بروكلمان إلى هذا يخالف من سبق فى اليوم فيقول : توفى -
يعنى الخشنى - بقرطبة ، وكانت وفاته يوم ٢ من صفر سنة ٣٧١هـ
(أغسطس سنة ٩٨١ م) .

. . .

هذا تفصيل ما قبل عن وفاة الخشنى ، ونكاد نفيد :

١ - أن الخشنى كان حيا إلى أيام الحكيم المستنصر .

٢ - ونحن نعلم أن الحكيم المستنصر ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة
خمسين وثلثمائة (٣٥٠هـ) وبقي فيها إلى أن توفى سنة ست وستين
وثلثمائة (٣٦٦هـ) .

٣ - وأن عبارة ابن فرحون تحتاج إلى وقفة ، فلقد قال عن وفاة
الخشنى ، كما عرفت قبل : إنها كانت سنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم قال :
وقيل : سنة أربع وستين وثلثمائة .

وما نظن ابن فرحون كان يجمل تاريخ وفاة الحكيم حين قال ذلك ،
وأنها كانت سنة ست وستين وثلثمائة .

٤ - إذن كيف وقع ابن فرحون في هذا الخلط ، وهو المعتمد الذي
اعتمد عليه الذهبي فيما أظن ، والذي تابعه عليه ابن ناصر الدين ،
ثم بروكلمان .

٥ - ثم ما هذا الاختلاف في اليوم الذي توفي فيه الخشني ، ولقد
حدده أقرب الناس إلى الخشني زمناً ، وهو ابن الفرضي ، وأغفله
ابن فرحون صاحب هذه العبارة الملبسة ، وجاء بروكلمان فيه بجديد ينقله
عن التبيان .

٦ - وإنا لهذا نكاد نقول بما قال به ابن الفرضي ، وهو أقرب الناس
زمناً إلى الخشني ، وهو قوله الذي سقته قبل : إن وفاة الخشني كانت سنة
إحدى وستين وثلثمائة ، وهو القول الذي أيده عليه ابن فرحون .

. . .

وبما سقنا عن مولد الخشني ووفاته نستطيع أن نقول : إنه - أي الخشني
- لم يعمر طويلاً ، وإنه عاش بعد الستين بقليل ، وإن عمره عندها كان
نحواً من أربعة وستين عاماً ، أو ثلاثة وستين عاماً .

. . .

وفي هذا العمر ، الذي ليس بالقصير ولا الطويل ، كانت للخشني فيه
مؤلفات ، أظنه بدأها مبكراً ، إذ كان نضجه العلمي مبكراً كما رأيت .
ولقد كانت صلته بالحكيم المستنصر الذي ألف له كتبه ، والحكيم
ولي عهد .

ونحن نعلم أن مولد الحكم كمان سنة اثنتين وثلثمائة ، وأن ولايته للعهد كانت حوالى سنة ست عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى ولى فيها أبوه عبد الرحمن الخلافة .

ولقد مر بنا أن دخول الخشنى الأندلس كمان وسنه اثنتا عشرة سنة ، وأن ذلك الدخول فيما نظن كمان بعد تركه القيروان بعام أو عامين ، أى بعد سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى أشرنا إليها قبل .

إذا علمنا هذا كله علمنا أن الخشنى بدأ تأليفه للحكم بعد قدومه الأندلس بنحو من ثلاثة أعوام تزيد قليلا ، وكان عمر الخشنى عندها فيما نظن نحو من ثمانية عشر عاما .

ولقد كان أكثر المترجمين للخشنى استيعابا لكتبه هو ابن فرحون . وهذه هى أسماء كتبه كما ذكرتها المصادر المختلفة التى سقناها قبل ، مرتبة على حروف الهجاء :

١ - الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك .

ذكره الحميدى فى البغية ، وابن فرحون فى الديباج ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل البغدادى فى كتابه هدية العارفين .

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين .

ذكره الضبى فى الجندوة ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل ببغدادى فى كتابه هدية العارفين .

وذكر السمعانى كتابا باسم : أخبار القضاة والمحدثين ، نخلط ، أولعل فى العبارة تحريفا صوابه : أخبار الفقهاء والمحدثين .

كما ذكره المقرئ فى النفتح باسم : أخبار الفقهاء ، وإم يزيد .

٣ - الاقتباس .

ذكره ابن فرحون .

٤ - تاريخ الإفريقيين .

كذا ذكره ابن فرحون .

وذكره بروكلمان باسم : علماء إفريقيا ، وقال : ومنه مخطوطة في مكتبة محمد بن أبي شنب ، وقد طبع أخيراً هذا الكتاب في القاهرة بهذا الاسم .

٥ - تاريخ قضاة الأندلس ، وهو هذا الكتاب الذي أخرجه ، وسيأتي الكلام عنه .

٦ - تاريخ علماء الأندلس .

ذكره ابن فرحون .

ولعله هو الذي أشار إليه ابن الفرضي ، وقال : وقد جمع له - يعني للحكم المستنصر - في رجال الأندلس كتاباً قد كتبنا منه في هذا الكتاب ما نسبناه إليه .

وثمة كتاب بهذا الاسم لابن الفرضي ، وسيخرج بين كتب المكتبة الأندلسية ، وترتيبه بعد هذا الكتاب : قضاة قرطبة .

٧ - التعريف .

ذكره ابن فرحون .

٨ - رأى مالك الذي خالفه فيه أصحابه .

ذكره ابن فرحون .

٩ - الرواة عن مالك .

ذكره ابن فرحون .

١٠ - طبقات فقهاء المالكية .

- ذكره ابن فرحون .
- ١١ - علماء إفريقيا .
- انظر تاريخ الإفريقيين .
- ١٢ - الفتيا .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٣ - المحاضر .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٤ - مناقب سجنون .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٥ - المولد والوفاة .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٦ - النسب .
- ذكره ابن فرحون .

هذا ما ذكرته المراجع التي ترجمت للخشني ، وثمة غير هذا لم تذكره المراجع ، وفي ذلك يقول ابن فرحون ، وهو أكثرهم إحصاء لكتب الخشني ، يقول بعد سرده لكتبه : وغير ذلك ، أي إنه ثمة كتب أخرى لم يشأ أن يذكر أسماءها .

ومن هذا السرد نرى أن كتب الخشني في الفقه والتاريخ وما يمت إلى التاريخ بسبب .

ولكن الخشني - كما ذكرنا قبل ، نقلا عن المراجع المختلفة - كان شاعرا ، فأين نتاجه في هذا ؟

عن هذه تصمت المراجع ولا نجد لها غير إشارة إلى ذلك .
فيقول ابن الفرضى : بلغنى أنه - أى الخشنى - ألف له - أى للحكم
المستنصر - مائة ديوان .

ويقول ابن فرحون : ألف له - أى للحكم المستنصر - مائة ديوان .
ولا أظن هذه الدواوين التى تتم المائة إلا دواوين شعر ، ولكن أين
هى هذه الدواوين ؟

هذا على أن الخشنى كان شاعراً بليغاً ، كما يقول ابن فرحون .
ولعل سبب ذهاب هذه الدواوين كان لقلة اكتراث الناس بها ، لما كان
فيها من لحن ، إذ يقول ابن فرحون ، بعد ما وصف الخشنى بالبلاغه فى
الشعر : إلا أنه يلحن .

غير أنى إلى هذا أكاد أشك فى أن الخشنى كانت له فى الشعر هذه
الدواوين التى تتم المائة ، اللهم إلا إذا عرفت هذه العبارة معنى آخر غير
المعنى المتداول .

(٣)

التعريف بالكتاب

أعنى هذا الكتاب الذى أخرجه للقراء فى طبعته الجديدة : قضاة
قرطبة .

ولقد اختلفت المراجع فى تسميته :

فيسميه السمعانى : أخبار القضاة والمحدثين ، كما قدمت قبل .

وأكاد أرد هذه على السمعانى ، وأراها من زلات القلم ، وأن المعنى

هنا : أخبار الفقهاء والمحدثين ، وهو كتاب للخشنى . كما مر بك .

اللهم إلا أن يكون في الأمر خلط من الكاتب ، فاقطع الشق الأول
من كتاب : أخبار القضاة بالأندلس ، ثم الشق الثاني من كتاب : أخبار
الفقهاء والمحدثين .

ويسميه ابن فرحون : تاريخ قضاة الأندلس .

ويتفق الحميدى فى جذوة المقتبس ، والضبي فى البغية ، على تسميته باسم :
أخبار القضاة بالأندلس .

وينقل عنهما - فيما يبدو - لإسماعيل البغدادي فى هدية العارفين مع
حذف فيقول : أخبار القضاة ، ولا يزيد .

وينقل المقرئ من رسالة لابن حزم فى تعداد فضائل أهل الأندلس ،
فيذكر هذا الكتاب لمحمد بن الحارث الخشني فيقول : وكتاب محمد بن
الحارث الخشني فى أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الأندلس .

وعبارة الخشني فى مقدمته لهذا الكتاب تفصح عن أن هذا التأليف
خاص بقضاة قرطبة ، إذ يقول : فإنه لما أمر الأمير - يعنى الحكيم - أبقاه
الله - بتأليف كتاب القضاة مقصورا على من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ،
بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى قرطبة .

ولقد ذكر حاجى خليفة فى الكشف (١ : ٢٩) من بين الكتب التى
تحمل اسم « أخبار قضاة » كتابا يحمل هذا الاسم : أخبار قضاة قرطبة ،
ولكنه عزاه لابن بشكوال خلف بن عبد الملك صاحب الصلة ، الذى
سنترجم له مع صدور كتابه « الصلة » .

واقدر صدر هذا الكتاب فى مدريد سنة ١٩١٤م عن مخطوطة بمسكتبتها
الأهلية تحمل هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة .

ومن هنا شاعت هذه التسمية ، واستقر للكتاب اسمه الذى تحمله هذه

المخطوطة ، والذي يتفق وما جاء على لسان مؤلفه ، وتراجم الكتاب - كما سترى - كما لقضاة قرطبيين ، لذا كانت تلك التسمية أصدق .

والكتاب مروى عن أبي محمد بن عتاب ، عن أبي بكر التجيبي .

وهذا يعني أن الخشني حدث به ، وعن هذا التحديث حدث أبو بكر التجيبي ، وعنه حدث عتاب ، وعن عتاب حدث ابنه أبو محمد .

وهذا يعني أيضاً أن هذا الكتاب لم يخرج إلى الوجود حياة الخشني ولا حياة الحكم ، بل ظل حديثاً يُتحدث به إلى أيام أبي محمد بن عتاب ، يدلنا على هذه وتلك التعقيب بالدعاء بالرحمة عند ذكر اسم الخشني ، أو اسم الحكم المستنصر .

هذا مع علمنا بأن الكتاب أخذ فيه الخشني عن أمر الحكم له ، والحكم ولي عهد ، بدليل ما ورد في تقديم الخشني للكتاب من دعاء لأبي الحكم : عبد الرحمن الناصر .

ولكن الخشني على هذا لم يتمه إلا بأخرى ، والحكم المستنصر خليفة ، ففي الكتاب أحاديث استقاها الخشني عن رواة الأخبار وأهل الحفظ ، وهذا كان وهو يترجم لمن سبقوا عصره ، غير أن في الكتاب تراجم قال فيها الخشني عن معاينة ومعاصرة .

ولقد عنى المستشرق الأسباني جوليان ريبيرا بنشر هذا الكتاب ، وصدرت طبعته الأولى بمدريد سنة ١٩١٤م ، كما قلت قبل ، وجاءت مع النص العربي ترجمة لهذا المستشرق باللغة الأسبانية يسبقها تقديم للكتاب باللغة الأسبانية أيضاً .

وعلى حين يحمل النص العربي هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة ، تحمل الترجمة الأسبانية : تاريخ قضاة قرطبة .

وهذه المخطوطة المدريدية ، التي يبدو أنها فريدة ، كان الفراغ من كتابتها في الثلث الأخير من ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستمائة ، أى بعد وفاة المؤلف بنحو من قرون ثلاثة .

وكان كاتبها هو : محمد بن علي اللواتي .

ويبدو أن هذا الكاتب كان من أسرة معنية بالعلم ، وأن تلك الأسرة كانت على حظ من الجاه بمدينة طنجة .

كما يبدو أن هذه المخطوطة توارثها الأبناء عن الآباء ، فثمة عليها عبارة تملك تقول : ملكه وكسبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي ، الشهير في طنجة بابن بطوطة .

ثم كتب لهذه المخطوطة أن تنتقل إلى البرتغال إلى مالك آخر محب للعلم ، هو عمر بن أحمد يوسف المقدسي ، لاندري من هو ، لأنه ثمة بياض أو طمس بالأصل بعد هذا .

ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه ، الشهير بصغرك ، وكان ذلك سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة (١٤٠٧ م) .

ولاندري بعد كيف انتقلت هذه المخطوطة من البرتغال إلى أسبانيا ، ولا متى كان هذا (١) .

وعن هذه الطبعة المدريدية ، التي كُتبت نصها العربي بخط هذا المستشرق الأسباني ، فيما يبدو ، ثم صور ما كتبه المستشرق الأسباني ليطلع ، صدرت

(١) انظر هاتين العبارتين - عبارة الكاتب وعبارة التملك - في آخر الكتاب .

طبعة أخرى قاهرية سنة ١٩٥٢ م ، ثم طبعة ثالثة قاهرية سنة ١٩٦٦ م ، وكان
اعتماد هذه وتلك على هذه النشرة المدرسية .

ومع هذه الجهود المشكورة التي بدت في هذه الطبعات الثلاث ، فلقد
ظل النص يحتاج إلى مزيد ليطلع قراء العربية :

١ - نصا قد قيدت كلماته .

٢ - وحررت عباراته .

٣ - وصوبت تحريفاته .

٤ - وقومت تصحيقاته .

٥ - وشرح غامضه .

٦ - وأشير إلى مظانه .

٧ - وقدم لصاحبه .

٨ - وعرف به .

٩ - وتوج بفهارس أولى خاصة ، ارتقبا لفهارس أخرى عامة ،
تضم مواد المكتبة الأندلسية كلها .

غير أنى لا أزال أذكر آسباً افتقادي مخطوطة هذا الكتاب ، واجتزائي
بقراءة المستشرق الأسباني ريبيرا لها ، إذ فيما كتب :

١ - كلمات كثيرة استعصت عليه قراءتها فترك مكانها نقطا .

٢ - وكلمات كثيرة شق عليه رسمها فوجهها كما بداله .

وعلى ما أثبتته المستشرق الأسباني ريبيرا جاءت المطبوعتان المصريتان ،
لهذا كان على أن أتلس للكلمات ، التي استعصت على المستشرق
الأسباني قراءتها ، ما يدل عليها ، أو ما يقوم مقامها ، وأن أجهد جهدي في

الكلمات التي دق على المستشرق الأسباني رسمها لأجد لها الوجه الذي يتفق والسياق، ولا يبعد كثيرا عن رسمها .

وبعد . فأرجو أن يوفقني الله إلى تحقيق ما أبتغيه ، وأن يعينني على إكمال ما أنا آخذ فيه .

إنه تعالى خير من يوفق، وأجل من يعين .

إبراهيم الأياري

المحرم ١٤٠١ هـ

نوفبر ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد وآله
وسلم تسليماً

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبي بكر التجيبي ، قال
أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني ، رحمه الله (١) ،

وصل الله بالأمير الحكيم المستنصر (٢) ولي عهد المسلمين أسباب
السعادة ، ومدله في العز ، وزاده من نعمة التوفيق .

إنه لما حسن ... الأمير ، أبقاه الله ، واستحكمت بصيرته سدده الله في
حفظ .. (٣) العاوم ومطالعة الأخبار ، وفي معرفة النسب وتقديد
الأثار ، وفي الإشادة بفضائل السلف ، والتقليد لمناقب الخلف ، وفي
التذكير بالمنسى من الأنباء ، والإشارة إلى السالف من القصص ،
وبخاصة ما كان في مصره قديماً وفي عصره حديثاً ، مما جعله الله (٤)
سبباً قويا لحياة القلوب ، وعلة ظاهرة لنباهة النفوس ، فتتحرك أهل

(١) هذا التعقيب بسؤاله تعالى الرحمة للخشني ثم للحكم ، يشير ،
كما قلت قبل في المقدمة ، إلى أن الكتاب خرج إلى الوجود بعد موت
الخشني ، وأنه من وضع واحد ممن حدثوا .

(٢) جاء في الأصل بعد هذه الكلمة « رحمه الله » ، وهي من
زيادات من حدث ، وإن كان الخشني هو المتكلم عن الحكم ، فلا محل
لهذه العبارة .

(٣) في الأصل هنا كلمة مطموسة لم يستطع القارئ قراءتها
فترك مكانها هذه النقطة .

(٤) الأصل : « جعل الله ذلك سبباً » ، وما أثبتناه أوفق .

العلم^(١) بما حركهم إليه الأمير الموفق ، فاستحفظوا^(٢) ما أضعوا من غرر الأخبار ، وقيّدوا ما أهموا من عيون المعارف ، واتصلت بجميعهم بركة الأمير ، أبقاه الله ، في ذلك ، وكذلك خير الفضائل ما سطع نوره ، وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائل ، وسبباً لمفاخر .

فالحمد لله الذي جعل الأمير ، أيداه الله ، إماماً في الخير ، ودليلاً في طرائق الرشيد ، وهادياً^(٣) إلى جميل المذاهب ، وأسوة في الحسنى ، ومفتاحاً إلى حميد الأمور ، وباباً إلى الفضل ، هنأه الله بنعمته^(٤) ، وأدام غيظته ، و..^(٥) عليه فضله ، ووفر من المكارم حظه .

فإنه لما أمر الأمير ، أبقاه الله ، بتأليف كتاب القضاة مقصوراً على من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ، بأرض المغرب في الحاضرة العظمى قرطبة ، ذات الفخر الأعظم ، ولعمالهم بها من قبل ، هزرت رواة الأخبار عن أخبارهم^(٦) ، وكاشفت أهل الحفظ عن أفعالهم ، وسألت أهل العلم عما تقدم من سيرهم ، قولاً وفعلاً ، فأنفيت من ذلك فصولاً تروق المستفهمين ، وقصصاً تهيج السامعين ، وأخباراً تدل الناظرين المتحبين على حصافة العقول ، وسعة العلوم ، وعلى رجاحة الأحلام ،

-
- (١) مكان هذه الكلمة نقط تشير الى أنه ثمة كلمة تعذر على القارئ قراءتها ، ويمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .
(٢) كذا ، يريد : احفظوا ، وهى غير واردة .
(٣) الأصل : « ومهادياً » .
(٤) الأصل : « نعمته » . والفعل هنا يتعدى بالباء .
(٥) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها :
• وأسبغ
(٦) الأصل : « فى أخبارهم » .

وثقافة الأفهام ، وعلى صدق البصائر ، وصحة العزائم ، وعلى ... (١) مآل
الفضل ، واستقرار العدل ، وعلى استقامة الطريقة و... (١) ، وعلى من
استقضاهم (٢) من الخلفاء ، رضى الله عنهم ، من الأوصاف الرضية
في حسن الارتياح ، وجميل الاختيار ، وفي .. (١) القضاة بجميل العظات ،
وفي إيثار الصدق وتأيد ... (١) ذلك ، جدير (٣) بقضاة مثل هذا المصر
الأكبر ، بيضة ... (١) ، ودار الإمامة ، وحاضرة الجماعة ، ومعدن الفضائل ،
ومسكن الأفاضل : وكين العلوم ، وجمع العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلها ، وأكمل حسناتها بالإمام العادل ، والملك الفاضل ،
أمير المؤمنين عبد الرحمن (٤) ، أطال الله بقاءه ، ثم بالمصطفى لعهد ،
الممثل (٥) لمجده ، جعله الله إماماً في الخيرات ، وعلماً في الصالحات .

قال محمد :

لما كان القاضي أعظم الولاة خطراً بعد الإمام ، الذي جعله الله
زماماً للدين ، وقواماً للدنيا ، لما يتقلده القاضي من تنفيذ (٦) القضايا ،
وتخليد (٧) الأحكام في الدماء والفروج والأموال والأعراض ، وما
يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار ، وكانت العقبي من الله

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارئ .

(٢) الأصل : « وعلى ما لمن استقضاهم » .

(٣) الأصل : « جديد » .

(٤) هو : عبد الرحمن بن محمد الناصر ، ابن عبد الله ، وكان

مولده سنة ٣٧٧ هـ (٨٩٠ م) . ولى الخلافة بعد وفاة جده سنة ٣٠٠ هـ ،

وكانت وفاته سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) .

(٥) يعنى : الحكم المستنصر ، ولى العهد .

(٦) مقروء ريبيرا : « تنفيذ » . ويبدو أن الوجه ما أثبتنا .

يريد : الابانة عن زيفها .

(٧) كذا ولعلها : تنفيذ .

في ذلك فظيعة المقام ، هائلة الموقف ، مخوفة المطلع ، اختلفت في ذلك
الهمم من عقلاء الناس وعلماهم ، فقبل كثير منهم القضاء ، رغبة في
شرف العاجلة ، ورجاء لمعونة الله عليه ، واتكالا على سعة عفوهِ فيه ،
وتفر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة ، وحذاراً من الله فيما قد
يكون منهم وعلى أيديهم .

قال محمد :

وقد سلف من رجال الأندلس من أهل حاضرتها العظمى رجال دُعوا
إلى القضاء فلم يجيبوا ، وندبوا إليه فلم ينتدبوا ، رهبة من .. (١) أنفسهم
في منتظر العاقبة .. (٢)

وقد رأيت أن ... (٣) ذكرهم ، ووصف مقاماتهم بين يدي خلفائهم ،
وإشفاتهم بما دعاهم إليه أمراؤهم ، وأن أجعل لذلك بابا في صدر الكتاب ،
ثم أصير إلى ذكر ولاية القضاء ، قاضياً فقاضياً ، على ما كانت عليه
دولهم ، إن شاء الله ، وأسأل الله جميل المعونة على صواب القول ، ومحمود
الفعل ، فإنه الهادي إلى سواء السبيل .

-
- (١) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « معا حذرته » .
(٢) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « في الآخرة » .
(٣) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « اسوق » أو كلمة بمعناها .

باب
من عرض عليه القضاء
من أهل « قرتبة »
فأبى قبوله
(مصعب بن عمران)

قال محمد :

استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنهما ، أصحابه فيمن يوليه القضاء بقرتبة ، فأشار عليه ابنه هشام ، رحمة الله عليه ، وابن مغيث الحاجب ، بالمصعب بن عمران ، فقبل الأمير عبد الرحمن رأيهما ، وأمر بالإرسال في مصعب ، فلما قدم أدخله على نفسه بحضرة ابنه هشام ، وأحمد بن مغيث ، وجماعة أصحابه ، فعرض عليه ولاية القضاء ، فأبى قبولها^(١) وذكر عذراً له في ذلك ، فردد عليه الأمير عبد الرحمن القول ، وأظهر له العزيمة ، ولم يوسع العذر في ترك القبول ، فأصر على الإباء لها ، وتمادى على النفور منها ، فلما يس الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، منه ، أطرق وجعل يفتل شاربه ، وكان إذا غضب قتل شارب به ، فالويل للبعضوب عليه ، حتى خاف من حضر على مصعب من بادرة تكون من الأمير فيه ، لهول مقامه ، وجعل بعض الحاضرين ينظر إلى هشام بن عبد الرحمن ، وإلى أحمد بن مغيث ، كالثقلين لهما : ماذا عرضتيا بالرجل ؟ فرفع الأمير رأسه ، فقال لمصعب : اذهب ، فعليك كذا وكذا ، وعلى اللذين أشاراك ، ولم يكن من عقوبته له في حُسْيا الغضب أكثر من ذلك

(١) الأصل : « من قبولها » . والفعل متعد بنفسه .

وخرج مصعب فليحق بمكانه ، فلم يزل به حتى أفضت الخلافة إلى هشام ، رحمه الله ، فأرسل فيه ، وعزم عليه في القضاء .
وسنذكر ذلك مبيناً إن شاء الله .

[زياد بن عبد الرحمن]

قال محمد :

وذكر أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه :
أن الأمير هشاماً أراد زياد بن عبد الرحمن للقضاء ، فخرج هارباً بنفسه ، فقال هشام بن عبد الرحمن عند ذلك : ليت الناس كزياد حتى أكني حب أهل الرغبة ، وأمتنه ، فرجع إلى مسكنه .

قال محمد :

قال لي عثمان بن محمد : سمعت محمد بن غالب ، يقول :
لما بعث الوزراء في زياد بن عبد الرحمن ، وعرضوا عليه القضاء عن الأمير هشام ، رحمه الله ، قال لهم : أما إذ^(١) أكرهتموني على القضاء فزوجتي طالق ثلاثاً لئن أتى لي^(٢) مدع في شيء مما في أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين .
فلما سمعوا ذلك منه عملوا في معافاته .

[محمد بن عيسى]

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :

لما مات القاضي محمد بن بشير ، ذكر الأمير الحكيم القضاء ، ومن

(١) مقروء ريبيرا : « ان » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « بي » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

يصلح أن يوليه ، فقال : ما أرى غير فقيه البلد : محمد بن عيسى الأعشى ،
وما يغمنى منه غير إفراط الدعابة التي فيه ، وعزم على ذلك من أمره ،
فقال له بعض الوزراء : لو امتحنت أمره قبل المشافهة كان ذلك رأياً
حسناً ، فأرسل إليه بعض وزرائه ، فنزل عليه وذاكره الأمر ، وأعلمه
بما عابه به الأمير من إفراط دعابته ، فقال : أما القضاء فإني والله لا أقبله
ألبتة ، ولو فعل بي وفعل ، فلا يحتاج الأمير ، أبقاه الله ، أن يكشف
إلى وجهه في ذلك ، وأما الدعابة فعلى بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، لم
يدعها للخلافة ، أَدْعَمُ للقضاء ؟

فلما بلغ الأمير قوله عافاه ونظر في غيره .

[سعيد بن محمد بن بشير]

قال محمد :

كان للأمير الحكيم ، رضى الله عنه ، قاض بكورة جتيان ، فتظلم أهل
الكورة منه ، فعهد الأمير الحكيم إلى سعيد بن محمد بن بشير ، قاضى
الجماعة بقرطبة ، أن ينظر على قاضى جتيان ، فإن ظهر بريئاً أقره على
قضائه ، وإن ظهر عليه ما رفع إلى الأمير فيه عزله عن الكورة ، فنظر
قاضى الجماعة فألقاه بريئاً ، فقال له : انصرف إلى قضائك ، فقال : امرأتى
طالق ، وعلى من الأيمان كذا وكذا ، أبر وأوفى من إيمان أبى (١) التى
حلف بها ، لانظرت بين اثنين حتى ألقى الله .

وكان محمد بن بشير قد عزله الأمير ، فخلف ألا يلى القضاء أبداً
بطلاق زوجته ، وعتق رقيقه ، فلما عزم عليه الأمير بعد ذلك فى صرفه ،

(١) الأصول : « أبىك » .

حدث^(١) في إيمانه ، وطلق الزوجة ، وأعتق الرقيق ، وأخلف له الأمير ، كل ذلك إذ أعلمه به .

[يحيى بن يحيى]

قال محمد : وحدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن يحيى ، قال :

لما ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، رضى الله ، عنهما ، ألح عليه في القضاء ، وكان صاحب الرسالة في ذلك طرفة ، فقلت له : المكان الذى أنا به لما تريدون خير لكم ، إنه إذا تظلم الناس من قاض أجالستمونى فنظرت عليه ، وإن كنت القاضى ، فتظلم الناس منى من تجلسون للنظر على : من هو أعلم منى أو من هو دونى فى العلم ؟ فقبل ذلك منى وعافانى^(٢) .

قال محمد : قال خالد بن سعد^(٣) :

كان أحمد بن خالد يحدث أنه لما مات يحيى بن يعمر بقى الناس ، بلا قاض ، حتى خطر بهم يوماً زرياب راكباً إلى البلاد ، فسألوه أن يخبر الأمير عنهم بما هم عليه من سوء الحال إذ ليس لهم قاض .

فلما دخل زرياب على الأمير ذكر ذلك له ، فقال له الأمير : يا زرياب ، والله ما منعى من تولية قاض إلا أنى لست أجد أحداً أرضاه غير رجل ؛

(١) الأصول : « أحنث » والوجه ما أثبتنا .

(٢) مقروء ريبيرا : « وعافى بى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا هنا : « سعيد » وعليه المطبوعتان المصريتان ،

وهو تحريف ، صحته فيما سياتى أكثر من مرة : « سعد » .

قال زرياب : فقلت : أصلح الله الأمير ، ومن هو ؟ قال : يحيى بن يحيى ، غير أنه يابى على ذلك^(١) ، فقال له زرياب : فإذا ترضاه للقضاء فاسأله أن يدللك على قاض ، فقال له الأمير : قلت قولاً سيدياً ، فأرسل في يحيى ، وسأله أن يشير بقاض يرضاه ، إذ لم يقبل هو القضاء في نفسه ، فأشار بإبراهيم بن العباس ، فولاه الأمير .

قال محمد : قال خاله بن سعد ، وأخبرني بعض أهل العلم :

أن يحيى أبى أن يقبل القضاء ، وأبى أن يشير بأحد .

قال محمد : قال خالد بن سعد : حدثني من أثق به ، عن يحيى بن زكريا ، عن محمد بن وضاح ، قال :

لما عزم الأمير على يحيى على تولى^(٢) القضاء فأبى ورج^(٣) عليه ، قال : فأشر على برجل ، قال : لست أفعل ، لأنى إن فعلت شركته في جوره إن جار .

فأحفظ ذلك الأمير عبد الرحمن ، فأمر صاحب رسائله أن يكون رقيباً على يحيى ، وغدا به إلى الجامع ، ودفع إليه الديوان ، وقال للخصوم : هذا قاضيكم .

فلبث في ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمر على يحيى أشار بإبراهيم ابن العباس .

[عثمان بن أيوب]

قال محمد :

-
- (١) الأصول : « من ذلك » . والفعل متعد بنفسه .
(٢) مقروء ربييراً : « تولية » .
(٣) لرج في الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

وكان عثمان بن أيوب بن أبي الصلت من أهل العلم بقرطبة ، وكان
من بسطت له الدنيا ، فأبى أن يقبلها وأعرض عنها .

قال خالد بن سعد : سمعت ابنه اسماعيل يقول : عرضت على أبي
ولاية القضاء فأبى أن يقبلها ، واستعنى منها .

[إبراهيم بن محمد]

قال محمد : ومن عرض عليه القضاء من شيوخ قرطبة فأبى قبوله (١)
إبراهيم بن محمد بن باز .

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني بعض رواة (٢) الاخبار : أن
الأمير ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أدخل على نفسه هاشم
ابن عبد العزيز يوماً له ، فقال له : يا هاشم ، كنت أرى رؤيا عجيبة في رجل
لا أدري من هو ؟ كنت أرى نفسي في المصاراة (٣) حتى لقيت أربعة من
الرجال ركباناً على دواب لهم ، لم أر في الرجال أصبح منهم وجوها ،
ولا أبهى منظراً ، فجعلت أتعجب ، وأنهم طلعوا إلى الجرف (٤) ، فتبعتهم ،
فأخذوا على وجهه اليمين حتى انتهوا إلى مسجد تقابله دار ، فقرعوا
باب تلك الدار ، فخرج إليهم رجل منها فصاحوه ودعوا له ، وناجوه
ساعة ثم زالوا عنه ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقييل لي : محمد النبي ، صلى الله

(١) الأصول : « من قبوله » . والفعل متعد بنفسه .
(٢) مقروء ريبيرا : « ولالة » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٣) مقروء ريبيرا : « المسارة » . وعليه المطبوعتان المصريتان . وما
أثبتنا من أخبار مجموعة ، وتاريخ افتتاح الأندلس ، ونفع الطيب (٣ : ٤٣)
والمصاراة : موضع بقرطبة .
(٤) الجرف ، بالضم : شق الوادي . وفي مقروء ريبيرا ، وعليه
الطبعتان المصريتان : « الحرف » ، تصحيف .

عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، أتوا لهذا الرجل عائدين في مرضه .

ثم قال هاشم : قد عرفتك بالمسجد والدار حتى كأني وقفت بك إليهما ، فاذهب فاعرف من صاحب تلك الدار ؟ فقال له هاشم : قد عرفتها دون أن أتعرفها ، هي دار إبراهيم بن محمد بن باز ، فقال له الأمير : عزمت عليك لتذهب متعرفاً بحالي^(١) . ففعل هاشم ، ثم أتاه بتصحيح ما قال له من قبل ، وأعلمه أن الرجل مريض .

فكان ذلك سبباً لأن عرض عليه الأمير قضاء الجماعة ، وأرسل إليه بذلك هاشم بن عبد العزيز ، فأبى قبولها^(٢) ، فأعاد إليه الأمير هاشماً : إذ لهم تقبل القضاء فكن أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم في أمورنا ، فقال إبراهيم هاشم : يا أبا خالد ، إن ألح على الأمير في شيء من هذا هربت بنفسى عن هذا البلد .

فأعرض الأمير محمد ، رحمه الله ، عنه وعن خبره .

قال لي أحمد بن عبادة الرُّعيني :

كان المنذر بن محمد إذ كان ولداً ، هو الذي خاطبه في القضاء ، فأبى قبوله^(٣) ، فكان المنذر يقول : لو قبل مني الأمير لأكرهته عليه .

[محمد بن عبد السلام]

قال محمد :

ومن جاهر^(٤) بالإصرار على الإباءة من^(٥) القضاء محمد

-
- (١) مقروء ريبيرا : « بحالة » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٢) مقروء ريبيرا : « من قبولها » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٣) مقروء ريبيرا : « من قبوله » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٤) مقروء ريبيرا : « جاهد » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٥) مقروء ريبيرا : « عن » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

ابن عبد السلام الحشني . فإنه أمر الأمير محمد ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أن يبعث في الحشني ويستتقصيه^(١) على كورة جسيان ، فأرسل فيه الوزراء ، وقالوا له^(٢) : إن الأمير يستتقصيك على كورة جيان ، فأبى ونهر من ذلك نفوراً شديداً ، فعوج ولوطف ، فلم يزد إلا نفوراً وإبابة ، فكتبوا إلى الأمير يخبره ، وأنه لج في ألا يقبل ، فوقع إليهم الأمير تويقاً غليظاً ، معناه : إن عاندنا فقد عرض^(٣) بنفسه ودمه .

فلما سمع ذلك الحشني نزع قلنسوته من رأسه ، ومد عنقه ، وجعل يقول : أيدت أيدت الكما أبت السموات والأرض إبابة إشفاق ، لا إبابة عصيان ونفاق .

فكتبوا إلى الأمير بلفظه ، فكتب إليهم : أن سلموه^(٤) أمره ، وأخرجوه عن أنفسكم ، فقال له الوزراء : تنظر في أمرك ليلتك هذه ، وتستخير الله فيما دعيت إليه .

وخرج عن القوم .

[أبان بن عيسى]

قال محمد : قال خالد بن سعد : ذكر لي محمد بن فطيس :

أن الأمير محمداً أمر الوزراء أن يرسلوا في أبان بن عيسى ابن دينار ، وأن يولوه قضاء جيان ، فلما أرسلوا فيه ، وعرضوا ذلك

(١) مقروء ريديرا : « ويستتقصي » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٣) كذا . والمسموع : عرض نفسه لكذا . أما قولهم : عرض بفلان وله ، فمعناه : قال فيه قولاً يعيبه .
(٤) الأصول : « سللوا » .

عليه ، استعفى وأبى ، فأمر الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يوكل عليه الحرس حتى يبلغ جيان ، ويجلس بها مجلس القضاء ، والحكم بين الناس ، فوكل عليه الوزراء ، والحرس ، وساروا به ، وأقعدوه ، فحكم بين الناس يوماً واحداً ، فلما أتى الليل هرب ، فأصبح الناس يقولون : هرب القاضي ! فرجع الخبر إلى الأمير ، رحمه الله ، فقال : هذا رجل صالح ، ولكن يطلب حتى يعرف موضعه ، فطلب ، فلما عرف مكانه رضى الأمير عنه .

فلما قدم قرطبة ولاة الأمير صلاة الجماعة بقرطبة .

قال محمد : قال بعض أهل العلم :

فكان ، إذ ولي الصلاة ، ظاهر الخشوع ، كثير البكاء ، وإذا سلم من صلاة الجمعة لم يلبث ساعة في المسجد ، اتباعاً للسنة .

قال محمد :

كان المنذر بن محمد ، رحمه الله ، شديد الإعظام لبقى بن مخلد ، دخل عليه يوم البروز في المصلى ، فمنعه من تقبيل يده ، وأجلسه على جانب من فراشه على رموس الناس ، وكان له خاصا وصنيعة ، قبيل ولاية الملك ، وكان قد قدم إليه بقى بن مخلد بالبشرى^(١) بالخلافة ، فلما صارت إليه الخلافة وفى له ، وتمادى على ما كان له من الإجلال والإكرام ، فلما عزل سليمان بن أسود عن القضاء أمر الأمير المنذر فى بقى بن مخلد ، فعرض عليه القضاء ، فأبى ذلك^(٢) ، فذهب إلى استكراهه على ذلك ، فقال له : ما هذا جزاء محبتى وانقطاعى ؟ فقال المنذر : أما إذ أبيت ، فما

(١) مقروء ريبيرا : « البشري » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « من ذلك » وعليه المطبوعتان المصريتان .

ترى فيمن أشار به الوزراء؟ فقال: ومن هو؟ قال: زياد بن محمد بن زياد، فقال له: نعم الحدث، فقال له المنذر: فأشر على بقاض ترضاه للمسلمين، فقال: أشير عليك برجل من آل زياد، يعرف بعامر بن معاوية.

فقبل منه المنذر، رحمه الله، وأرسل في عامر، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة.

قال محمد:

[عبد الرؤف بن الفرغ]

ومن عرض عليه القضاء فأباه^(١) أبو غالب عبد الرؤف بن الفرغ.
قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ:

نزل موسى بن حدير على أبي غالب بن كنانة، فعرض عليه القضاء عن الأمير عبد الله بن محمد، رحمه الله، فأبى قبوله^(٢).
قال لي بعض أهل العلم: قال محمد:

لما قدم أبو غالب عبد الرؤف بن الفرغ من الحج سلك طريق التقشف والتنسك والتدين، وكان الأمير عبد الله بن محمد به معجباً. وكان ربما انتهى رؤيته من غير أن يدخله على نفسه، فتعرض^(٣) رؤيته يوم الجمعة من الساباط عند رواحه من الجمعة، فذكره الأمير يوماً وقال: لا بد من أن نضمه إلى الوزارة أو إلى القضاء، وكان عبد الله بن محمد

(١) الأصول: « فأبى منه » .

(٢) الأصول: « من قبوله » .

(٣) كذا .

ابن أبي عبدة أقرب الوزراء من أبي غالب ، محبة ومكانة ، فقال للأمير :
ينبغي ألا يهجم على الرجل حتى يتعرف ما عنده في ذلك .
قال سكن الكاتب : فأرسلني عبد الله بن محمد إلى أبي غالب ، فعرضت
عليه مراد الأمير .

قال سكن : فتلقاني في ذلك بالتضاحك والدعابة حتى أطمعني في
نفسه ، وجعل يقول : أنتم أشح على دنياكم ، وأضن بها من أن تعطوا
منها لأحد شيئا ، أو تشركوا في شيء منها صديقا .

قال سكن : فإيا صرت^(١) (إلى)^(٢) عرض الاستقضاء عليه ، قال لي :
بالله لئن عاودتني بهذا ، أو بلغتني عن الأمير فيه عزيمة ، لأخرجن من
من الأندلس .

(١) مقزوء ريبيرا « سرت » • وعليه المطبوعتان المصريتان •
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام •

باب أخبار قرطبة وقضاةها قبل الخلفاء ذكر القاضي مهدي بن مسلم

قال محمد :

فمن قدماء قضاة قرطبة الذين قضوا بها للأمراء العمال الولاية القواد
قبل دخول الخلفاء ، رضى الله عنهم ، الأندلس :
مهدي بن مسلم ، وهو من أبناء المسالمة ، من أهل الدين والعلم
والورع ، استتقضاها عليها عقبه بن الحجاج السلولى .
حدثني أحمد بن فرج بن مُنتيل ، قال : حدثني أبو العباس أحمد بن
عيسى بن محمد المقرئ ، بمدينة تنيس^(١) ، قال :
ولى الأندلس عقبه بن الحجاج السلولى ، فكان صاحب جهاد
ورباط ، وذا نجدة وبأس ، ورغبة فى نكابة المشركين ، وكان إذا أسر
الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً ، ويرغبه فيه ، ويبصره
بفضله ، ويبين له عيوب دينه الذى هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على
يده بذلك الفعل ألفاً رجل ، وكان قد اتخذ بالأندلس مقراً مدينة
يقال لها : أربونة^(٢) ، وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والدين

(١) الأصبول : « تنيس » ، تحريف • وتنس ، بفتحتين والتخفيف
وسين مهملة • مدينة فى آخر افريقية مما يلى المغرب • معجم البلدان
ايسلطان : (٨٨٧ : ١) •

(٢) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء • (معجم البلدان : ١ : ١٩٠)

والورع ، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها ،
وكان قد عرفه مع ذلك بالبلاغة والبيان ، فلما أراد توليته ، قال له :
اكتب عهدك عنى لنفسك ، فكتب مهدي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به عقبه بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم ، حين ولاه
القضاء ، عهد إليه بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع مرضاته في
سر أمره وعلائحته ، مراقباً له ، مستشعراً لحشية الله ، معتصماً بحبله
المتين ، وعروته الوثقى ، موفياً بعهده ، متوكلاً عليه ، واثقاً به ، متقياً
منه ، فـ (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)^(١) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
إماماً يهتدى بنورهما ، وعلياً يعشى^(٢) إليهما ، وسراجاً يستضاء^(٣) بهما ،
فإن فيهما هدى^(٤) من كل ضلالة ، وكشفاً لكل جهالة ، وتفصيلاً لكل
مشكل ، وإبانة لكل شبهة ، وبرهاناً ساطعاً ، ودليلاً شافياً ، ومناراً
عالياً ، وشفاء لما في القلوب^(٥) ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد ، وتولى^(٦) القضاء ،
الذي رفع الله قدره ، وأعلى ذكره ، وشرف أمره ، إلا لفضل القضاء
عند الله ، جل جلاله ، لما فيه من حياة الدين ، وإقامة حقوق المسلمين ،
ولإجراء الحدود مجاريها ، على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من

(١) النحل : ١٢٨ .

(٢) الأصول : « يعشو » .

(٣) الأصول : « يستضيء » .

(٤) الأصول : « هدياً » .

(٥) الأصول : « الكذوب » .

(٦) الأصول : « وتولية » .

وجبت له . ولما رجا عنده فيما يمضيه ، ويتقدم فيه ، ويحكم به ، من إشار حق الله ، عز وجل ، وطلب الزلفى لديه ، والقربى إليه ، وأن يحاسب نفسه فى يومه وغده ، فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها ، الباهظ عبؤها ، فإنه محاسب وموعده وموعود .

وأمره أن يواسى بين الخصوم بنظره واستفهامه واطفه ولطفه واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلى به ، ويستأنى^(١) بكل عيب اللسان ، ناقص البيان ، فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق الله تعالى عليه قاضياً ، وللوأجب فيه راعياً^(٢) ، فقد يكون بعض الخصوم ألحن بحجته ، وأبلغ فى منطقته ، وأسرع فى بلوغ المطلب ، وألطف حيلة فى المذهب ، وأذكى ذكاء ، وأحضر جواباً من بعض . وإن كان غير الصواب مرماه ، وخلاف الحق منحاه^(٣) . فإن لم يتعاهد القاضى مثل هذا ، ويجعله من القربات إلى الله ، عز وجل ، بالتحفظ والتيقظ ، والاستراية ، والاحتراس من أهـل الخب واللد^(٤) ، والعناد ، والتلبس بشهادات الزور ، وتحييف المحقوق ، أهلك القومى الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه .

وفى تقدم القاضى فى النظر فى ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب الله ، فيه إثبات الحق ، وإبطال^(٥) الباطل (إن الباطل كان زهوقاً)^(٦) .

-
- (١) مقروء ريبيرا : « ويستأنى » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « راغبا » . وعايه المطبوعتان المصريتان .
(٣) مقروء ريبيرا : « منهاه » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٤) الخب ، بالكسر : الخداع . واللد : التشدد فى الخصومة .
(٥) مكان هذه الكلمة أخرى أستعدت قراءتها على القارىء .
ولعلها ما أثبتنا .
(٦) الاسراء : ٨١ .

وأمره أن يكون وزراؤه ، وأهل مشورته ، والمعينون له على أمر ديناه وآخرته ، أهل العلم والفقہ والدين والأمانة ممن قبله ، وأن يكتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ، ممن في غير ناحيته ، ويقابل آراء بعضهم ببعض ، ويجهد نفسه في إصابة الحق ، فإن الله ، جل ثناؤه ، يقول في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد ، عليه السلام : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (١) . وأن يكون حجابهم وأدوائهم ، ومن يستظهر بهم على ما هو بسبيله ، أهل الطهارة والعفاف ، والطلب لأنفسهم ، والبعد من الدنس ، فإن أفعالهم منسوبة إليه ، ومنوطة لديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ، ولم يعلق به ريب ، إن شاء الله .

وأمره أن يديم الجلوس والقعود لمن استرعاه الله أمره ، وقلده شأنه ، وأسند الحكم له وعليه ، ويقل السامة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف إليهم قلبه وذمته وشغله وفكره وفهمه ولسانه ، بما يوسعهم به عدلاً وإنصافاً وإصلاحاً واستصلاحاً ، فإن في ذلك قوة لمنتهى (٢) ، وإحياء لتأميلهم ، وتحقيقاً لجميل ظنونهم ، وثقة منهم بورعه ونزاهته ، وطيب طعمته (٣) ، فإن فيهم الضعيف عن التردد (٤) ، والزم من الثقل . وعليه في كل وقت التعهد ووهنا (٥) لأهل اللدد (٦) والفجور ، والتفحيم في

(١) آل عمران : ١٥١ :

(٢) المنة ، بالضم : القوة .

(٣) الطعمة ، بالضم : وجه الكسب ، ويقال : هي طيب الطعمة ، إذا

كان نقي الكسب .

(٤) كذا في الأصول . ولعلها : التردد ، أي السعي والاختلاف

إلى الأمر .

(٥) كذا .

(٦) الأصول : « التلدد » ، وهو التبادل ، ولا يستقيم بها الكلام ،

وما أثبتنا أحق .

ملتبسات الأمور ، وأن يكون قعوده لهم ، وتصرفه في النظر بينهم ،
بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك أقوى له ، وأتقن لما يحكمه ويبرمه ،
من سياستهم وتدبيرهم ، إن شاء الله .

وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ،
ويستقصيها ، حتى لا يبقى عليه شيء منها ، ومن المزكّين تزكيتهم ، ويكثر
البحث والفحص عن أمورهم أجمعين ، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين
والأمانة والثقة والدعة^(١) ، ممن يعرفهم ويبتطن أحوالهم^(٢) ، ولا يعجل
بإمضاء حكم حتى يستقصى حجج الخصوم وبيناتهم ومزكّيتهم ،
ويضرب لهم الأجال ، ويوسع فيها عليهم حتى تتجلى له حقائق أمورهم ،
وتتكشف له أعطيتها ، فإذا أتى عليها علماً وأيقنها إيقاناً ، لم يؤخر
الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده ، وعند من يشاوره من فقهاءه .

وأمره أن يطالع بكتبه ، في الحوادث التي يحتاج فيها إلى
المزامرات ، فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج إليه في التوازل ،
إبراهيم بن حرب القاضي ، ليرد عليه منه ما يعمل به ، ويمثله ،
ويقتصر عليه ، ويصير إليه ، لتكون موارد أموره ومصادرها ،
ومبتدأ فواتحها [مصحوبة]^(٣) بالتسديد ، مقررنة خواتمها بالتأييد ،
إن شاء الله .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك ، وإسنادى إليك ما أسنده ،
وتنويضى إليك ما فوضت ، فإن تعمل به مؤثراً لرضى الله وطاعته ،

(١) كذا في الأصول . ولعلها : الورع .
(٢) ببطن أحوالهم : يعرف باطنها وخفيها .
(٣) بمثل هذه الكلمة يستقيم الكلام .

قائماً بالحسبة^(١) ، مؤدياً حق الأمانة ، يكن حجة بين يديك ، وظهيراً لك ، وإن لم تعمل به يكن حجة عليك .

وأنا أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسدّدك ، إنه خير موفق ومعين ، وصلى الله على محمد .

قال محمد : قال أحمد بن فرج ، فقلت لأحمد بن عيسى :

لقد عظمت همّتك إذ حفظت مثل هذا وشبهه ، من الأخبار القديمة ، فقال : حفظت هذا زمن الصبا عن جدّي لي عمر نحو عمري ، وكان من أحفظ الناس لأخبار بني أمية عندهم ، ولقد كان عندي من كتبه أخبار حسان غريبة ، فذهبت بحريق كان في منزلي ، ولقد بلغني أن بعض من عندهم من بني الأغلب ، أو غيرهم ، من الشيعة ، ادعى هذا العهد ، وكتب به نصاً إلى بعض ولاة القضاء ، وما هو إلا لمهدي ابن مسلم ، هذا عندي قديماً أحفظه زمن الصبا عن جدّي . فهل عندهم له ذكر ؟

فقلت له : ما سمعت به عندهنا ، ولا باسم مهدي ، هذا .

فقال لي : قد سألت غيرك من أهل بلدك ، فلم يكن يعرفه ، فيا عجيباً^(٢) كيف درس خبره عندهم ؟ لكنني أظنه لم يعقب ، فاضمحل خبره بالفتن التي دارت في بلدكم .

(١) الحسبة : مراعاة شئون الناس .

(٢) مقروء ريبيرا : « فياعجمي » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

ذكر القاضى عنترة بن فلاح

حدثنى أحمد بن فرج بن مُنتبيل ، قال : حدثنى أبو محمد مسلمة بن زرعة بن روح بالعريش ، بالشام ، وكان شيخاً كبيراً قد نيف على المائة ، فيما ذكر لى ، وأدرك حرمة صاحب الشافعى ، وحدثنى عنه وعن أمثاله ، وذكر لى أنه من موالى بنى أمية ، وكان ذا علم بأخبارهم القديمة والحديثة ، وأخبار بلاد الأندلس ، محبا لهم ، متشبيها فيهم ، وكنت قد نظرت يوماً فى بعض جوامع بواديههم إلى خطب مكتوبة بخط غليظ فى رق ملصق فى الحائط بحذاء المنبر ، الذى يخطب عليه ، فكان إذا قعد للخطبة نظر إليها ، فلم يدخل عليه سقط ولا تلعث ، فتكلمت معه فى ذلك ، وعبت عليهم ، وقلت لهم : أتم أهل المشرق المنسوب إليهم البلاغة والخطب على البديهة ، وتفتقرون إلى مثل هذا ! ما رأيت مثل هذا فى شيء من نواحي المغرب ، وهم أضعف الناس فى البلاغة كما^(١) تقولون ، فقال لى : قد كان اللف من هذا عندهم ، وفى بيضة بلدكم ، وموضع سلطانكم ، كان يخبرنى أبى عن جدى أنه كان عندهم بقرطبة قاض فى الزمان ، يسمى : عنترة بن فلاح ، وكان تقياً ورعاً ، استسقى يوماً بالناس فأحسن فى دعائه وقيامه بالخطبة ، فقام إليه رجل من عامة الناس ، فقال له : أيها القاضى الواعظ ، قد حسن ظاهرك فحسن الله باطنك ، فقال له : آمين لنا أجمعين ، فهل أضرت شيئاً

(١) الأصول : « بما » .

يا بن أخى ؟ فقال له : نعم ، بتفريغ أهرائك^(١) يكمل استسقاؤك^(٢) ،
فقال القاضى : اللهم إني أشهدك أن جميع ما حواه ملكي من المأكول
صدقة لوجهك .

ثم آلى ألا يريم^(٣) مقامه حتى يقصد داره ، ويفرق جميع
ما ادخر .

قال : فَنَيْشُوا^(٤) من يومهم غيثاً عاماً .

قال لى : وكان هذا القاضى عنتره يقول : متى لحظت الناس لم
أصل كلاما ، فكان إذا خطب سدل على وجهه من ثوبه .

فكان يذكر عنه : أن معناه غير ذلك ، وأن خطبته كانت

مكتوبة فى صحيفة مشبكة فى الثوب المسدول على وجهه .

فهذا من نحو ما رأيت عندنا ، وهذه الخطب لها آلات واستجماع .

(١) الأهراء ، جمع هرى ، بالضم ، وهو الثبت الكبير يجمع فيه
الطعام .

(٢) الاستسقاء : طلب السقيا .

(٣) يريم : يبرح .

(٤) الأصول : « أغيثوا » ، والمسموع : غاث الله البلاد غيثا

وغياثا : أنزل بها الغيث .

ذكر القاضى مهاجر بن نوفل القرشى

قال محمد : أخبرنى أحمد بن فرج بن مُنتبيل ، قال : حدثنى مسلمة
ابن زرعة ، قال : سمعت أبى يذكر مراراً عن جده ، وكان قد دخل
الأندلس ، يقول :

لم أر مثل قضاة الأندلس فى العبادة والورع .

قال : رأيت بها قاضياً يدعى : مهاجر بن نوفل القرشى ، كان
يجمع عنده الناس للتجاركم فلا يزال يذكرهم ، ويخوفهم الله ، وما يلحق
المبطل من سخط الله وعقوبته ، وموقفه بين يديه فى القيامة ، ثم يذكر
ما يلزم القاضى من الحساب بما يجب عليه من التحرى والاجتهاد ، ثم
يأخذ فى النوح على نفسه والبكاء ، معلناً بذلك ، حتى كنت أرى
الناس ينصرفون عنه باكين خائفين ، قد تعاطوا الحقوق بينهم .

ولقد بلغنى فى موته أعظم العجب ، وأنه لما مات ، رحمه الله ، وكان
لا أهل له ولا ولد ، دفن بمقبرة لهم بقبلى مدينتهم وبعده نهر عظيم
لهم ليلاً ، وأظنه عهد بذلك ، فلما هيل التراب عليه ، سمعوا من القبر
كلاماً ، فاستمعوه يسادى ويقول : أنذرتكم ضيق القبر ، وسوء
عاقبة القضاء .

قال : فكشفوا عنه التراب ، وظنوه حياً ، فوجدوه مكشوف الوجه
ميتاً بحاله التى قبر بها .

ذكر القاضى يحيى بن يزيد التجيبى

قال محمد : سمعت من أهل العلم سمعاً فاشياً :

أن عبد الرحمن بن معاوية الإمام دخل قرطبة ، وقام بالإمامة ،
والقاضى حينئذ يحيى بن يزيد التجيبى . فأثبته على القضاء ولم يعزله .
وكان من قبل ذلك يقال له ، وللقضاة قبله : فلان قاضى الجند ،
فلما امتنع الفهرى بغرناطة ، واضطره الأمير عبد الرحمن ، رحمه
الله ، إلى النزول ، واشترط حضور القاضى يحيى ، فحضر ، وكتب
في كتاب المقاضاة ، وذلك بمحضر يحيى بن يزيد قاضى الجماعة .

قال محمد :

هكذا بلخنى ، وقد رأيت سجلا عقده محمد بن بشير ،
يقول فيه :

حكم محمد بن بشير ، قاضى الجند بقرطبة ، وإن تسمية القاضى
بقاضى الجماعة ، اسم محدث لم يكن فى القديم .

قال محمد :

ولم يختلف على أحد كاتبتنه فى أن يحيى بن يزيد التجيبى
إنما استقضى على الأندلس بالمشرق ، فقدمها قاضياً ، واختلفت
الرواية فيمن ولاء الأندلس ، فرأيت فى بعض الروايات عن ابن
وضاح ، قال : استقضى يحيى بن يزيد على الأندلس عمر بن
عبد العزيز .

قال : وكان يحيى رجلاً صالحاً .
وحدثني عنه أنه اعتزل الحرب عند دخول عبد الرحمن بن معاوية ،
ولم يغمس يده في الدماء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب
إليها طائعاً .

قال محمد : وقال لي بعض رواة الأخبار :
لما قدم بلج بن بشر الأندلس ، وأحدث في عبد الملك بن قطن
الفهرى ما أحدث ، وانتصر أبناء عبد الملك بعبد الرحمن بن عقبة
الذئبي ، وتصرفت الحال بقتل بلج بن بشر ، اتصل الخبر بحنظلة
ابن صفوان الكلبي ، صاحب إفريقية ، فوجه إلى الأندلس أبا الخطار
حسام بن ضرار الكلبي عاملاً عليها ، ووجه معه يحيى بن يزيد
التجيبى قاضياً ، وكان من عرب الشام الساكنين بإفريقية .

قال محمد : وأخبرني غير واحد من أهل العلم :
أن الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، لما دخل القصر تلقاه بنات
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وبقبة عياله ، فقال له بعضهن :
أحسن يا بن عم فقد ملكت ، فأرسل في يحيى بن يزيد القاضى ، ودفع
إليه بقية عيال الفهرى ، وأمره بالحفظ هن .

فلما خرج عبد الرحمن ، رحمه الله ، في طلب يوسف بن عبد الرحمن ،
إلى جهة ماردة ، خالفه يوسف الفهرى إلى قرطبة وظفر له بجاريتين
كان قد علقهما ، فأتاه القاضى يحيى بن يزيد ، فقال له : يا لثيم ،
عبد الرحمن ظفر ببنتك وكرائمك فتأوم^(١) عليهن حتى نقلن إلى
دارك ولم يعرض هن ، وأنت ظفرت بجاريتين له ، لم يستحقا منه

(١) تلوم عليهن : تلبث .

حرمة فأخذتهما ! فتذمم^(١) انهمري ، وقال : والله ما رأيت لواحدة
منهما وجهاً ، فأقبضهما ، وبدأ^(٢) بهما إليه .

قال محمد : ورأيت في بعض الحكايات ، أن محمد بن وضاح ، ذكر :
أن ولد يحيى بن يزيد التجيبى ، كان ممن سعى في الثورة مع يحيى بن
يزيد بن هشام ، وعبد الملك بن أبان بن معاوية بن هشام ، على الأمير
عبد الرحمن ، وأزه قتل معهما ومع أصحابهما بمنية الرصافة .

(١) تذمم : استنكف واستحيا .

(٢) الأصول : « وبرى » .

ذكر القاضى معاوية بن صالح الحضرمى

قال محمد :

أبو عمرو معاوية بن أبى أحمد صالح بن عثمان ، المعروف
بحدير^(١) بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمى ، كان من أهل الشام من
حمص ، يعرف بغناة^(٢) عيس ، دخل الأندلس قبل دخول الإمام
عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله ، فنزل إشبيلية ، وكان عن جلة أهل
العلم ، ورواة الحديث ، شارك مالك بن أنس فى بعض رجاله : يحيى
ابن سعيد ، وغيره ، وروى عن معاوية بن صالح جملة ، وعن أئمة أهل
العلم ، منهم : سفیان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، والليث .
وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وذكر أنه أتاه
مالك بن أنس يوماً إلى داره فانصرف عنه دون أن يصل إليه .

قال محمد :

وذكر محمد بن وضاح ، قال : قال لى يحيى بن معين :

جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت : لا ، قال : وما منعكم

(١) الأصول : « بحرير » براءين ، تحريف • وحدير ، بضم
المهملة الأولى ، كما فى الخلاصة • (وانظر : تهذيب التهذيب :
١٠ : ٢٠٩) •

(٢) كذا . ولم يذكر هذه فى مرجع من المراجع الكثيرة التى ترجمت
له ، وهى : المغرب فى حلى المغرب : ١ : ١٢ ، وتهذيب التهذيب : ١٠ :
٢٠٩ ، وميزان الاعتدال : ٣ : ١٧٩ ، وجذوة المقتبس : ت ٧٩٦ ، وتذكرة
الحفاظ : ١ : ١٦٦) •

من ذلك؟ قلت: قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم، قال: أضعتم والله
علماً عظيماً.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

لما وجه الأمير عبد الرحمن، رحمه الله، معاوية بن صالح إلى الشام،
حج في سفرته تلك، وكتب عنه أهل العراق كثيراً من حديثه.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

ورأيت حديث معاوية بن صالح بالعراق أعز شيء.

ولقد قال لي محمد بن أحمد بن أبي خيثمة:

لوددت أن أدخل الأندلس حتى أقتس عن أصول كتب معاوية
ابن صالح.

قال ابن أيمن:

فأما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته، وكتبته، فوجدتها قد
ضاعت بسقوط همم أهلها.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن:

ولقد تتبعت حديثه في تاريخ أحمد بن أبي خيثمة عند ذكر أهل
الشام، ونقله لأخبار أهل حمص، فلم أجده فيها إلا حديثين
أو ثلاثة.

قال أحمد بن زياد: وحدثني محمد بن وضاح، قال: حدثني

يحيى بن يحيى، قال:

أول من دخل الأندلس بالحديث معاوية بن صالح الحمصي.

قال محمد: وذكر بعض أهل العلم، قال:

كان معاوية بن صالح راوية لحديث أهل الشام ، فطال عمره ، وكان منفرداً به في زمانهم ، ومن الدليل على رياسته وانفراده به ، أن زيد بن الحباب العسكلي^(١) ، وهو من رجال أبي بكر بن أبي شيبة ، مشهور في أهل الحديث ، رحل إلى الأندلس من العراق ، وأخذ عنه كثير من الحديث .

قال أحمد بن خالد : حدثنا أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ، قال : سمعت أبا سعيد الأشج يقول :

أبو الحسين زيد بن الحباب ، مولى لعسكل .

وسمعت عبدة بن عبد الله يقول :

سمعت زيد بن الحباب ، يقول : دخلت الأندلس ، وكتبت عن معاوية بن صالح .

قال محمد :

قدم معاوية بن صالح الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنه ، أرض الأندلس ، فنزل بإشبيلية ، فكان بها حتى قدم الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فلما تمت له البيعة ، واتسقت له الأمور ، أرسل معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبغ ، فأبت الانتقال^(٢) وقالت ، كبرت سني ، وأشرفت على انقضاء أجلي ، ولا طاقة بي على شق البحار والقفار ، وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله .

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٤٠٢ - ٤٠٤) .

(٢) الأصول : « عن الانتقال » .

قال محمد : قال لي محمد بن هبند الملك بن أيمن .

وفي سفرته تلك كتب عنه وجوه أهل العلم .

قال لي : ثم لما صار معاوية إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام ، وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري ، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ، ويتأسفون عليها ، وكان فيهم رجل يسمى : سفر ، فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به ، وغرسه حتى علق ونما وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفري ، نسب إليه .

قال محمد : وذكر أحمد بن خالد ، قال :

لما وجه الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، معاوية بن صالح إلى الشام حج في سفرته تلك ، فلما دخل المسجد الحرام في أيام الموسم ، (و) ^(١) نظر فيه إلى حلق أهل الحديث : عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وغيرهما من نظرائهما ، قصد إلى سارية فصلى ركعتين ، ثم صار إلى معارضة ^(٢) من كان معه ، وذكروا أشياء من الحديث ، فقال معاوية بن صالح : حدثني أبو الزاهرية حدير بن كريب ^(٣) ، عن جبير بن نفير ^(٤) ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسمع بعض أهل تلك الحلق قوله ، فقالوا : أتق الله أيها الشيخ ولا تكذب ، فليس على ظهر الأرض أحد يحدث عن

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) مقروء ريبيرا : « معاوضة » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) تهذيب التهذيب (٢ : ٢١٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٦٤) .

أبي الزاهرية عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء . غير رجل لزم الأنداس ، يقال له : معاوية بن صالح ، فقال لهم : أنا معاوية بن صالح . فانفضت الخلق كلها ، واجتمعوا إليه ، وكتبوا عنه في ذلك الموسم علماً كثيراً .

قال محمد :

ولما قدم معاوية بن صالح من الشام على الأمير عبد الرحمن ولاة القضاء والصلاة .

وغزا الأمير سرقسطه ، وغزا معه معاوية بن صالح ، فكان يحيي الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح لبس قباهه^(١) وسلاحه ، ومضى إلى الصف حيث القتال ، فوقف فيه .

أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : أخبرني علي ، عن ابن أبي شيبه ، قال :

غزا معاوية بن صالح ، وهو قاضي الجماعة ، مع الأمير عبد الرحمن غزاة سرقسطه ، إذ كان يحارب بها ابن الأعرابي ، فكان إذا هتف على الجند إلى الخروج خرج معاوية في كتيبة من جند مصر ، فلا يزال واقفاً في مركزه ، متوكئاً على قوسه ، حتى تنجلي الحرب .

قال أحمد بن زياد : حدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني حرب ، رجل من أهل شبلاذ^(٢) ، قال :

(١) القباء ، بفتحين : ثوب يلبس فوق الثياب ، أو القميص يتمنطق به .

(٢) الأصول : « شبلاذ » آخرها راء ، تحريف ، وما أثبتنا من معجم البلدان (٣ : ٢٥٥) . وشبلاز ، آخرها دال مهملة : قرية بالأندلس .

كنت بقرطبة في مسجدھا الجامع في المقصورة يوم جمعة ، وكان في الجماعة رجل يتنفل ، ويعلن بالقرآن ، إلى أن دخل معاوية بن صالح المقصورة ، وهو يومئذ القاضي وصاحب الصلاة ، فسمع إعلان الرجل بالقراءة ، فمضى إليه فأخذ قلنسوته من رأسه ، ثم رمى بها إلى ناحية من نواحي المقصورة ، والناس مجتمعون ، ثم قال له عند أذنه : إلى حيث انتهت قلنسوتك ثم ينتهي أذاك ، ثم انتهى معاوية إلى موضعه .

فلما سلم الرجل سئل عما قال له ، فأخبر به .

قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان قد زال معاوية خمول^(١) في أيام الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فبينما الأمير جالس في السطح يوما إذ نظر إلى معاوية بن صالح خاطراً في القنطرة ، فذكره وذكر خموله وما صار إليه ، فأرسل فيه ووصله وأعادہ إلى حسن نظره .

قال محمد : سمعت من يقول :

إن سعيد الخير ، ابن الأمير ، شفع له إلى أبيه عبد الرحمن حتى رضى عنه وأعادہ إلى حسن رأيه .

قال محمد :

وكان معاوية بن صالح قد عقد صهرأ مع زياد بن عبد الرحمن ، وذلك أنه أنكحه ابنة له ، تسمى : حميدة ، ومنها ولد زياد ، فعرض لزياد مع ختنه معاوية عارض حُفظ يومئذ ، وتحدث به ، وذلك أن زياداً رغب أن ينظر إلى زوجته في بيت أبيها قبل بنائه بها ، على ما يفعله

(١) المطبوعتان المصريتان : « خمولا » .

بعض الناس ، فتحيل^(١) النساء عليه في ذلك ، وأتين به عند العشاء الآخرة ، فصار في الأسطوان ، فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله ، حتى خرج معاوية إلى الصلاة ، فسمع حس الدابة ، فراه ذلك ، ثم دعا بالمصباح ، فوجد زيادا في مذود الدابة في بعض زوايا الأسطوان ، فزاد على أن قال : استوصوا بنياد^(٢) خيراً ، ثم خرج إلى الصلاة .

قال أحمد بن زياد : أخبرني عيسى بن بكر المعلم ، قال : أخبرني بعض من أثق به بذلك ، عن عامر بن معاوية ، وعن غيره ، قال :

خرج معاوية بن صالح حاجا بعد الحججة التي تقدمت له من أرض الأندلس ، وخرج معه حينئذ زياد بن عبد الرحمن ، فلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس ، فدخل عليه ، وقد كان تقدم له منه سماع في غير سفرته تلك ، وأعلمه بقدم معاوية بن صالح ، فسأله أن يأتيه [به]^(٣) فأتاه [به]^(٣) ، فدخلا عليه ، فسأله معاوية ابن صالح عن نحو مائتي مسألة ، فأجاب مالك عن جميعها فكشف^(٤) زياد بن عبد الرحمن مالكا ، وقال له : يا أبا عبد الله ، كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألتني أحدا قط مثل معاوية بن صالح . ثم كشف^(٥) زياد معاوية عن مالك ، فقال له معاوية : ما سألت أحدا مثل مالك .

قال محمد : قال لي أحمد بن حزم ، قال لي محمد بن عمر بن لبابة .

-
- (١) تحيل : استعمل الحيلة .
 - (٢) الأصول : « بكم » .
 - (٣) تكلمة يستقيم بها الكلام .
 - (٤) مقروء ريبيرا : « فكشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٥) مقروء ريبيرا : « كشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

كان يوسف الفهزى قد أعطى معاوية بن صالح جارية ، فأولدها معاوية ، فلما ولي عبد الرحمن بن معاوية قوماً^(١) على معاوية بن صالح الجارية^(٢) ، فاستحقت عليه ، فسأل معاوية بن صالح عن مسألة نفسه ، وما يجب عليه من الحق فيها .

فقال : شهدت أبا الزاهرية ، وقد اختصم إليه في دعامة في حائط له جل استحقها رجل ، فقضى للمستحق بقيمة الدعامة ، وقال : إن في نزعها ضرراً على الحائط . وأنا أرى أن نزع هذه عن ولدها أشد ضرراً من ضرر نزع دعامة من حائط ، فقبل ذلك منه ، فقومت هكذا .

وأشار ابن لبابة ، فجمع باب كه على كوعه ، ولم يُكشف لها ذراع . قال محمد بن عمر بن لبابة . وكان اسم الجارية : خلة .

قال محمد : قال أحمد بن سعيد ، قال لى عبد الله بن محمد بن أبى الوليد الأعرج :

وكانت خلة هذه المذكورة قبيحة ، وكان لها خادم فائقة الحسن ، اسمها : سعاد ، فكان الناس يقولون : شتان ما بين خلة وسعاد . قال محمد :

وقد اختلف قول مالك بن أنس في أم الولد تستحق^(٣) ، قال مرة : يغرم السيد قيمتها وقيمة ولدها ، حتى نزلت بمالك بن أنس ، في أم ولده ، فأفتى أن يغرم قيمة أم ولد لا غير .

(١) الأصول : « قيم » . وما أثبتنا هو الصواب .
(٢) مقروء ريبيرا : « فى الجارية » وعليه المطبوعتان المصريتان .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن هشام ، عن أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن وضاح ، قال :

شهد الأمير هشام بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، جنازة معاوية بن صالح في الربض ، ومشى في جنازته .

قال خالد : قال لي محمد بن هشام ، وأخبرني عيسى الزاهد ، قال : سمعت يحيى بن يحيى ، يقول :

مات معاوية بن صالح هاهنا ، ودفن بالربض .
قال محمد :

وكان معاوية بن صالح أخ يسمى : محمد بن صالح ، عقبه بالشام كثير ، لم يدخل أحد منهم الأندلس .

قال أحمد بن محمد [بن عبد الملك]^(١) بن أيمن :

رأيت^(٢) رسالة كتب بها البقية من ولده بالشام إلى البقية من ولد معاوية بالأندلس ، نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جماعة ولد معاوية صالح الحضرمي ، من جماعة ولد محمد بن صالح الحضرمي . تولاكم الله بحفظه ، وحافظكم بصنعه ، ومدلكم في نعمته ، وزادكم من إحسانه .

إن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، جعل بين الناس أنساباً يتعاطفون بها ، ويتواصلون عليها ، أوثق عراها ، وأتقن قواها ، وأتم

(١) تكملة يستقيم بها السند .

(٢) الأصول : « قال رأيت » . ويبدو أن قوله « قال » مقحمة ،

الا أن يكون للسند بقية .

وهب الله لسكم العافية ، الشعب الأدنى ، والنسب الأولى ، يجمعكم وإيانا
 الجد المعروف بحدير ، والقراية القرية^(١) ، وإن جرى القضاء باغتراب
 بعض عن بعض ، وشحوظ^(٢) دار عن دار ماسة ، لا يوهن أسبابها تقادم
 الانتزاح ، ولا يعنى على واجب حقوقها بعد التزاور ، وما عندنا -
 أكرمكم الله - من أنفسنا تطلعا إليكم ، ولا ترك من رزقه الله
 الحج منا المسألة عنكم في حجاج المغرب ، طمعا في موافاة بعضكم ،
 وتشوقا إلى استفادة علم خبركم ، فلم يأذن الله أن يوافي سائلنا دالا
 عليكم ، ولا مخبرا عنكم ، حتى وقع بظنوننا ما يقع مثله بالظنون ،
 على فروط الليالى والأيام ، ومرور الشهور والأعوام ، من
 الانقراض والنفور ، حتى أهدي الله لنا علم ما كنا نتطلع إليه
 منكم ، أبعد ما كنا طمعا فيه ، وأشد بأسا ، مع حامل كتابنا هذا
 إليكم ، وهو : أبو الحسارث بشر بن محمد بن موسى القرشى ، فإنه
 صار إلى حمص منصرفه من بغداد ، نافذا^(٣) إليكم ، فسأل عنا ،
 بفضل ما ألزم نفسه لسكم ، إذ كنتم ، على ما ذكر ، أخواله ، وكانت
 أمه أم عمرو بنت محمد بن معاوية بن صالح ، وأحب من الانصراف
 إليكم بخبرنا ، فأخبر بما كنا ، وأرشد إلينا ، وأتانا منه رجل ،
 ظاهر الفضل ، موسوم بالخير ، معه من خبركم ، وعلم أمركم ،
 ما امتلأت به الصدور سرورا وحبورا ، وجعلنا لانكاشفه^(٤) في
 مساءلتنا إياه ، وتقصيدنا على ما عنده ، إلا يكشف لنا عما يزيد

(١) الأصول : « بالقراية » .

(٢) الأصول : « شحوظ » . وما أثبتنا هو المسموع .

(٣) مقروء ريبيرا : « نافدا » ، بالبدال المهملة .

(٤) الأصول : « لا نكشفه » .

النعمة علينا فيكم من الله عظيما في تسنية أقداركم ، وتشريف
مذاهبكم ، فالحمد لله رب العالمين ، المانّ الكريم ، الذي منّ علينا
بما تناهى إلينا عنكم ، وتقرر عندنا من فضل حالكم ، ونسأل الله
إتمام ما حببتم به ، و [أن]^(١) . يزيدكم من كل خير ، ويزيدنا بمزيدكم ،
وأن يعوضكم وإيانا من الفرقة التي كتبها علينا ، فباعد بيننا ،
وشدت جمعنا ، وأن يجمع بيننا في جنانه ، ودار رضوانه ، ومحل
أوليائه ، إنه قريب مجيب .

وكتابتنا إليكم ، حجب الله عنكم كل مكروه ، ونحن من الله في
نعمة ، وكل بلائه عندنا جميل ، وحالنا في خاصة قومنا ، وكافة عترتنا
وجندنا ، الحال التي تحبون في أن نكون بها وعليها ، البسط فيهم ، والتقدم
عليهم . وقد شاهد بشر بن محمد من أمرنا ما لعله سيخبركم به . فحمد الله
وشكراً على إحسانه ، ورغبة إليه في صالح المزيد ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

(١) . تكملة يستقيم بها الكلام .

ذكر القاضى عمر بن شراحيل

قال محمد :

أبو حفص عمر بن شراحيل المعافرى ، أصله من أهل باجّة ، ونزل
بقرطبة فى درب الفضل بن كامل .

ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله - القضاء
بقرطبة ، بعد معاوية بن صالح ، ثم عزله وأعاد معاوية بن صالح ،
فكانا جميعاً يتداولان القضاء ، عاماً معاوية وعاماً عمر ، وأقاما بذلك
مدة من الدهر .

قال : ولقد حدثنى محمد بن وضاح ، عن أدرك أيامهما ، قال :

كان إذا أغفل الأمير - رحمه الله - عزله عند انقضاء العام ، رفع
يدكّره بأمره .

وكان كل واحد منهما إذ عاقه شغل فى يوم من الأيام لم يقبض
لذلك اليوم رزقاً .

وأخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : قال لى أبو مروان
عبيد الله بن يحيى :

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية - رحمه الله - يُدبّل بين معاوية بن
صالح ، وعمر بن شراحيل ، عاماً هذا وعاماً هذا ، فولى عمر بن شراحيل
عاماً من تلك الأعوام ، فلما انقضى العام أقره على القضاء ولم يحركه ،

فكاتب معاوية إلى الأمير عبد الرحمن يحركه في ولايته ويعلمه أن عام صاحبه قد انقضى ، فلما قرأ الأمير عبد الرحمن كتابه أنكره واستفظعه ، وأمر بإدخال معاوية على نفسه ، فلما دخل إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم ، قال : ومثلك يطلب ولاية القضاء ، وقد علمت ما جاء في ذلك من الأثر فيمن طلبها وكل^(١) إلى نفسه فيها ! فقال : أصلح الله الأمير ، وليتني القضاء في أول مرة ، وأنا كاره ، فتوليته ، فلما تولى رأس الشهر رزقتني رزقاً واسعاً توسعت به ، ثم استمر الرزق كل شهر حتى عزلتني عند رأس العام ، فاستقبلت العام الثاني ، الذي كنت فيه معزولاً ، بفضول من رزق العام الأول ، فانقضت تلك الفضول بانتهاء العام ، ثم وليتني فعاد على الرزق ، فكانت هذه حالتى إلى هذا الوقت ، وقد انقضت فضولى الباقية من رزق العام الأول ، وانقضى العام ، فانتظرت الولاية التي يكون بها الرزق ، فأبصأت عنى ، فكاتب إلى الأمير مذكراً ، مع أنه إن طلبت الولاية فقد طلبها من ظله في الأرض خير منى : يوسف ، عليه السلام ، قال : (اجعلنى على خزان الأرض إني حفيظ عليم)^(٢) . فقبل الأمير قوله منه ، وأمر بعزل عمر بن شراحيل ، وتولية معاوية .

قال محمد :

وقد تكررت الأمانة وقضاء الكفور في نسل عمر بن شراحيل ، وقد ولى منهم رجل يكنى بأبي سعيد ، واسمه محمد بن عمر ، قضاء جيبان

(١) كذا .

(٢) يوسف : ٥٥ .

وإستجته (١) ، وكان مقاما عند الخاصة ، رفيع الدرجة عند العامة ،
وعقبه كثير .

(١) استجه ، بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان
وجيم وهاء ، كذا قيدها ياقوت في كتابه معجم البلدان (١ : ٢٤٢)
بالعبارة ، وضبط الجيم ضبط قلم بفتحة ، على حين ضبطت ضبط قلم
أيضا في صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤) بالتشديد .

ذکر القاضی عبد الرحمن بن طریف الیحصبی

قال محمد : قال أحمد بن خالد :

كان من شأن الخلفاء - رحمهم الله - السؤال عن أخبار الناس ،
والكشف عن أهل العلم والخير منهم ، والتعرف لأماكنهم من قرطبة ،
أو غيرها من الكُور ، فكانوا إذا احتاجوا إلى رجل يصلح لخطبة
من خططهم ، استجلبوه ، واحتاج الأمير عبد الرحمن بن معاوية ،
رحمه الله ، إلى تولية قاضى جماعة بقرطبة ، وكان قد بلغه عن رجل
بماردة^(١) ، صلاح وصلابة وورع ، فاستجلبه وولاه ، فسار في
القضاء بأفضل سيرة .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

ومن ولى القضاء لعبد الرحمن بن معاوية - رضى الله عنهما -
عبد الرحمن بن طريف ، من ساكنى مدينته ماردة ، وكان رجلاً
صالحاً ، محمود السيرة .

ولقد قرىء^(٢) على القاضى أحمد بن محمد بن زياد صك^(٣) فيه ذكر
مال وقفه عبد الرحمن بن طريف لأم العباس ، وأم الأصبغ ، أختى

(١) ماردة ، بكسر الراء ودال مهملة : كورة واسعة من نواحي
الأندلس ومعجم البلدان (٤ : ٣٨٩) .

(٢) مقروء ريبيرا : « قرأ » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « صكا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وكان في ذلك الكتاب ، عند ذكر التوقيف: إذ كان المتوفى فلان مولاها ، وجب^(١) لها ميراثه ، وهما غائبان في الشام .

قال محمد : قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن إبراهيم بن الحباب يقول ، عن حدثه :

إن الأمير — رحمه الله — عبد الرحمن بن معاوية دخل عليه حبيب القرشي ، فشكا إليه القاضي عبد الرحمن بن طريف ، وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة أقيم^(٢) فيها عنده ، وادعى علي حبيب فيها الغصب ، والعداء^(٣) ، فأرسل الأمير — رحمه الله — في القاضي ، وتكلم معه في ذلك ، وأمره بالتثبت ، ونهاه عن العجلة ، نخرج ابن طريف من فوره ، وأرسل في الفقهاء والعمدول ، فنفذ القضية على حبيب ، وسجل وأشهد ، فدخل حبيب على الأمير فأغراه بالقاضي ، ووصفه بالبغض^(٤) له ، والاستخفاف به ، فغضب الأمير غضباً شديداً ، وأرسل إلى القاضي ابن طريف ، وأدخله على نفسه ، ثم قال له : من أقدمك أن تنفذ الحكم بعد أن أمرتك بالتثبت والأناة ؟ فقال له ابن طريف : أقدمني الذي أقعدك هذا المقعد ، ولولاه ما قعدته ، فقال له الأمير : قولك هذا أعجب من فعلك ، ومن أقعدني هذا المقعد ؟ فقال : رسول رب العالمين ، فأولا قرابتك منه ما قعدت

(١) مقروء ريبيرا : « ووجب » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) الأصول : « قيم » . والذي أثبتناه أحق . وأقيم : أى فوض .

(٣) العداء ، بفتحيتين : الاعتداء .

(٤) الأصول : « بالبغضة » ، والبغضة ، بالكسر : مصدر بغض

الشيء ، ككرم ، إذا كان كريها . وما أثبتنا مصدر : بغض فلان الشيء ،

بفتحيتين ، إذا كرهه ومقته .

هذا المقعد ، وإنما بُعث بالحق ليقضى على القريب والبعيد . ثم قال له القاضى : أيها الأمير ، ما الذى يملك على أن تتحمل لبعض رعييتك على بعض ، وأنت تجد من ذلك وجهاً : أن ترضى من تعنى به من مالك ؛ فقال له الأمير : ففعل الذين استحقوا الضيعة أن يبيعوها فأشترىها لحبيب من مالى ، وأرضيتهم فى ثمنها ، فقال له ابن طريف : إذن أرسل فى القوم وأخاطبهم فى ذلك ، فإن أجابوا إلى البيع وإلا فإن حكى قد نفذ (١) .

فخرج القاضى ، فأرسل فى القوم ، وتكلم معهم فى الضيعة ، فأجابوا إلى البيع ، إن أجزل لهم الثمن .

فكان حبيب يقول ، بعد ذلك : جزى الله عنى ابن طريف خيراً ، كانت يدي ضيعة حرام فجعلها ابن طريف حلالاً .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم ، يقول :

إن حبيباً كانت له مع ابن بشير قصة تشبه هذه القصة ، فكان حبيب يلقاه من بعد فيقول : يا بنى أنت ، أردنا أن نأكل الحرام فأبيت إلا أن تجعله حلالاً .

(١) مقروء ريبيرا « نفذ » بالنال المهملة . وعنه المطبوعتان
المصريتان .

ذكر المتأصفي المصعب بن عمران الهمداني

قال محمد :

هو : المصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن زيد بن عمرو بن امرئ القيس بن زيد الهمداني ، من العرب الشاميين ، ومكتبته في جند حمص ، دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية — رضي الله عنهما — فنزل بكورة جيان بقرية باذو^(١) ، ثم رحل إلى موضع من عمل قرطبة بجوفي المدور^(٢) الأدنى إليها ، وكان سكناه بقرية تعرف بغليار^(٣) في الجبل من إقليم المدور .

وكان أبوه عمران من جند هشام بن عبد الملك بالشام ، وكان قد تزوج امرأة من بني حاطب بن أبي بلتعة ، وتزوج الأمير عبد الرحمن أخت تلك المرأة . وولد له منها سليمان ، ابنه ، والسيدة ، ابنته ، وقد لحقت مع أبيه ، ودفنت بمقبرة الربض .

قال محمد : ورأيت في بعض الأخبار .

أن هشام بن عبد الرحمن — رحمه الله — لما أدرك ، وخرج من القصر إلى داره ، انتهى إليه زهد مصعب بن عمران ، وورعه ،

(١) كذا .

(٢) المدور ، ضبطت ضبط قلم في معجم البلدان (٤ : ٤٥٠) بفتح فضم ، وضبطت ضبط قلم أيضا في صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤٢) بضم ففتح فواو مشددة مفتوحة .

(٣) كذا

فاستجلبه إلى نفسه واستخلصه ، وجعله وزيره وسميره ، فلما احتاج
الأمير إلى قاضى جماعة ، أشار هشام بالمصعب ، فقبل ذلك منه
هنا (ص : ٦٩) .

وكان مسكنه بقرطبة ، إذولى قضاءها ، برحبة عبد الرحمن بن
معاوية ، رحمهم الله .

وكان كاتبه محمد بن بشير المعافرى .

وكان مصعب فى قضائه من أهل العدل ، والسيرة المحمودة ،
صلبا فى الحق ، منفذاله على الخاصة والعامة .

وكان ذلك أيام هشام - رحمه الله - ثم توفى هشام ، فأقره
الحكم بن هشام - رضى الله عنه - على قضاء الجماعة وعلى الصلاة ،
وكان يعرف صلابته وتنفيذه ، فكان يؤيده ولا يفتى فى عضده ،
وينجز أفعاله ، وينفذ أحكامه ، وإن وقعت بغير المحبوب .

قال محمد :

ورأيت فى بعض الحكايات أن العباس بن عبد الله المروانى
غضب ضيعة من رجل ، بجيان ، وتوفى الرجل وترك أطفالا ، فلما
بلغوا وانتهى إليهم عدل مصعب بن عمران ، قدموا قرطبة وأنهوا
إليه مظالمهم ، وأثبتوها عنده ، فبعث القاضى فى العباس بن عبد الله
وأعلمه بما ذكر القوم ، وعرفه بالشهود عليه ، وأباح له المدفع ، وضرب
له أجلا بعد أجل ، فلما انصرفت الآجال ، وعجز عن المدفع ، أعلمه
أنه ينفذ الحكم عليه . فدخل العباس على الأمير الحكم - رحمه
الله - وسأله أن يوصى القاضى بالتخلى عن النظر ، وأن يكون
الأمير الناظر بينه وبين خصمه ، فدعا الأمير بفتى له ، يسمى : بزنت ،
وأرسله إلى مصعب بن عمران بأن يتخلى عن النظر ، فلما أدى الفتى

الوصية ، قال له مصعب : إن القوم قد أثبتوا حقهم ، ولزمهم في ذلك الأمير ، فدعا معصبا إلى القضاء ، فأباه^(١) ، على ما وصفته في صدر الكتاب في باب : من عرض عليه القضاء فأبى قبوله^(٢) ، وانصرف إلى منزله .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

فلما ولي الخلافة هشام بن عبد الرحمن - رحمه الله - أرسل في مصعب بن عمران إلى ضيعته ، فذكر أنه أتاه الرسول وزوجته تنسج في منسج لها ، والمصعب بين يدي المنسج يعمل لها الوشائع^(٣) ، ففتحت^(٤) المرأة بإصبعها في المنسج ، ثم قالت له : ترد القضاء أيضا على هذا الأمير كما رددته دلي أبيه ، ثم ترجع إلى وشائع المنسج ؟

فلما قدم المصعب على هشام ، قال له : قد علمت أنه إنما منعك من قبول القضاء من أبي الأخلاق التي كانت له ، وقد عرفت أخلاقي ، فتول^(٥) القضاء ، فأبى عليه ، فعزم عليه هشام - رحمه الله - عزماً شديداً حتى ولي القضاء .

وكان يخطب بالناس ، ويصلي بهم ، إذا غاب الأمير هشام ، فاشترط على الأمير هشام ، إذا قبل منه القضاء ، أن يأذن له في اطلاع^(٦) ضيعته كل يوم سبت ويوم أحد ، فرضى له بذلك .

-
- (١) الأصول : « فأبى منها » . والوجه ما أثبتنا .
(٢) الأصول : « من قبوله » . والوجه ما أثبتنا .
(٣) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي المكوك ، وكل لفيفة من القطن المندوف .
(٤) كذا .
(٥) الأصول : « فتولى » .
(٦) اطلع اطلاعا ونظر .

عناء طويل ، ونصب شديد ، لبعده مسكانهم ، وقد ثبتت دعواهم ،
ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم . فرجع الفتى وأدى ما قال إلى
الأمير - رحمه الله - فجعل العباس يغريه ، ويقول له : قد أعلنت
الأمير باستخفافه ، وأنه يرى أن الحكم له لا للأمير . فصرف
الأمير الحكم - رحمه الله - الفتى إليه ، يقول له : لا بد أن
تكف عن النظر بينهم ، وأن أكون أنا الناظر في ذلك . فلما عاد
الفتى إلى مصعب بذلك من عند الأمير ، أمره بالعودة ، ثم أخذ كتاباً
فعمد حكمه للقوم بالضيعة ، ثم نفذه بالإشهاد فيه ، ثم قال للفتى :
اذهب فأعلمه أني قد أنفذت ما لزم منى إنفاذه من الحق ، فإن أراد ان
ينقضه فذلك إليه يتقلد منه ما شاء . فذهب الفتى فحرف كلام القاضى ،
ونقل عنه إلى الأمير أنه قال : قد حكمت بحكم العدل فينقضه
الأمير إن قدر . فأطرق الأمير الحكم - رحمه الله - وجعل
العباس يغريه ويوقد غضبه ، وثاب إلى الحكم من توفيق الله
وعصمته ، التي اكتتف^(١) بها خلفاءه ، ما صار به إلى ما هو أشبه
بخلافته ، وأليق بإمامته ، فقال للعباس : ما أشقاه من لطمه قلم القاضى !
ثم رجع إلى ما كان فيه ، ولم يعرض للقاضى ، ونفذ له حكمه .

وذكر بعض أهل العلم ، قال :

اعتل مصعب في ضيعته . فكشف عنه الأمير الحكم - رحمه
الله - فذكرت له علته ، فخرج متنزهاً إلى جهة المدور^(٢) ، فقصدته إلى
داره ونزل عليه في منزله ، فقال له مصعب : إن الأمير - أعزه

(١) اكتتف : أحاط .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٢ ، ص : ٦٧) .

الله — قد خرج للتروح ، فإن رأى (١) أن يكون صدره (٢) على^٣
فليفعل ، فاستعد له بطعام يصيبه ، فركب الحكم ، رحمه الله — فقضى من
تروحه وطرا ، ثم انصرف إليه ، فأحضر طعامه . ثم نظر الحكم إلى
خادم لمصعب تسمى : علة ، فاستسقاها ماء ، فقال لها مصعب : كفى
يا علة ، ونادى بابنة له تسمى : ككوية ، فقال لها : اسقي مولاك ماء ،
فقامت الصبية وسقته ، وتولت خدمته ، فقال له الحكم — رحمه
الله — : هذا لقب أو اسم ؟ فقال له : بل اسم جدتي ، أم حاطب بن
أبي بلتعة ، فسمها النساء به على عادتهن في الأسماء ، فقال له الأمير
الحكم — رضى الله عنه — : إن وهبني الله ابنة سميتها باسمها ، فولدت له
ابنة ، فسمها بذلك الاسم ، وهو أول من سمى بهذا الاسم من الخلفاء ، رضى
الله عنهم .

وتوفي مصعب من تلك العلة ، وترك ولدين ، وعقبه باق ، ولم
تزل الخلفاء — رضى الله عنهم — على محافظه لهم .

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار :

أنه توافى على باب الأمير الحكم — رحمه الله — جملة من الناس
شقي ، يذكرون كفايتهم في الخنمة ، ويسألون الأمير أن يشتروا له
من مواليتهم ، فأمر أن يسألوا عن أسماء مواليتهم ، فكان فيهم عبد لولد
مصعب ، فأمر الحكم — رحمه الله — بزجره ، وقال : من يخدم ولد
القاضي ، لو مات لهم هذا العبد لأخلفت لهم مكانه ، فكيف أن
أنزعه منهم ؟

(١) مقررٌ ريبيرا : « وأى » .

(٢) الصدر : الصدور ، وهو الرجوع .

قال محمد :

ولم يكن مصعب بالمتسع في علم السنن ، ولا في رواية الأخبار .
قال أحمد بن زياد : حدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني يحيى
ابن يحيى :

أن زياد بن عبد الرحمن أول من دخل الأندلس بالفتوح والحلال
والحرام ، وهو أول من أظهر سنة تحويل الأردية في الاستسقاء ،
وصاحب الصلاة والحكومات يومئذ ابن شفي ، فقال ، على الجهل
منه : هذا قدر نشرة (١) .

قال يحيى :

نخرجت من هاهنا إلى المشرق ، ولقيت مالك بن أنس ، والليث
ابن سعد ، ومن دونهما ، فوجدت ستة تحويل الرداء معروفة فاشية .

قال محمد : وذكر عبد الملك بن الحسن ، قال سمعت محمد بن بشير ،
يقول : سمعت مالك بن أنس ، يقول :
تكاد أحاديث ابن عمران تكون سيرا .

قال محمد :

فلا أدري أي ابن عمران أراد ؟ إن كان مصعب بن عمران ،
لأز ابن بشير كان كاتبه ، فلعلة كان يحكي له أخباره ، أو أراد : محمد بن
عمران الطلحي قاضي المدينة ، والأقرب أن يكون المراد مصعب بن
عمران ، لمجالسة ابن بشير له ، وأنه كان كاتبه ، وأعرف الناس بأخباره .

(١) كذا .

ذکر القاضی محمد بن بشیر المعافری

قال محمد :

كان محمد بن بشير بن شراحيل المعافري ، أصله من جنده بأجدة ،
من عرب مصر .

قال أحمد بن خالد :

طلب محمد بن بشير القاضي العلم بقرطبة ، عند شيوخ أهلها ،
حتى أخذ منه بحظ وافر ، ثم كتب لأحمد أولاد عبد الملك بن عمر
المرواني ، لمظالمه نالته ، على وجه الاعتصام به ، وتصرف معه
تصرفا لطيفا ، ثم انقبض عنه وخرج حاجًا .

قال محمد :

وكتب محمد بن بشير في حديثه للقاضي مصعب بن عمران ، ثم
خرج حاجًا ، فلقى مالك بن أنس ، وجالسه وسمع معه ، وطلب العلم
أيضا بمصر ، ثم انصرف فلزم ضيعته في بأجدة .

قال محمد : أخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :

لما توفي المصعب بن عمران شاور الحكم — رضى الله عنه —
العباس بن عبد الملك المرواني فيمن يوايه قضاء قرطبة ، فقال له
العباس : إن مصعب بن عمران ، وإن كان حكما على فأغضبني
فنافرته ونايذته ، فليس ذلك بالذي يبلغني إلى الطعن عليه في فضله
وحسن اختياره .

وقد كان اختياره وقع على محمد بن بشير ، فاستكتبه ، معرفتي أنا بابن
بشير إذ تولى الكتابة لأخى إبراهيم ، فقبل الأمير — رحمه الله —
رأى العباس ، وأمر باستقدام محمد بن بشير .
قال محمد : رأيت في بعض الكتب :

أن محمد بن بشير ، لما أتى فيه رسول الأمير ، أتى وهو لا يعلم
ما يراد به ، فلما صار بسهل^(١) المدور ، مال إلى صديق له كان بها من
العباد فنزل عليه ، وتحدث معه في أمر نفسه ، وذكر أنه يتوقع أن
يضم إلى الكتابة التي تخلى عنها ، فقال له صديقه العابد : ما أراك
إلا بعث فيك للقضاء ، لأن القاضي توفي بقرطبة ، وهي الآن بلا قاض .
فقال له ابن بشير : إذ قلت هذه المقالة ، وتوهمت هذه الحالة ، فأنا
أستشيرك في ذلك ، وأسألك أن تنصح لي ، وتشير بالصواب علي ،
فقال له العابد : أسألك عن أشياء ثلاثة فاصدقني فيها ثم أشير عليك
بعد ذلك ، فقال له محمد بن بشير : ما هي ؟ قال له : كيف حبك لأكل
الطيب ، ولباس اللين ، وركوب الفساره ؟ فقال له : والله ما أبالي
ما رددت به جوعتي ، وسرت به عورتى ، وحملت به^(٢) رجلى^(٣) ،
فقال له العابد : هذه واحدة ، ثم قال له : كيف للتمتع بالوجوه^(٤)
الحسان ، وما يشاكل ذلك من الشهوات ؟ فقال له محمد بن بشير : هذه
حالة والله ما استشرفت نفسي قط إليها ، ولا خطرت ببالي ، ولا اكترثت
يفقدها . قال له العابد : هذه ثانية ، فكيف حبك لمدح الناس وثنائهم
عليك ، وكرهتك للعزل ، وحبك للولاية ؟ فقال له : والله ما أبالي في

(١) الأصول : « بسهلة » .

(٢) كذا . يريد : ما تحاميت به واتقيت .

(٣) الرجلثة ، بالضم : أن تمشى راجلا ، ليس لك ما تركبه .

(٤) الأصول : « الوجوه » .

في الحق من مدحني أو من ذمني ، وما أسر بالولاية ، ولا استوحش للعزل ، فقال له العابد : فاقبل القضاء ، فلا بأس عليك .

فقدم قرطبة ، فولاه الحكم ، رحمه الله ، قضاء الجماعة والصلاة .

قال محمد :

فن مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها ، أن محمد بن بشير من عيون قضاة الأندلس ، ومن وجوه أهل القضاء بها ، كان شديد الشكيمة ، ماضي العزيمة ، مؤثراً للصدق ، صلباً في الحق ، لا هوادة عنده لأهل الحرم ، ولا مراهنة في أحكام السلطان ، ولا يعبأ بجميع^(١) أهل الخدمة ، ولا بمن^(٢) لاذ بالخليفة من جميع الطبقات .

قال أحمد بن خالد :

كان أول ما أنفذه محمد بن بشير من أحكامه التسجيل على الأمير الحكم — رحمه الله — في أرحاء القنطرة ، إذ قام عنده فيها بعض من قام ، فسمع من البيضة فيها ، ثم أعذر إلى الأمير — رحمه الله — ثم سجل فيها وأشهد ، ثم ابتاعها للأمير الحكم بعد ذلك ابتياعاً صحيحاً .

فكان الأمير الحكم بعد ذلك يقول : رحم الله محمد بن بشير ، فقد أحسن فيما فعل بنا ، كان في أيدينا شيء مشتبه فصحيحه لنا ، وصار حلالاً طيباً ، فطاب لنا ملكه .

قال محمد بن وضاح :

(١) الأصول : « على جميع » .

(٢) الأصول : « ولا على من » .

حكّم محمد بن بشير على ابن فطيس ، ولم يعرفه بالشهود ، فرفع ابن فطيس بذلك إلى الأمير الحكّم ، رحمه الله .

فأمضى^(١) الأمير إلى ابن بشير : إن ابن فطيس ذكر أنك حكمت عليه بشهادة قوم ولم تعرفه بهم ، وإن أهل العلم يقولون : إن ذلك له .

فكتب إليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه ، لأنه إن لم يجد سبيلا إلى تجريحهم طلب أذاهم في غير ذلك ، حتى يجلبهم عن^(٢) أموالهم .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن فطيس ، قال : حدثنا يحيى بن يوسف بن يحيى المعافري : أنه سمع عبد الملك بن حبيب ، وذكر محمد بن بشير ، فقال :

كان من خيار المسلمين ، وذكر عدله .

قال عبد الملك : وكان يصلي بنا الجمعة وعليه قلنسوة خز .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن بشير يقضى في سقيفة معلقة بقبلي مسجد أبي عثمان ، وكانت داره في الدرب الذي بقبلي ذلك المسجد ، وكان إذا قعد للقضاء جلس وحده ، لا يجلس معه أحد ، وخر يبطه بين يديه ، ويتولى أكثر الكتاب بيده ، فيتقدم الخصوم على كسب^(٣) ، فيقف الخصمان على أقدامهما ، فيدليان بحجتهما ، ثم يفصل بينهما ، وينصرفان .

(١) مقروء ريبيرا : « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « من » ، وهذا الفعل يتعدى بالحرف : « عن » .
(٣) مقروء ريبيرا : « كتبه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وكان يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبل الظهر بساعة ، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى العصر ، لا يكون نظره غير السماع من البيئات ، ولا يسمع من بينة في غير ذلك الوقت ، وكان لا يخاليه أحد في مجلس نظره ، ولا في داره ، ولا يقرأ كتاباً لأحد في سبب من أسباب الخصومة .

قال محمد بن وضاح :

ولما ولي القضاء محمد بن بشير طابع طوابع^(١) عشرة ، فلم تزل في خريظته إلى أن مات ، كان إذا أتاه الرجل يسأل الطابع ، كاشفه عن^(٢) يجبه ، فإن كان قريباً بقرطبة أعطاه طابعا ، وأمر الكاتب برقم^(٣) اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الصابع ، ويقول : إياك إن كنت ظالماً أن تقدم على أحد بطابعي ، ويعهد إليه بصرف الطابع بعينه ، وإن كان بعيداً أجل له بقدر ذلك .

فلم تزل تلك الطوابع تتردد على يديه حتى توفي .

وذكر بعض الرواة ، قال : شهد رجل من أكابر أهل زمانه مع رجل كان رفيقاً للقاضي ، في حجه ، وكان الناس يعدونه أثيراً عنده ، وأميناً لديه ، فقال للمشهود له : زدني بينة . وشاع ذلك في الناس ، وعلموا أن الشاهد الأول قبله ، وأن صديقه ورفيقه هو المردود الشهادة ، فقال له الخصم : يعرفني القاضي بمن قبل من شاهدي

-
- (١) مقروء ريبيرا « طابع » وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « كاشفه فيمن » وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٣) مقروء ريبيرا : « بزم » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وبمن لم يقبل ، لأعد له ، فقال له : الذى لم أقبل لا ينفحك تعديله
عندى ، وهو فلان ، صاحبي ورفيقي .

قال : فلما تكلم بذلك القاضى أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر
على عيون الناس ، فقال له : أيها القاضى ، قد علمت أنى لا أقدر على
مخالاتك وسؤالك عما أحب أن أسألك عنه ، إلا فى هذا المأ ، وقد
رأيت أن أوقف نفسى بين يديك هذا الموقف ، وأسألك عن السبب
الذى أوجب ردك لشهادتى ، فقد علمت أنه جمعنى بك المنشأ ،
والحضار^(١) ، وطلب العلم ، وطريق الحج ، واطلعت من باطنى
على مثل ما اطلعت من باطنك ، فعرفنى السبب الذى أنكرت على
لأعرفه ، وأعترف بخطئى فيه أمام هذه الجماعة ، فقال له ابن بشير :
صدقت ، قد جمعنى بك ما ذكرت ، وعرفتنى كما وصفت ، وما أعثرت^(٢)
لك من خربه^(٣) فى دينك ، ولكن صدرنا عن الحج ونزلنا بمصر ،
وابتدأنا بالسماع من شيوخنا وعملنا على المقام بها ، فقلت لى : إن
الغربة قد أضرت بى ، وإنى أحببت ابتياع جارية ، فحسنت ذلك لك ،
واستعرضت الرقيق ، فقلت لى : إنى وجدت جارية تساوى على
وجهها كذا وكذا ، ويدها صنعة ، ويسأل بها صاحبها من أجل
صنعتها كذا وكذا ، أكثر مما تساويه بغير صنعة ، فقلت لك : لا حاجة
بك إلى صناعتها ، وأما أن تبتاعها للبتعة فدعها وابتع غيرها ، فإنها
تقوم لك مقامها ، فلامعنى للزيادة فيها ، فأظهرت منى القبول ،

(١) الحضار : الغدو والرواح ، يريد زمن الصبا .
(٢) أعثره على الأمر : أطلعه عليه .
(٣) الخربة : الزلة والعييب .

ومضيت فابتعتها وزدت فيها على قدرها ، فلما رأيت الشهوة قد غلبتكم
في ابتياع تلك الجارية ، وإتلافك المال في المغالاة فيها ، خشيت أن
تكون مثل تلك الشهوة قادتك إلى الشهادة لمال تأخذه ، أو ميل
تميله ، فاحتطت لديني ، ولم أجدني في سعة من قبول شهادتك .

قال محمد :

وشهد عنده رجل من إخوانه من أهل الخاصة به والتسكّر عليه ،
يكنى بأبي اليسع ، فرد شهادته ، فبلغ الرجل ما كان منه ، فتصدى له
وهو راح إلى الجامع ماشياً ، فقال له : على خاصتك بك ، ومحبتى لك ،
ترد شهادتى عندك ؟ فقال له محمد بن بشير : الورع يا أبا اليسع !
الورع يا أبا اليسع ! مرتين لم يزد على ذلك .

قال محمد بن أحمد الشيباني الزاهد : سمعت محمد بن وضاح ، يقول :
أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد
الجامع يوم الجمعة ، وعليه رداء معصفر ، وفي رجليه حذاء يصر^(١) ،
وعليه جمة مفرقة ، ثم يقوم فيخطب ويقضى ، وهو في هذا الزى ،
وإذا رام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من الثريا .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس ، ويدور على ألسنتهم من أخبار محمد بن بشير :
أنه أتاه رجل لا يعرفه ، فلما نظر إلى زى الحدائث من الجمة المفرقة ،
والرداء المعصفر ، وظهور الكحل ، والسواك ، وأثر الحناء في
يديه ، لم يتوسم فيه^(٢) القضاء ، فقال لبعض من يجلس إليه : دلوني

(١) يصر : يصوت .

(٢) الأصول : « عليه » والوجه ما أثبتنا .

على القاضى ، فقيل له : هاهو ذا ، وأشير له إلى القاضى ، فقال لهم :
إنى رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بى ، وأنا أسألكم عن القاضى
وأتم تدلوننى على زامر ، فزجر من كل ناحية . وقال له ابن بشير :
تقدم فاذكر حاجتك . فلما أيقن الرجل أنه القاضى تدمم واعتذر ،
ثم ذكر حاجته ، فوجد من العدل والإنصاف فوق ظنه .

قال محمد :

وكان محمد بن عيسى كثير النادر ، كثير التطنيب ، فكان إذا رأى
الرجل من أصحاب محمد بن بشير قال له : متى رأيت عشر الدلال ، ومتى
تمضى إلى عشر الدلال ؟ فبلغ ذلك محمد بن بشير من قوله ، واستفاض
عنده ، فأحفظه ذلك ، فلما اجتمع معه عطف عليه محمد بن بشير ، فقال
له : أبا عبد الله ، إن الشر لا يعجز عنه أحد ، وكل من رضى به قدر
عليه ، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبر ، ومن يقوم على نفسه
بالرياضة المحمودة ، فأقصر عما بلغنى عنك ، فإنه أجمل بك .

قال محمد :

وهذا المعنى الذى أتى به محمد بن بشير قد قاله مالك بن أنس لبعض
الشعراء ، حدثنى به بعض أهل العلم بمدينة تونس ، قال :

اختصم رجلان إلى عامل المدينة ، أحدهما شاعر ، فرفعهما إلى
مالك بن أنس ليفصل بينهما ، فتكلما عند مالك بن أنس وتناظرا ،
فحكّم مالك على الشاعر لصاحبه ، فقال الشاعر ، وقد أحفظته^(١)
فنيا مالك عليه : أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذى قضيت به

(١) مقروء ريبيرا : « أحفظه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

عليّ؟ إنما صرفنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل ، أما والله لأقطعن ظهرك هجاء ، ثم خرج عنه ، فأمر مالك بن أنس أن يُصرف إليه ، فصرُف ، فقال له : يا هذا ، تدرى بأى شيء وصفت نفسك؟ بالسفه والدناءة ، وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد ، ولكن عليك بما تنقطع الرقاب دونه ، وهو الكرم والمروءة .

حدثني أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال :

كان فيما يجاورنا شيخان من أهل العدل في ذلك الزمان ، وكانا صديقين لمحمد بن بشير ، متذكرين عليه ، يظن بهما خيراً ، ويحسب عندهما فضلاً ، كان أحدهما جد أحمد بن بشير ، المعروف بابن الأغبس ، فتوفي رجل من تجار قرطبة ، عظيم النعمة ، فقام مملوك له عند القاضي محمد بن بشير ، يذكر أن مولاه المتوفى أعتقه ، وأنه أنكحه ابنته ، وأوصى إليه بماله ، فدعاه بالبيضة على ما ادعاه ، فأتاه بالشينيين ، فشهدا عنده على مازعم المملوك ، فأنفذ شهادتهما ، وقضى للملوك بما قال ، ثم لم يلبث أحد الشاهدين إلا مدة يسيرة ، حتى حضرته الوفاة ، فأوصل^(١) إلى القاضي : إني أريد أن أراك ، وكان على القاضي حضور جنازة بمقبرة بلاط مغيث ، فلما صدر عنها دخل عليه ، فلما بصر به الشاهد ، وهو في مرضه وكرهه يعالج الموت ، جثا على ركبتيه وجعل ينجر^(٢) إليه ، فقال له القاضي : ما شأنك؟ ما عرض لك؟ وظن به خبالاً من العلة التي به ، فقال له الرجل : أنا في النار إن لم تنقذني منها ،

(١) مقروء ريبيرا : « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « ينجز » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وينجر إليه : ينجذب إليه .

قال له محمد بن بشير : يحيرك الله من النار ، إن شاء الله ، فما خبرك ؟ فقال له الرجل : الشهادة التي شهدت بها عندك لفلان المملوك ، مملوك فلان ، لم يكن شيء منها ، فأتق الله وافسخ الحكم ، وانقض ما انعقد منه ، فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه في ركبتيه ثم قام ، وجعل يقول : مضى الحكم وأنت إلى النار ، مضى الحكم وأنت إلى النار ، وخرج عنه .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن عبد الأعلى ، عن حدثه : أن محمد بن بشير ولى القضاء بقرطبة مرتين ، وأنه لما عزل المرة الأولى انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعد : سمعت أحمد بن بسّيق القاضي ، يقول : كان بعض إخوان محمد بن بشير^(١) يعاتبه في صلابته ، ويقول له : أخشى عليك العزل ، فكان يقول : ليته ، من قد رأى الشقراء - يعنى بغلته - تقطع بي الطريق إلى باجة .

فامضى إلى إيسير حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابته ، فكانت سبباً لعزله كما يتمنى .

فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتى فيه ركاض^(٢) من قبل الأمير -

(١) الأصول هنا ، وفيما سيأتى بعد قليل : « محمد بن سعيد ابن بشير » .

والمراجع التي ترجمت له ، مثل : بغية الملتبس للضبى (ت : ٦٩) والمغرب لابن سعيد (ت ٧٦) وتاريخ قضاة الأندلس للنباهى (ص : ٤٧) والتكملة لابن الأبار (ص : ٩٠) والنفح للمقرئ (١ : ٥٥١) على نه : محمد بن بشير .

(٢) ركاض ، أى عاد مسرع ، صفة مبالغة من الركض .

رحمه الله — فرفعه إلى قرطبة ، فلما كان ببعض الطريق عدل إلى صديق له من أهل الزهد ، فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل في الأمير أنه يريد إعادتي إلى القضاء مرة ثانية ، فما ترى ؟ فقال له صديقه الزاهد : إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك ، وإن كنت تخاف ألا تعدل فترك الولاية أفضل لك ؛ قال محمد بن (١) بشير : أما الحق فلست أبالي على من أدوته ، إذا ظهر لي من قريب أو بعيد ، فقال له صديقه الزاهد : لست أرى لك أن تمنع الناس خيرك .

فلسا قدم أعاده الأمير إلى القضاء ، فعدل في ذلك .

قال خالد بن سعد : وأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما منع محمد بن بشير من بعض الخاصة ، وقصرت يده عنه ، حلف بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك على المساكين إن حكم بين اثنين ، فعزله الأمير الحكم ، فلما أراد رده إليها ثانية اعتذر إليه بتلك الأيمان رجاء أن يعافيه ، فأخرج إليه الأمير جارية من جواريه ، ومالا عوضاً عن ماله ، فقبل القضاء ثانية .

أخبرني من أثق به ، عن أحمد بن زياد ، قال : [قال] (٢) محمد بن وضاح : أخبرني قاسم بن هلال ، قال :

دخلنا على محمد بن بشير نعدل (٣) عنده رجلا ، فقال : احلفوا

(١) الأصول هنا : « محمد بن سعيد بن بشير » أنظر الحاشية (رقم : ١ من الصفحة السابقة) .
(٢) تكملة يستقيم بها السند .
(٣) مقررء ريبيرا : « يعدل » وعليه المطبوعتان المصريتان .

بالله الذى لا آله إلا هو أنه عدل رضى ، فقالوا : أييمين ؟ أصلحك الله !
فقال : والله لا كتبت بها حتى تحلنوا .

قال قاسم بن هلال :

وكننت أحدث القوم سننًا ، فتسللت .

فقييل لابن رضاح : فما صنعوا ؟ قال : لا أدرى .

قال محمد :

وكان محمد بن بشير إذا اختلف عليه العلماء ، وأشكل عليه الأمر ،
كتب إلى مصر ، إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وإلى عبد الله بن وهب .
أخبرني عثمان بن محمد ، قال : أخبرني يزيد بن يحيى ، عن
أبيه ، قال :

حملني محمد بن بشير أن أسأل له ابن القاسم عن مسائل ، وحمل
أيضا ذلك محمد بن خالد ، فلما قدمت مصر سألت عنها ابن القاسم ،
فأجابني ، فكتبت عنه جوابه .

وقدم محمد بن خالد من المدينة ، فسأله عن تلك المسائل بأعيانها ،
فأجابه فيها ، وكتب عنه ، فاجتمعت مع محمد بن خالد فامتحننت ما أجابه
به ابن القاسم في مسائله ، فأصبتها مخالفة لما أجابني به ، فأتيت ابن القاسم
فأعلمته بذلك ، وقلت له : إن قدمنا البلد بأجوبة مخالفة أدركت كل
واحد منا التهمة في نقله عنك ، وأوقعت القاضى في شبهة وشك ،
فاحتاج أن يكاتبك ثانية ، فقال : صدقت ، فأرسل في محمد بن خالد ،
فقال له : أجبتك وقلبي مشغول ، ولكن رد الأجوبة إلى ما كتب
عنى يحيى ، ففعل ، وأتينا بأجوبة متفقة ، وكان محمد بن بشير جيد
الخطبة حسن الإدراك .

قال لى بعض أهل العلم :

كان ربما قبل الشاهد على التوسم والفراسة ، وكان ربما كشف
فى السر عن البيئته .

قال لى عثمان بن محمد ، قال : [قال]^(١) لى عبيد الله بن يحيى ،
قال : [قال]^(١) يحيى لمحمد بن بشير القاضى : إن الحالات تتغير ،
فإذا عدل عندك الرجل فحكمت به ، ثم تطاول أمره وشهد عندك
ثانية ، فكلفه التعديل وأعد فيه الكشف ، فقبل ذلك ابن بشير ، فليأ شعر
الناس بذلك أخذوا منه حذرهم .

قال محمد :

وكان يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيما لمحمد بن بشير ، وأحسنهم
عليه ثناء فى حياته وبعد وفاته .

سئل^(٢) يحيى بن يحيى عن لباس العمائم ، فقال : هى لباس الناس ،
وعليه كان أمرهم فى القديم ، فقليل له : لو لبستها لاتبعك الناس فى لباسها ؟
فقال : قد لبس ابن بشير الخنز فلم يتبعه الناس ، وكان ابن بشير أهلا
أن يقتدى به ، فلعلى لو لبست العمامة لتركنى الناس ولم يتبعونى كما
تركوا ابن بشير .

وكان يحيى بن يحيى كثيرا ما يحكى عن محمد بن بشير ، عن مالك
ابن أنس .

ذكر بعض أهل العلم ، عن يحيى بن يحيى ، قال : تظلم حمدون بن

(١) تكملة يستقيم بها السند .

(٢) المطبوعتان المصريتان : « سؤال » .

فطيس من محمد بن بشير ، فى شىء حكم به عليه ، إلى الأمير الحكم ،
رضى الله عنه ، فقال لى : يا أبا محمد ، إني سألت الأمير أن يجلس لى
الفقهاء ، وقد سألته أن يجلسك مع من يجلس ، فقال له : إني لأعظم
أن أجلس المجلس الذى يتظلم فيه من مثل محمد بن بشير ، فإن كنتم لابد
فاعلمين فعليكم بشيخنا يحيى بن مضر القيسى ، واعلم أن محمد بن بشير
على السخط خير لك منى على الرضا .

قال : فاستحيا حمدون ، وكان حليها دمثا ، وكف عن جمع الفقهاء .
وعما حكاه محمد بن بشير ، عن مالك :

قال عبد الملك بن الحسن ، قال محمد بن بشير : سمعت مالكا
يقول : انظروا فى هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها .

قال محمد : أراه يعنى الموطأ .

قال عبد الملك بن الحسن : قال محمد بن بشير : سمعت مالكا يقول :
تسكاد أخبار ابن عمران أن تكون سيرا .

قال محمد : فلا أدرى أى ابن عمران أراد مالك بن أنس : ابن
عمران الطلحى قاضى المدينة ، أو مصعب بن عمران قاضى الجماعة
بقرطبة ؟ وأخلق به أن يكون أراد المصعب ، لأن محمد بن بشير كان
كاتباً للمصعب ، وكان عالما بأخباره ، ثم جالس مالكا^(١) من بعد ، فلعله
قص عليه من أخباره فأعجبه ، فقال فيه ما قال .

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز : ذكر محمد بن عمر
ابن لبابة ، ومحمد بن عبد الله بن القوق :

(١) مقروء ريبيرا : « جلس ملكا » .

أن محمد بن بشير سأل مالكا عن ابن الأتق ، فلم يره به بأساً .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

أكثر موسى بن سماعة ، صاحب الخيل ، على الأمير الحكيم ، رضى الله عنه ، في محمد بن بشير ، وشكا إليه أنه يجور عليه ، فقال له الأمير : أنا أمتحن قولك الساعة ، اخرج من فورك هذا واقصد ابن بشير فاستأذن عليه ، فإن أذن لك عزلته ، وإن لم يأذن لك دون خصمك فليس بجائر ، وإنما مقصده الحق ، فخرج موسى بن سماعة من عند الأمير إلى دار ابن بشير ، ثم أمر الأمير ، رحمه الله ، من وثق به من الفتيان أن يقفوا^(١) أثره ، ويعرف ما يكون منه ، فلم يكن إلا ريثما بلغ ، ثم انصرف فجعل يحكي للأمير ، قال : لما خرج الأذن إلى موسى ثم انصرف وأعلم به القاضي ، خرج إليه ثانية فقال له : إن كانت لك حاجة فتقصد فيها إذا جلس القاضي في مجلس القضاء ، فقال الأمير ، رحمه الله : قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة عنده فيه لأحد .

قال محمد : أخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :

كان محمد بن وضاح يحكي عن الأمير الحكيم — رحمه الله — حكائيتين ، إحداهما في محمد بن بشير ، والثانية في ذكر شيء من الحدثنان ، فكان محمد بن وضاح يقول عند فراغ الحكائيتين ، والله لو لم يكن للحكم غير هاتين لرجوت له الجنة .

وإحدى الحكائيتين التي في ابن بشير : أنه ذكر عن بعض الخاصة أن كريمة من كرائم الحكم — رحمه الله — ذكرت أن الحكم قام

(١) الأصول : « يقفوا » .

عنها ليلا فساء به ظننها ، على ما يتوهم النساء ، ويسبق إليهن من وجه
الغيرة ، قالت : فقفت أثره فوجدته في بعض الأماكن يصلي ويدعو .

قالت : فلما انصرف أعلمته بما ظننت ، وبما فعلت ، وبما رأيته عليه
من الصلاة والدعاء ، قالت : فقال لي : كنت قد قلدت محمد بن بشير القضاء
بين المسلمين ، فكانت نفسي عليه طيبة ، وقلبي به واثقا ، وكنت
مستريحا من أخبار الناس وظلامانهم ، لما علمت من عدله وثقته ، حتى
أعلمت في هذه العشية أنه في السياق ، وأن الموت قد حضره ، فقلقت
لذلك واغتممت ، وقيمت في هذه الساعة أدعو الله وأبتهل إليه أن يوفق
لي رجلا يكون عوضاً منه ، تسكن إليه نفسي ، فأوليه القضاء ، قضاء
المسلمين بعده .

ذكر القاضي سعيد بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد :

سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل المعافري ، كان نبيلاً فاضلاً ،
وكان معيناً لأبيه على العدل ، ومريداً له في اتباع الحق ، وكانت بصيرته
من بصيرة أبيه في جميل المذاهب ، واستقامة نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : أخبرني بعض أهل العلم :

أن أهل إстиجه^(١) رفعوا إلى الأمير — رحمه الله — يسألونه
قاضياً يقضى بينهم ، فأخرج الأمير — رحمه الله — كتابهم إلى قاضي
الجماعة محمد بن بشير ، وأمره أن يتخير من يراه .

قال خالد : فأخبرني أحمد بن يحيى ، قال : لما قرأ محمد بن بشير
كتاب الأمير أقرأه ابنه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرف جميع من يختلف
إلينا من الناس ، فما ترى أن تشير به على الأمير ؟ فقال له : لست
أعرف ، ولا أقد أحد من الناس ، فقال له محمد بن بشير : ما ترى في
المزبد الزاهد الذي يختلف إلينا من شقنندة ؟ فقال : هو أمثل من
يختلف إليك ، غير أني لست أشير به ولا أقلده^(٢) فقال له أبوه : فأذا
أقلده^(٣) وأشير به ، ثم أخذ كتاباً وبدأ يكتب بنخب المؤدب إلى الأمير ،

(١) أنظر الحاشية (رقم : ١ : ص : ٦٣) .

(٢) الأصول : « أتقلده » .

(٣) الأصول : « أتقلده » .

إلى أن قُسر ع عليهما الباب ، فقال له أبوه : اخرج واعرف من هو ؟
فخرج فوجد قوماً يسألون عن القاضي ، فقال لهم ابنه : هو بحال شغل ،
فبينما هو يتكلم معهم إذ أتى المَدب الزاهد فتعرض للدخول على
القاضي ، فقال له ابنه : هو مشغول بكتاب يخاطب فيه الأمير ، فقال :
لا بد من رؤيته لأمر أخشى فواته ، وذلك أنه ذكر لي أنه سأله الأمير
أن يشير بقاض لأهل إستجبه ، فأحبت أن يشير بي ، فدخل سعيد على
أبيه ، وهو يكتب ، فقال : ارفع يدك عن الكتاب ، فإن الرجل الذي
تخاطب فيه قد هدم نفسه ، وأعلمه الخبر ، فأسقط محمد بن بشير الكتابة
فيه ، وأشار بغيره .

قال محمد :

وكان السبب الذي من أجله ولي القضاء سعيد بن محمد ، قصة دارت
عليه في وديعة كانت في يديه .

قال خالد بن سعد^(١) : حدثني من أثق به من أهل العلم ، عن يحيى
ابن زكريا ، وكان من أثبت أصحاب محمد بن وضاح ، قال : أخبرني أصبغ
ابن خليل ، قال :

كنت جالسا عند يحيى بن يحيى ، حتى أتاه سعيد بن محمد بن بشير ،
فجلس ، فراه يحيى مغموماً ، فقال له : ما دهاك ؟ فقال : هم طراً على ،
قال : وما هو ؟ فما عليك أذن ولا عين ، فقال : إن ربيع القومس^(٢)
أودعني مالا عظيماً ، وهذا الهاتف يهتف : من كان عنده لربيع مال
أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاث سنينكنا دمه ، وأنهبنا ماله ؛ فاستهول يحيى

(١) الإدمول هنا : « خالد بن سعيد » ، تحريف .

(٢) القومس : السيد الشريف ، والمتولى الناحية من النواحي .

الخبر واستعظمه ، وأكب طويلاً ، ثم قال له : وما تريد أن تصنع ؟
أرى والله ألا تخفى أمانتك ، للحديث الذى أتى : إن الأمانة تزدى
إلى البر والفاجر ، والرحم توصل ، برة كانت أو فاجرة ، والعهد يوفى
به للبر والفاجر . فسمى^(١) الحديث وفشاً حتى انتهى إلى الأمير ، فبعث
فيه بعد ثلاث ، فخرج إليه الآذن من عند الأمير ، فقال له : مادعاك إلى
ستر ما أودعك ربيع ، وقد سمعت ما هتف عنا الهاتف ، وما أظهرنا من
العزيمة فى ذلك ؟ فقال الآذن : أعلم^(٢) الأمير - أصلحه الله - عني أنى
إنما فعلت ذلك للحديث الذى أتى ، ثم نص الحديث حتى انتهى إلى
قوله ، والأمانة تزدى إلى البر والفاجر ، ولا أفر من ربيعة . فأهـى
الفتى ذلك إلى الأمير عنه ، فأوصى الأمير إلى الوزراء : هذا
رجل صالح فولوه القضاء .

فكان ذلك سبباً لولايته القضاء .

قال محمد :

وكان سعيد بن محمد بن بشير صاحباً ليحيى بن يحيى ، وكان يحيى له
على محافظة وإكرام .

أخبرنى عثمان بن محمد ، قال : أخبرنى أبو مروان عبيد الله ، قال :

قال يحيى بن يحيى : الحلم يزين الرجال ، جئت عبد الملك بن مغيث
يوم أربونة^(٣) فى الغزو ، ومعتنا سعيد بن محمد بن بشير ، فسكان يرسل
إلينا ويستشيرنا .

(١) نسمى : شاع .

(٢) الأصول : « يعلم » .

(٣) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء (معجم البلدان : ١ : ١٩٠) . وبالوجه الأول
ضبطت ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

قال يحيى : وكان ربما استخصنى بالإرسال دون سعيد بن محمد ،
فقلت لعبد الملك : لا تفعل ، فإن صاحبي سيسوءه ذلك ، فقبل منى ، وبعث
يوماً إلى بصلة ثمانية دنانير ، وإلى سعيد بن محمد بمثلها ، فقلت له : أما
أنا فمستغن عنها ، ولكن اجعها^(٢) وابعث بها إلى صاحبي ، فإنه محتاج .
فلما غنم المسلمون ، وعظمت في أيديهم ، قسم ما هنالك برأينا ومحضراً ،
فقلت له في بعض مدار بينى وبينه : أحب أن أكلبك بشيء يرق^(٣)
وجهي عنك فيه ، فقال له : يا أبا محمد ، كل ما بلغ بك الحشمة فضعه
عن نفسك .

قال عبيد الله :

فكان يحيى يعجب بهذا الجواب جداً .

قال : فلما قفلنا ، قال لى : يا أبا محمد ، أردت أن أكرمك أنت
وصاحبك ، قلت له : بماذا ؟ قال : بأن أسمعك سماعاً حسناً ، قال :
فقلت له : أنت والله تريد هواننا لا إكرامنا ، قال : فقال لى : يا أبا
محمد ، لا تظن ذلك ، فوالله ما كان رأى من قبلك أن يباليخ فى إكرامهم
حتى يفعل ذلك بهم ، قال : فقلت له ، لا جزاعم الله خيراً عن أنفسهم
ولا عنك ، فقد خانوا الله ورسوله .

قال يحيى ، فاحتشم وكف .

(١) دةروء ريبيرا : « اجمعنا » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) رق وجهه : استحيا .

ذكر القاضى الفرج بن كنانة الكنانى

قال محمد :

هو الفرج بن كنانة بن نزار بن عتبان بن مالك الكنانى ، نسبه
فى كنانة ، ومسكنه فى جند فلسطين .

كان مسكنه بشذونة^(١) ، وكان من أهل العلم والتقىيد ، وكانت له رحلة
إلى المشرق ، وسمع فيها من عبد الرحمن بن القاسم ، ومن غيره من أهل
العلم ، ولما قدم من رحلته استنخسه الأمير الحكيم بن هشام — رحمه
الله — واستقضاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

ولم يزل القضاء متردداً فى ولده بشذونة فى أيام الخلفاء — رحمه
الله — إلى أن ولى أمير المؤمنين — أعزه الله — رجلاً من ولده ،
يسكنى بأبى العباس ، قضاء شذونة ، وكان قد عنى بطلب العلم عند
شيوخ الأندلس مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ، وغيره من نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : حدثنى بعض أهل العلم :

(١) شذونة ، بفتح أى له ويعسده الواو الساكنة . كذا ضبطها
ياقوت فى كتابه بالعبارة (معجم البلدان : ٣١٧ ٣) ويمثله ضبطت ضبط
قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

أن رجلاً (١) من أهل الزهد ، من آل الفرّج بن كنانة ، اتهم (٢) بالحركة في الهيج ، فتسور عليه [الأعوان] (٣) ليقتلوه (٤) ، فصرخ النساء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : جارك فلان أتاه الأعوان فهجموا عليه ليقتلوه (٥) ، فخرج الفرّج إلى باب الدار فاجتمع مع الأعوان ، فقال : إن جرى هذا سليم الناحية ، وليس فيه مما تظنون شيئاً ، فقال له المرسل مع الأعوان ، وكان رئيسهم : ليس هذا من شأنك ولا مما عصب بك (٦) ، انظر في أحباسك وأحكامك ، ودع ما لا يعنينا . فغضب الفرّج بن كنانة عند ذلك ، فمضى إلى الأمير الحكيم - رضى الله عنه - واستأذن له عليه ، فلما دخل سلم ، ثم قال : أيها الأمير ، أصلحك الله ، إن قریش حاربت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وناصبته العداوة ، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم ، وأنت أحق الناس بالاعتداء به ، لقرابتك منه ، ثم حكى له القصة وما عرض له ، فأمر بضرب الناظر في ذلك الشغب ، وعفا عن بقية أهل قرطبة ، وبسط الأمان لجماعتهم ، واستألفهم إلى أوطانهم .

قال محمد : ذكر محمد بن حفص ، قال :

قرأت في كتاب بخط أحمد بن فرّج ، فيه نبذ من أخبار الأندلس : أن الفرّج بن كنانة غزا معقودا له على جند شذونه من

-
- (١) مقروء ريبيرا : « عن رجل » وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « فاتهم » وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٤) الأصول : « ليقتل » .
(٥) الأصول : « ليقتل » .
(٦) عصب بك ، أى لزمك وارتبط بك .

العرب ، مع عبد الكريم بن عبد الواحد ، إلى جليقية^(١) ، وأن عبد
الكريم قدمه من استرقة^(٢) إلى جمع للنصرانية ، ففضهم وقتل فيهم
قتلا ذريعا .

قال : وقرأت في هذا الكتاب : أن الأمير الحكيم — رضى الله
عنه — استقدم الفرّج بن كنانة من شذونة وولاه القضاء بقرطبة ،
وأنه لما أدال عبد الرحمن ابنه من سرقسطة وولاهها عبد الرحمن بن
أبي عبدة ، استخف به عمارة ، رجل من العرب ، على موالاة له ،
فولى سرقسطة الفرّج بن كنانة ، إذ هو منهم ، فلحق الفرّج بالشجر ،
وكان فيه مدة .

ثم إن عمارة استمال قوماً من البربر وأدخلهم المدينة ، وثاروا على
الفرّج بن كنانة فملكوه ، ثم تداعى العرب ووجوه البربر على عمارة
ومن معه فقتلوهم وأجلوهم عن المدينة ، فقبضوا^(٣) على عمارة وابنه
وفروا بهما^(٤) إلى الفرّج بن كنانة ، وسأله العرب ووجوه البربر مخاطبة
الأمير الحكيم — رحمه الله — بما كان من قيامهم معه ، ونصرتهم له ،
فكتب لهم ، وسكنت حالهم .

قال محمد :

وقرأت في الديوان جواب الحكيم — رضى الله عنه — إلى الفرّج
ابن كنانة ، بما يصدق هذا الحديث ، ونسخته :

أما بعد . فقد بلغنا كتابك تذكر الذى زاولت من صلاح ما قبلك ،

(١) جليقيه ، بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة
وياء مشددة وهاء (معجم البلدان : ٢ : ١٠٩) .
(٢) نفع الطيب (١ : ٢٦٥) .
(٣) الاصول : « فتقبضوا » .
(٤) مقروء ريبيرا : « به » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

وشغلك عن الكتاب إلينا بأمر عمارة ، وما كان من أمره وأمر من خرج معه ، ونقض الذى اختلف عليك من أمر أهل المدينة ، بدخول من داخلهم من البربر ، وما كان من نفيهم من نفيك من خيارهم ووجوههم وأهل الدعة والصلاح منهم ، نصرة لك ومعرفه بما فى الطاعة من العافية والسعادة ، ووثوب من وثب عليك من شرارهم وأهل السفه منهم ، وحسن مراجعتهم بعد الذى كان منهم ، ومن تدممهم على ما فرط من فعلهم ، وزل من رأيهم ، وقد كان من استجماع كاة خيارهم ووجوههم وصالحيتهم على نصرتك ، ومدافعه من وثب عليك من سوادهم ، ما عفى على ما ركب رعاهم ، ومن شذ من سفاهتهم ، ودعا ذلك إلى العفو عنهم ، ونصفح عن زلهم ، وإنا كاتبون إلى عامتهم مع رساك إلينا بما سألته^(١) ، ومعجل ذلك إليهم [وقد] أصبت رأيك فيما جمعت من كاة النريقين ، وأصلحت من أمرهم ، وقد عرفنا حسن رأيك ، وصواب سياستك ، فيما حملتاك من أماتهم ، وعصبنا بك من أمرهم ، ووقع لك منا موقع المعرفة ، والسلام .

وكتب إليه مدرجة^(٢) فيها :

قد كان من أمر عمارة وابته ، واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما إليك ، ما قد عرفت ، ثقة بك وبنصيحتك ، وما بلوا من طاعتك ، فاحتفظ بهما فى ليالك ونهارك ، واحذر الضيعة فيها ، والغفلة عنهما ، إلى قديم المغيرة ذلك الشجر ، إن شاء الله ، واعلم أنك ضامن لهما إن

(١) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت قراءتها على القارىء فوضع مكانها نقطا . وبمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .
(٢) المدرجة : الورقة تكتب فيها رسالة .

فاتا من يدريك ، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهم' أبلغ التحفظ ، إن كانت لك بما قبلنا حاجة ، ولا تلومنّ إلا نفسك إن ضيقت ، والسلام .

وكان الفرّج بن كسناة قد بعث عنه^(١) بكتابه بعض أهل الغناء^(٢) ، من العرب إلى الأمير الحكيم - رضى الله عنه - فأمر لهم بالكساء والصلوات ، وبعث إلى قومه مثل ذلك .

وقرأت جواب الحكيم - رضى الله عنه - إلى الفرّج في أمر من وجّه من العرب ، وما كان منه إليهم ، وهذه نسخته :

أما بعد . فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب ، في طاعتهم ومناصحتهم ، وخاصة من سميت من أهل البلاء منهم ، وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرفنا إليك رسالك بجوابات كتبك وكتبهم ، وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجائزة ، والسلام .

وهذه نسخة كتاب الأمير الحكيم - رضى الله عنه - إلى حيدش ابن نوح ، ومن قبله من العرب :

أما بعد . فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذى كان من صنع الله لنا فى ذلك الشجر بما قمتم فيه وحاولتم ، من صلاح ما فسد منه ، وأخطرتكم^(٣) من دمائكم وأنفسكم فى نصره عاملكم وعزه ، وبجاهدة من نزع عنه ودافع أمره ، حتى أصلح الله الأمر ، وجمع الكلمة ، وقوم الطاعة ، وكل الذى كتبتم تذكرونه ، وتمنون به ، قد وقع منا بأفضل

(١) مكان هذه الكلمة « عنه » جاء متأخرا بعد قوله : « الغناء » .

(٢) الغناء ، بالفتح : الكفاية .

(٣) أخطر : بذل .

موقع ، في معرفته ، وحسن الجزاء به ، وجميل المكافأة عليه ، وقد
وليننا المفيرة بن الحكم أمر نغرم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق
بلائكم . وحسن طاعتكم وغنائكم ، وأن يتسع لكم فيما جعلته إليه
بما أتم أهله ، في طاعتكم وصبركم ومناصحتكم ، وفضل ما قدمت من
ذلك ، والله المستعان ، والسلام .

قال محمد :

ولم أجد عند رواة الأخبار للفرج بن كنانة بعد مقدمه من
الفرج خبراً .

وقال عبد الملك بن أيمن :

عقب الفرج بن كنانة بشذوثة كثير ، وقد أدركت من ولده
أما العباس ، يطلب العلم معنا عند شيوخ بلدنا ، ثم ولاه أمير المؤمنين -
أعزه الله - قضاء شذوثة .

ذكر القاضى قطن بن جزء التميمى

قال محمد :

هو قطن بن جزء بن السَّجْلَاج بن سعد بن سعيد بن محمد بن عطار د بن حاجب بن زرارَة التميمى ، وكان من أهل جِيَّان ، وولاه الأمير الحكيم ابن هشام — رضى الله عنهما — قضاء الجماعة بقرطبة .
ولم أجد له عند رواة الأخبار خبراً أقيده عنه ، ثم تلاه فى القضاء بشر بن قطن ، ثم ولى بشر بن قطن بعد ذلك .

ذكر القاضي عبيد الله بن موسى الغافقي

قال محمد :

هو عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن عمار بن عبيد الغافقي .

كان أصله من عرب الشام ، ثم من جند فلسطين ، سكن ناحية الجزيرة ، وسكن ولده إشبيلية .

وبنو موسى الوزير يقولون : عبيد الله هذا ، القاضي المنسوب ، ولاء الحكم - رضى الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة . ولم تحفظ الرواة له خبراً يوضع بهذا الكتاب عنه . ثم تلاه محمد بن تليد بن حامد بن محمد الرُّعيني .

ذکر القاضی
حامد بن محمد الرعینی

قال محمد :

هو حامد بن عبد اللطيف الرعيني ، كان من أهل شنودة ، ولاء
الأمير — الحكم رضى الله عنه — قضاء الجماعة بقرطبة .
ولم يحفظ أهل العلم له شيئاً يحكونه عنه .

ذكر القاضي مسرور بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد :

هو : مسرور بن محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري .
وقد تقدم في صدر هذا الكتاب ذكر أبيه : محمد بن بشير .

قال محمد :

ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمهما الله - قضاء الجماعة
بقرطبة ، وكان من الصالحين الفاضلين .

حدثني من وثقت به من أهل العلم ، قال : حدثني محمد بن أحمد بن
عبد الملك ، المعروف بابن الزرّاد ، قال :

كان عندنا بقرطبة قاض يعرف بمسرور ، وكان من الزهاد ،
استأذن من حضره من الخصوم يوماً في أن يقوم لحاجة يقضيها من
حوائج نفسه ، فأذّنوا له ، فقام عنهم ثم خرج عليهم وفي يده خبزة
عجين ، وهو يسير بها إلى الفرن ، فقال له بعض من حضر : أنا أكفيك
أيها القاضي حملها ، فقال له : وإذا عزلت عن القضاء أين أجلك كل
يوم تكفيني حملها ، بل الذي حملها قبل القضاء هو يحملها اليوم .
ثم تلاه في القضاء سعيد بن محمد بن بشير ، مرة ثانية .

ذكر القاضي يحيى بن معمر الألهاني

قال محمد :

هو يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الأطلومي^(١)
الألهاني^(٢) ، من العرب الشاميين ، وكان من أهل إشبيلية ، ومنزله بها
في حارة^(٣) تسمى : مغرانة ، حارة من طرف الحاضرة ، عليها ممر
السابلة ، وكان في وقته فقيه إشبيلية وفرضيا^(٤) .

وكانت له رحلة لقي فيها أشهب بن عبد العزيز ، وسمع منه ، ومن
غيره من أهل العلم .

وكان في مذهبه ورعا زاهداً فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضيعته وإصلاح
شأنه .

قال لي محمد بن عمر بن عبد العزيز :

(١) كذا ، ولم يذكرها المغرب (١ : ١٤٧ - ١٤٨) ولا بغية
الملتص (ت : ١٤٩٢) ولا تاريخ قضاء الاندلس للنباهي (ص : ٤٤)
وهي المراجع التي ترجمت له .
(٢) الالهاني ، بفتح الألف وسكون اللام : نسبة الى الهان بن مالك ،
أخي همدان بن مالك بن زيد (الأنساب للسمعاني : ٤٨ ، والجمهرة
لابن حزم : ٢٩٩) .
(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٤) الفرضي ، بفتحيتين : نسبة الى الفريضة ، وهو العالم
بتقسيم الموارث .

لهج الناس باشبيلية أن يحيى بن معمر يُستقضى بقرطبة .
قال لى : فحكى رجل من أهل إشبيلية ، يعرف بمرّة بن ديسم ،
قال : كنت مع يحيى جالساً فى قرية فى بعض الأبنية ، حتى نظرت إلى
فارس يركض ، وهو مغز فى السير ، مستقيم على المحجة العظمى .
قال : فأتبعته بصرى ، فلما بلغ إلى الطريق الذى يعطف فيه إلى منزل
يحيى بن معمر ، وقف وقوف الجاهل بالمسكان ، المستدل .
قال : وظننت أنه رسول الخليفة من قرطبة فى يحيى بن معمر
ليوليه القضاء .

قال : فعطفت على يحيى ، فقلت : أبا زكريا ، لهج الناس من أمرك
بشئ ، وأحب أن أعرف الحقيقة بما تعتقده ، فقد أزعج الأمر ، تقبل
القضاء أو لا تقبل ؟ قال : أقبل : قال : فقلت له : إذا كنت قاضى
الجماعة بقرطبة ما يكون حظ صديقك ومحبك من ذلك ؟ قال : حظ
وافر ، إن شاء الله ، قال : فقلت له : هذا رسول مقبل فىك
من قرطبة .

قال : فما انقضى الكلام حتى وقف بنا الركاّض^(١) المرسل فى يحيى
ابن معمر .

قال : فلما صار يحيى إلى قضاء الجماعة بقرطبة ، قصدت إليه من
إشبيلية ، فنزلت عليه ، فخيا وأكرم وأنزل ، فلما صرنا إلى العشاء قدم
من الإدام شيئاً مختصراً ، فقلت له : وما هذا ؟ وأين نعيم قرطبة وما فيها
من ضروب الخيرات ، وأنت قاضى الجماعة ؟ ثم قلت : أخشى والله أن
أندم على رحلتى إليك ، قال : لا ، إن شاء الله .

(١) الركاّض ، الراكض ، وهو العادى المسرع .

قال : فلما أصبح يحيى بن معمر وضع يده ، وأنا لا أشعر ، فكتب
إلى الأمير^(١) عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - يحكى له
القصة على وجهها ، وكيف كانت العدة من يحيى ، وأن مرة بن ديسم
قدم عليه مستنجزاً ، ثم سأله أن يعقد له على قومه سنة كاملة ، وأن
يحملة^(٢) ويكسوه .

قال مرة بن ديسم : فاشعرت - وأنا قد استشعرت اليأس من خير
القاضى ، لما رأيت من زهده وما أخذه^(٣) فى نفسه - حتى أتت العدة إلى
يحيى من عند الأمير ، مع صلة مائتى دينار ، وبغل حُملان^(٤) ، وثياب
كسوة ، وكتاب معها من الأمير ، يقول فيه : قد أنجزنا عنك عدتك
لمرة بن ديسم .

قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن
ابن عبد الحميد بن أبى زيد ، قال : أخبرنا محمد بن وضاح ، وأحدهما
يزيد على صاحبه ، قال :

صليت صلاة الكسوف مع ابن معمر فى الجامع بقرطبة سنة ثمان
عشرة ومائتين ، فصلى وأحسن الصلاة ، ولم يقم للصلاة^(٥) ، وطول
فى صلاته ، بدأ بالصلاة ضحى ، وقوم^(٦) فى القائلة^(٧) ، وقد تجلت
الشمس ، وكنا فى زمن الصيف .

-
- (١) الأصول : « أمير » .
 - (٢) يدمله : يعطيه ظهراً يركبه .
 - (٣) المأخذ : المنهج .
 - (٤) الحملان ، بالضم : ما تحمل عليه الهدايا من الدواب .
 - (٥) أقام للصلاة : نادى لها . وفى الأصول : « ولم يقم للصلاة » .
 - (٦) قوم وأقام ، بمعنى . وانظر الحاشية السابقة .
 - (٧) الأصول : « فى القابلة » . وظاهر أنها محرقة عما أثبتنا :
والقائلة : الظهيرة .

قال أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن : أخبرنا محمد بن
وضاح ، قال :

صليت الجمعة في ولاية ابن معمر أربع ركعات ، وابن أبي عيسى
حاضر ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن زونان ، وحارث بن أبي سعد ،
وعبد الملك بن حبيب ، وصلاتها أكثر الناس في صحن المسجد ركعتين .
قال محمد :

وكان يحيى بن معمر إذا أشكل عليه الأمر ، واختلف عليه
الفقهاء ، كتب إلى أصبغ بن الفرغ وغيره ، وكاشفهم^(١) عن وجه
ما يريد علمه .

وقد قرأت رسائل حسناً مما كتب بها أصبغ بن الفرغ إلى يحيى بن
معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أجوبة في مسائل سأله عنها من أخبار
القضاء طويلة مديدة ، هممت (بذكرها)^(٢) واجتلابها ، ثم رأيت
ألا أخرج الكتاب عن حده ، ولا أصرفه عن وجهه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : سمعت غير واحد من مشايخ
أهل العلم يقول :

كان بين يحيى بن معمر وبين يحيى بن يحيى صداوة ، فسعى يحيى بن يحيى
في عزل يحيى بن معمر القاضى عند الأمير عبد الرحمن — رحمه الله —
وأقام عليه البيئات من أهل العلم والعدل ، فشهدوا على يحيى بن معمر عند
الوزراء بأحوال قبيحة نسبت إليه ، فرفع يحيى بن معمر إلى الأمير

(١) الأصول : « وكشفهم » .

(٢) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت على القارىء فوضع

مكانها نقطا ، ولعلها هي ما اثبتنا .

عداوة يحيى ، وأنه هو ضم الفقهاء والعدول إلى الشهادة ، فطاعوا له بها .
فأخرج الأمير عبد الرحمن عهداً إلى الوزراء يأمرهم بأن يرسلوا
في وجوه التجار فيسألوهم عن يحيى بن معمر ، فأرسل الوزراء في غير
واحد ، فكان قول التجار من شاكاة الشهادات المتقدمة ، وذلك
لمطالبة من كان يطالبه من الفقهاء حينئذ ، فعزله الأمير عبد الرحمن
عند ذلك .

قال محمد :

كان يحيى بن معمر - فيما شهدت به أخباره وحكته ، آثار فعله .. قليل
المداراة لفقهاء قرطبة ، لا يلين لهم فيما يريدون ، ولا يصغى إليهم فيما
يجبون ، فنفروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلهم إلماً عليه ، وبلغ من تحامل
يحيى بن معمر عليهم أن سجل بالشحطة (١) على سبعة عشر رجلاً منهم ،
فرمواهم عن قوس واحدة ، وقالوا فيه بأجمعهم قول سوء .

حدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ،
قال : قال يحيى بن يحيى :

لما قام الناس على يحيى بن معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أتانى
سعيد بن حسان ، فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟ قال يحيى : فقلت
له : لا تقل ، وانظر أن تكون مشاوراً فيه ، فيكون رأيك فيه أنفذ
حينئذ من شهادتك .

(١) مقروء ريبيرا : « بالسحطة » وعليه المطبوعتان المصريتان .
تصديف ، صوابه ما أثبتنا : يقال : شحط فلان فى السوم ، اذا استام
بسليته متباعداً عن الحق مجاوزاً القدر ، والمصدر : شحوط ، وقد يكون
هنا على غير بابيه ، أو هو للمرة .

قال : فغلبته شهوته فيه إلى أن ذهب فشهد عليه ، ثم أتاني فقال :
قد شهدت عليه .

قال يحيى : فلم ألبث أن أتاني كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم -
رحمه الله - يقول فيه : قد تصفحت الشهادات على القاضي يحيى
ابن معمر ، فلم أرك فيها شهادة ، وقد وجهت إليك الشهادات عليه
فتصفحها واكتب برأيك فيها .

قال يحيى : فكتبت إلى الأمير : ما عندي من أخبار القاضي
علم ، لأنه لم يكن يحضرنى مجلسه ، ولا يشاورنى فى أحكامه ، وأما
الشهادات الواقعة عليه ، فقد تصفحتها ، ولو وقع مثلها على مالك
والليث مارفعا بعدها رأسا .

قال يحيى : فأمرسى ابن معمر معزولا عن القضاء .

قال محمد : قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن عبد الملك ، قال :
أخبرنى عثمان بن سعيد ، الرجل الصالح الفاضل ، قال :

لما عزل يحيى بن معمر عن القضاء بقرطبة بعث إليه أحد الوزراء ،
وكان من أخص إخوانه ، ابناً له بزوامل^(١) وأعوان ، وقال لابنه :
تذهب إلى القاضي^(٢) وتسأله أن يحمل على هذه الزوامل ثقلته^(٣) وما
احتاج إليه ، فلما أتاه ابن الوزير برسالة أبيه ، وأحضره الزوامل ،

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهى ما يحمل عليه من الابل وغيرها .

(٢) بعد هذه الكلمة فى الأصول : « رحمه الله » ولا مكان لهذه

الزيادة هنا .

(٣) الثقلة ، بالفتح : الثقل ، محركة ، وهو المتاع ، والشئ

النفيس الخطير .

قال له القاضي : ادخل حتى ترى ما عندنا من الثقلة . فدخل ، فإذا ببیت القاضي ليس فيه إلا حصير وخاوية بدقيق ، وصحفة ، وقلة للماء ، وقدح ، وسرير كان يرقد عليه ، فقال له ابن الوزير : وأين الثقلة ؟ فقال : هذه ثقلي أجمع ، ثم قال للغلام : فرق الدقيق على من بالباب من الضعفاء ، وامض في بعض القومة^(١) يقبضوا^(٢) هذا الحصير والأواني ، ثم خرج وقال : جزى الله الوزير أباك خيراً ، تقرئه سلامي . ثم توجه إلى إشبيلية .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

فوجيء ابن معمر بالصلاة في بعض الأعياد ، فأتى المصلي ، وقد أخذ أشرف الناس وخدم^(٣) السلطان مواضعهم بقرب سترة الإمام ، فلما نظر يحيى إلى ذلك أمر الخدم^(٤) بتقديم السترة ، فبادر سواد الناس حتى قربوا من الإمام ، وصار من كان متقدماً خلفهم متأخراً ، ثم قام فخطبهم .

(١) القومة : من يقومون عن الوالى فى تنفيذ أوامره .

(٢) مقروء ربييرا : « يفضوا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان ، وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) الأصول : « خدمة » والمسموع ما أثبتنا .

(٤) الأصول : « الخدمة » والمسموع ما أثبتنا .

ذكر القاضي الأسوار بن عقبة النصرى

قال محمد :

هو أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصرى ،
كان من أهل جيتان ، ولاة الأمير عبد الرحمن - رضى الله عنه - قضاء
الجماعة بقرطبة ، فكان من أهل التحرى والخير والتواضع وحسن
السيره ، كان يحمل خبزه إلى الفرن بنفسه ، ويتصرف فى مهنة أهله^(١) ،
ولما عزل له الأمير - رحمه الله - رأى بعد ذلك صرفه إلى القضاء ،
فأبى ، فكلّم فى ذلك ، فقال : لى عيوب كثيرة : كبر ولدى ، وضعف
بدنى .

وكان له ولد يسمى : حسيناً ، فقيل له : أو تجعل كبر ولدك عيباً من
عيوبك ؟ قال : من أشد العيوب .

قال أحمد بن محمد بن أيمن :

رأيت للأسوار بن عقبة حكماً فى حدود مقبرة الربض ، ومنتهى
أقطارها ، وشهدت أحمد بن يقي^٢ ، وهو على القضاء يومئذ ، قد ركب
إلى الموضع مع الفقهاء ، وذلك الحكيم معه ، حتى امتحن الحدود ،
واحتمل على^(٢) ما وجد فى الحكيم .

(١) مهنة أهلة : خدمتهم .

(٢) احتمل على ، يريد : حمل على ، يعنى : عاب ولمز .

قال محمد : أخبرني أصبح بن عيسى الشقاق ، قال : سمعت أحمد
ابن بقی ، يقول :

دخل محمد بن عيسى الأعشى يوماً على الأسوار بن عقبة ، فقال له :
كيف أصبحت أبا عقبة ؟ فأطرق أبو عقبة القاضي عن إجابته . ثم شهد
عنده الأعشى في ذلك المقام بشهادة ، فقال له القاضي : أنت رجل يكثر
الهزل ، ولست أدري إن كانت شهادتك هذه من جدك أو هزلك ؟
فوقده^(١) بهذا الكلام .

(١) يقال : وقذ فلان فلانا ، إذا ضربه حتى استرخى واشرف
على الموت .

ذكر القاضى يحيى بن معمر ثانية

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز :

كان السبب الذى من أجله صرف يحيى بن معمر إلى القضاء ثانية أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - خرج فى زمان الخريف ، على ما كانت الخلفاء تلتزمه من التروح إلى إشبيلية وساحل البحر ، فنظر بعض خواص الأمير إلى ابن معمر وهو فى جنان له ويستقى الماء بخطارة^(١) ، ويستقى بقل الجنان ، فلما رأى ذلك دخل ذلك الرجل الناظر إلى يحيى بن معمر ، فى تلك الحال ، على الأمير وأعلمه بما رأى من يحيى بن معمر ، فقال الأمير ، عند ذلك : والله ما أشك فى فضل الرجل وورعه ، وإنى لأظن الرافعين عليه متماثلين بالباطل ، وأمر من ساعته تلك بتوجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلما قدم يحيى بن معمر إلى قرطبه قاضياً أقسم ألا يستفتى يحيى ابن يحيى ، ولا سعيد بن حسان ، ولا زونان ، فبقيت الأحكام معلقة إلى مقدم الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - من وجهته ، وبلغ الخبر

(١) كذا . يريد رافعة ترفع الماء من النهر ثم تصبه على الأرض ، أشبه شىء بما يسمى فى مصر الشادوف ، ويبدو أنها كانت من مستعمل أهل الاندلس لخطرانها ، أى اهتزازها .

إليه^(١) ، فأوصى إليه بإنكار ذلك ، فقال يحيى : قد أقسمت على ذلك ،
وبالبيرة^(٢) رجل من أهل العلم والتقدم يستغنى به عنهم ، يعنى عبد الملك
ابن حبيب ، فأمر باستقدامه ، فكان المنفرد بفتياه .

وحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن عمه ، وكان خاصا بابن
معمر ، قال :

كنت عند ابن معمر القاضى يوماً فى بيته فى دولته الثانية ، فاستأذن
عليه عبد الملك ، فأذن له ، فلما أخذ مجلسه ، قال : قضية فلان أحب
إلى أن ينفذ الحكم فيها بما أشرت عليك ، فإنه الحق ، إن
شاء الله .

وكان ابن معمر يريد أن يحكم فى ذلك بقول ابن القاسم ، وكان
عبد الملك يريد أن يحكم فيها بقول أشهب . فقال له يحيى بن معمر : لا والله
لا أفعل ، ولا أفعل ، ولا أخالف ما وجدت عليه أهل البلد ، وإنما
وجدتهم يحتملون على^(٣) قول ابن القاسم ، وتريد أنت أن تصرفنى
إلى قول أشهب ؟ ثم ضرب له مثلاً بقوله العامة : سنة عَفْص وسنة
بلوط^(٤) .

قال : فما زال التراجع بينهما بالكلام حتى قام ابن حبيب
عنه مغضباً .

(١) كذا : والصواب : وبلغه الخير .

(٢) البيرة ، الألف فيها ألف قطع وليس بألف وصل ، بوزن :
اخريطة (معجم البلدان : ١ : ٣٤٨) .

(٣) انظر الحاشية (رقم : ٢ : ص : ١١٠) .

(٤) العفص ثمر البلوط . والبلوط من أهم شجر الاحراج ، غليظ
الساق . يريد سنة ينتفع فيها بثمر البلوط وسنة ينتفع فيها بخشبه .

قال محمد بن أيمن : قال لى عمى :

فعدلته وقلت له : هذا الرجل أثبتته^(١) إلى^(٢) أعدائك ، كما أنى أراه
قد صار فى عددهم ، ثم يعزلونك ثانية ، فقال لى : بالعزل تخوفنى ؟
والله لىت بغلتى قد عجرت^(٣) بى فى سهل^(٤) المدور^(٥) منصرفاً إلى
إشبيلية .

فكان يقول : فما أنسى قوله : قد عجرت بى .

قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن عبد الملك ، قال : أخبرنى عثمان
ابن سعيد الزاهد ، قال :

لما احتضر يحيى بن معمر بإشبيلية وأيقن بالموت ، قال لمولى له ،
كان قد صحبه ، من أهل الخير : خرجت عليك^(٦) بالله العظيم إلا إذا مت
فاذهب إلى قرطبة ثم قف بيحيى بن يحيى ، وقل له : يقول لك
يحيى بن معمر : (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب منقلبون)^(٧) .

قال : فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك .

قال : فبكى يحيى حتى أخضل لحيته ، ثم قال : (إنا لله وإنا إليه
راجعون)^(٨) ، ما أظن الرجل إلا خدعنا فيه ، ووشى بيننا وبينه ، ثم
ترحم عليه واستغفر له .

-
- (١) أثابة : أرجعه وأعادته ، واللازم منه ، ثاب ، بمعنى : رجع وعاد .
 - (٢) الأصول : « على » . وهذا الفعل يتعدى بالحرف : الى .
 - (٣) عجرت : قمصت .
 - (٤) الأصول : « سهلة » .
 - (٥) انظر الحاشية (رقم : ٢ : ص : ٦٧) .
 - (٦) خرج على فلان : ضيق .
 - (٧) الشعراء : ٢٢٧ .
 - (٨) البقرة : ١٥٦ .

قال محمد :

وهذه الحكاية التي حكاها محمد بن سعيد ، تدل على أن يحيى بن
معمر عزل مرة ثانية ، ولم يمت قاضياً .

وله حكاية ثانية لم نسندها ، تدل على أن يحيى بن معمر مات قاضياً ،
سند كرها في افتتاح أخبار القاضي : إبراهيم بن العباس .

ذكر القاضى ابراهيم بن العباس القرينى

قال محمد :

[هو] ^(١) : ابراهيم بن العباس بن عيسى بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، رحمه الله .

قال محمد : قال خالد بن سعد :

لما توفى يحيى بن معمر القاضى بقى الناس بلا قاض نحو ستة أشهر ، فجعل الناس يتصدون للوزراء إذا ركبوا يسألونهم أن ينهوا إلى الأمير — رحمه الله — ذلك ، ففعلوا ، فعرض الأمير — رحمه الله — حينئذ القضاء على يحيى بن يحيى ، فأبى قبوله ^(٢) .

وقد ذكرت الروايات فى ذلك ، وشرحت خبر يحيى شرحاً حسناً فى صدر الكتاب ، فى باب : من عرض عليه القضاء من علماء قرطبة فأبى قبوله ^(٣) .

قال محمد :

كان ابراهيم بن العباس محموداً فى قضائه ، عادلاً فى حكمه ، متواضعاً فى أموره ، غير متصنع ولا متهميب .

-
- (١) تكملة يستقيم بها الكلام .
 - (٢) الأصول : « من قبوله » .
 - (٣) الأصول : « من قبوله » .

أخبرني فرج بن سلمة بن زهير البلوي ، قال : قال محمد بن
عمر بن لبابة :

كان إبراهيم بن العباس ربما جلس يقضى في بيته بين الناس ،
وخادمه تنسج في ناحية البيت .

أخبرني من أثق به من أصحابنا ، عن أحمد بن زياد ، عن محمد بن
وضاح ، قال :

لما أبى يحيى بن يحيى قبول^(١) القضاء ، وأشار بإبراهيم بن العباس
أن يستقضى ، وأن يكون كاتبه زونان ، فقبل منه الأمير رأيته في ذلك ،
وولى إبراهيم بن العباس القضاء ، فشهد عنده يوما يحيى بن يحيى في الماء
الذي كان بفرن بريل^(٢) ، الذي قام فيه بنو العباس ، وابن عيسى ،
فلما خرج تناوله بعض الخصوم ، فانصرف يحيى إلى القاضي ، فقال : إن
هذا تناولني فأدبه ، فقال : وما أدبه ؟ قال : أبعث به إلى السجن ،
فبعث به القاضي إلى السجن ، ثم خرج يحيى بن يحيى إلى باب الصومعة ،
فركب دابة ، ومضى نحو السويقة ، وانصرف ، فدخل على القاضي ،
فقال له : تأمر بإطلاق الذي حبست ، فني الذي كان منك أدبه .

وكانت ولايته هذه الأولى سنة أربع عشرة ، أو خمس عشرة ،
ومائتين ، ثم عزل وولى غيره .

فلما كانت سنة ثلاث وعشرين ، على إثر سعيد بن سليمان ، ولى
القضاء أيضا .

قال محمد : قوله : على إثر سعيد بن سليمان ، يخيل إلى أنه غلط ،

(١) الأصول : « من قبول » .

(٢) بريل ، بالكسر ثم السكون وياء خفيفة ولام مشددة : مدينة

بالأندلس . (معجم البلدان : ١ : ٦٠١) .

لأن سعيد بن سليمان إنما ولى بعد محمد بن زياد ، وبعد موت يحيى بن يحيى ، وذلك كله بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين ، ولم أر فى شيء من الروايات أن سعيد بن سليمان ولى ولايتين ، حاشى ما ذكر لى أحمد بن عُبادة الرعيني ، فإنه قال لى : عزل سعيد بن سليمان ساعة من نهار ، ثم استدرك الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — رأيه وأمره بإثباته ، فلما طلب ليعلم عن الأمير بالتمادى على القضاء ألنى قد ارتحل إلى بلده ، فأعلم بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجل صالح ، وازداد به غبطة ، وأمر أن يدرك ويصرف إلى قضائه ، فأدرك ورُد كما كان قاضياً .

قال محمد :

فإن كان إبراهيم بن العباس ولى القضاء ستة ثلاث وعشرين ومائتين أمكن أن يكون بعد بعض القضاة ، غير سعيد بن سليمان .

قال محمد بن وضاح :

وفى ولاية إبراهيم بن العباس الثانية رفع إلى الأمير — رحمه الله — أن القاضى ليس يقبل من أهل قرطبة إلا من أشار يحيى بقبوله ، وإنما يعملون هذا الأمر لهذا القریشى ، فبعث الأمير عبد الرحمن فى عبد الملك بن حبيب ، فقال له : قد تعلم يدى عندك ، وإنى أريد أن أسألك عن شيء فاصدقنى فيه ، فقال : نعم ، لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك ، فقال : إنه رفع إلينا عن يحيى بن يحيى ، وعن القاضى : أنهم يعملون علينا فى هذا الأمر ، فقال عبد الملك : قد علم الأمير ما بينى وبين يحيى بن يحيى ، ولكنى لا أقول إلا الحق ، ليس يحيى من (٢) يحيى بن

(١) الأصول : « من عند يحيى » .

يحيي إلا ما يحيى منى ، وكل ما رفع عليه إليك فباطل ، وأما القاضى ،
فلا ينبغي للأمير أن يشركه فى عمله من يشركه فى نسبه .
فعزله الأمير حينئذ عن القضاء .

قال محمد : وأخبرنى بعض العلماء ، قال :

قدم موسى بن حدير من الحج فعرض عليه الأمير عبد الرحمن -
رحمه الله - ولاية الخزانة ، فأبى قبولها (٢) ، وذهب إلى الانتقاض عن
الخدمة ، فعافاه الأمير ، فلم يلبث موسى بن حدير إلا يسيراً حتى
استعدت عليه امرأة من جيرانه عند القاضى إبراهيم بن العباس ،
وذكرت أنه طلبها فى دارها تلاصقه ، فأرسل فيه إبراهيم بن العباس
فأحضره ، فقال له : إن هذه المرأة تقول كذا وكذا ، وتدعى عليك
بكذا وكذا ، فما تقول ؟ فقال له موسى : أوكل من يخاصمها ، فقال له :
تقر أو تنكر ، ثم توكل بعد ذلك من شئت على الخصومة ، فقال له :
أوكل من يقر عني أو ينكر ، فأبى إبراهيم أن يقبل ذلك منه ، واضطره
إلى أن يجيب المرأة فى دعواها مقراً أو منكرأ ، فلما لم يجد من ذلك
بدأ قال له : جميع ما تدعيه حق ، وهى المصدقة ، ثم انصرف عنه ، وقد
اعتقد له ضغناً عظيماً ، وأضر له حقداً شديداً ، ثم وضع يده فكتب
إلى الأمير يسأله ولاية الخزانة ، ويذكر أنه تعقب أمرها فاستسهله من
أجل أنها أمانة ، يعطى الأموال كما يأخذها ، فأسعفه الأمير عبد الرحمن
- رحمه الله - بذلك ، وولاه الخزانة ، فكان خازناً نحو الشهر ، ثم
كتب إلى الأمير يستأذنه للدخول عليه ، فأدخله على نفسه ، ثم قال

(١) الأصول : « من قبولها » .

له : أمر لا قرار عليه ، صح عندي أن القاضي إبراهيم بن العباس في مجلس قضائه يخاطب بأن يقال له : يا بن الخلائف ، فعزله عبدالرحمن بذلك .
قال محمد : وسمعت الأمير ولي عهد المسلمين ، الحكيم ، أبقاه الله ، يقول : سمعت الحاجب موسى بن محمد بن حدير يقول : إن موسى بن حدير دسّس امرأة من مواليه ، فوقفتم للقاضي على طريقته ، ثم قالت له : يا بن الخلائف .

فكان ذلك سبباً لعزل إبراهيم .

قال أحمد بن أيمن ، أخبرني أبي :

أن عباساً القرشي ، جد بن العباس ، شكاه إلى الأمير ، في قصة دارت ، فقال : اذهب إليه ، فإن أذن لك مخلياً^(١) فقد عزلته .

فلما توجه عباس استأذن عليه ، فلم يأذن له ، وأوصل^(٢) إليه : إن كانت لك حاجة فاقعد في المسجد حتى أخرج إلى العامة ، فيسعك ما يسعهم .

فاتصل ذلك بالأمير ، فازداد بذلك عنده رفعة ودرجة .

(١) مخلياً : خاليا بك .

(٢) الأوصول : « وأوصى » .

ذكر القاضى يخامر بن عثمان الشعبانى

قال محمد :

هو : يخامر بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عبيد بن أقدان بن وداعة بن عمرو .

ولى القضاء سنة عشرين ومائتين .

وهو أخو معاذ بن عثمان ، ومعاذ هذا ، والد سعد بن معاذ الفقيه ، وكانا من أهل جيان من قعدة الأشعث ، وكان اتسابهما فى العرب إلى جذام ، فيما أحسب ، وكانا^(١) ، فيما قيل لى : من جنده قنسرين .

ولى يخامر القضاء فعامل الناس بخلق صعب ، ومذهب وعر ، وصلابة تجاوزت المقدار ، فلم تحتل العامة له ذلك ، فتسلط عليه الألسن ، وكثرت فيه المقالة ، وانبرى له رجل من شعراء قرطبة ، فى ذلك الزمان ، وهو المعروف بالغزال^(٢) ، فكان يهجوّه ويصفه بالبله والجهل ، ومن بعض ما ذكره فيه قوله فى شعر له :

فسبحان من أعطاك بطشاً وقوة وسبحان من ولى القضاء يخامرا

(١) الاصول : « وكانوا » .

(٢) الغزال : بالتخفيف ، هو يحيى بن الحكم ، وكان مولده سنة ست وخمسين ومائة ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين . (جذوة المقتبس : ت : ٨٨٨) .

قال محمد :

قال لى ولى العهد - أبقاه الله - يوماً ، وقد ذكر القضاة وأخبارهم : حدثني محمد بن أبي عيسى ، قال : طرح ابن الشمر بين سحاه^(١) يخامر بن عثمان الشعباني سحاهة فيها مكتوب : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فخرجت السحاهة إلى يخامر ، فأمر أن يدعى بهما ، فهتف الهاقف : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فصاح ابن الشمر : نزولهما من أشراط الساعة ، ثم أخذ سحاهة فكتب فيها :

يخامر ماتتفك تأتي بفضحة دعوت ابن متى والمسيح بن مريما بما قلت حيناً ثم فاداك صامح بأنهما^(٢) ليسا^(٣) على الأرض فاعلما قفاك قفا حربا^(٤) ووجهه مظلم^(٥) وعقلك ما يسوى من البعردرهما^(٦) فلاعشت مودوداً ولاعشت سالماً ولامت منقودا ولامت مسلما

قال محمد :

وتألب الناس ، ورفعوا إلى الأمير - رحمه الله - يشكون يخامر القاضي ، فلما كثر ذلك على الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - أمر الوزراء بسماع الشهادة والنظر في أمر يخامر ، فذكرت عنه أشياء مدارها على قلة المداراة ، وترك حسن المعاملة .

(١) الأصول : « سحيات » . والمسموع فى جمع « سحاهة » : سحاه . والسحاهة : القشرة من كل شىء ، يريد بها هنا : الورقة المنزوعة .

(٢) مقروء ريبيرا : « فانهما » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) الأصول : « بقى » .

(٤) مقروء ريبيرا : « حربا » بالخاء المعجمة ، وعليه المطبوعتان المصريتان ، تصحيف . وحربا ، مقصور : حرباء ، وهى دويبة على شكل سام أبرص مخططة الظهر تتلون ألوانا .

(٥) أسوى يسوى : عادل .

(٦) الأصول : « مظلما » .

وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان ، يسمى : ينير ، وكان مقبلاً
عند القضاة ، مقبول الشهادة ، مشهوراً في العامة بالخير وحسن المذهب ،
فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية : ما أعرفه ،
إلا أني سمعت الناس يقولون : إنه إنسان سوء ، وصغره باللفظ
العجمي .

فلما رفع قوله إلى الأمير — رحمه الله — عجب من لفظه ، وقال :
ما أخرج مثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصالح إلا الصدق ، فعزله
عن القضاء حينئذ .

قال محمد : قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن :

فلما أتى الفتى إلى يخامر بعزله ، من عند الأمير — رحمه الله —
قال له يخامر ، على رؤوس الناس : قل للأمير — أصلحه الله — إذ
وليتني أمرتني أن أتخفظ من السلسلة السوء ، واليوم تعزلي بيغيا على .
فلما بلغ الفتى قوله إلى الأمير ، قال : قبحه الله ، ذكر أسرارنا
على رؤوس الناس .

ذكر القاضى على بن أبى بكر الكلابى

قال محمد :

ولما عزل الأمير عبد الرحمن بن الحسكـم — رضى الله عنهما — يخامر
عن القضاء ، ولى بعده رجلا من أهل قبرة^(١) ، يسمى : على بن أبى بكر
ابن عبيد بن على الكلابى ، وكان لقبه : يوانش ، ولا أحفظ له خبرا
أكثر من ذكره .

(١) قبرة ، بلفظ تأنيث : القبر ، أظنها أعجمية . (معجم البلدان :
٤ : ٢٩) .

ذكر القاضى معاذ بن عثمان الشعبانى

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - قضاء
الجماعة معاذ بن عثمان الشعبانى ، وكان من أهل جيان ، قاضياً سبعة
عشر شهراً ، ثم عزله من بعد .

ورأيت فى بعض الحكايات : أنه لما عزله لأنه حفظت عليه فى
تلك المدة سبعون قضية قضى بها ، فاستكثرت منه .

قال محمد :

وهى ، فيما أرى ، حكاية مدخولة ، لأنه لا يذكر تنفيذ الأضية
وكثرتها مع حضور الحق ، وانكشاف الصدق .

قال محمد :

فكرت فى مخرج هذه الحكاية فاستربتها ، وذلك أن صاحبها الذى
حكاها وكتب بها إلى ولى العهد - أبقاه الله - هو فلان بن فلان ،
حكاها عن أبيه ، وأراه صادقاً على أبيه ، ولا تخلو هذه الحكاية من
أن تكون صحيحة على أهل هذا الزمان الذى كان فيه معاذ قاضياً ،
أو تكون غير صحيحة .

فإن كانت صحيحة فإنما طمس نور هذه الفضيلة ، وحجدها

أهل التفقه من أهل ذلك الزمان ، ولا سيما الذين كانوا يتساورون^(١) من تعجيل الأحكام وسرعة التنفيذ ، مما يفر بهم من أهل الخصومات ، وينيلهم ما يحبون ، وكلما طالت الخصومات كان أنفع لهم ، وأهل العلم بهم يعلمون ما أقول .

وإن كانت غير صحيحة ، فهي من تشنيع فلان لـتشي^(٢) القضاة عن سرعة التنفيذ للذي أراغه^(٣) وكناه ، من المعنى الذي ذكرناه آنفاً ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وكان معاذ ، فيما سمعت ، حسن السيرة ، لين العريكة ، خالق الناس بغير خلق أبيه ، وأحسن التخلص منهم .

وسمعت من يحيى أنه كانت معه صحة ، وسلامة قلب ، فكان لا يظن بأحد شراً .

وكان قد ولي أحباسه^(٤) بقرطبة رجلاً ظن به خيراً ، فخالف ظنه فيه ، فقال في ذلك الغزال :

يقول لى القاضى معاذ^٥ مشاوراً
وولى^٦ امرأ فيما يرى من ذوى الفضل
فديتك ماذا تحسب المرء صانعاً
فقلت وماذا يصنع الدبُّ بالنَّحل

(١) مقروء ريبيرا : « يشاورون » وعليه المطبوعتان المصريتان .
ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . والتساور : التواثب .
(٢) مقروء ريبيرا : « لتثبت » وعليه المطبوعتان المصريتان . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . وتناه عن الأمر : صرفه عنه .
(٣) أراغه : إرادته وطلبه .
(٤) الأحباس : ما يقفه الحابس فلا يباع ولا يورث ، وإنما تملك غلته ومنفعته .

يدقّ خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذباب ما كان من فضل

قال محمد :

كان معاذ قاضياً بقرطبة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وفي هذا التاريخ كان على سوق قرطبة إبراهيم بن حسين بن خالد ، وفيه فسخ معاذ بن عثمان حكم إبراهيم عن بني قتيبة في الحوانيت التي هدمها عليهم إبراهيم ، وكان إبراهيم بن حسين بن خالد صاحب نظر ، خالف فقهاء زمانه : يحيى ، وعبد الملك ، وزونان ، فتظاهروا عليه وأباتوا خطاه ، وجاز قولهم عليه .

ذكر القاضى محمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رحمه الله - قضاء الجماعة
محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن فاشرة بن لوذان بن حيس بن
حاطب بن حارثة بن راشد بن زيد حارثة بن جزيلة^(١) بن الحنم
ابن عدى .

قال محمد :

ومحمد بن زياد هو والد القاضى الحبيب بن زياد .
فكان حسن السيرة ، محمود الولاية ، وكان من أهل الفضل والخير ،
وكان قد سمع من معاوية بن صالح الحضرمي سمعاً كثيراً .
قال محمد : وقال لى محمد بن عبد الله بن أبي عيسى :
لما احتضر يحيى بن يحيى أسند وصيته فى أداء دين ، وبيع مال ،
إلى محمد بن زياد ، وكان القاضى يومئذ ، فكان وصيه فى ذلك الوقت .

قال محمد : أخبرنى بعض رواة الأخبار ، قال .
لما وضعت جنازة يحيى بن يحيى ، قال عبيد الله بن يحيى ، وهو

(١) مقروء ريبيرا : « جديلة » وعليه المطبوعتان المصريتان . صوابه
ما أثبتنا . (انظر جمهرة أنساب العرب : ٤٢٢) .

يومئذ ابن سبع عشرة سنة ، للقاضي محمد بن زياد ، وتقدم إسحاق بن يحيى للصلاة على أبيه ، فكبر محمد بن زياد وكبر إسحاق ، حتى بلغوا إلى السلام ، فسلم محمد بن زياد ، وسلم إسحاق بن يحيى . هكذا كانت الصلاة على يحيى بن يحيى ، فلما انقضت الصلاة نظر محمد بن زياد إلى إسحاق بن يحيى ، ثم قال له : ومن أ قدمك على بهذا ؟ فقال له إسحاق : ومن قدمك أنت على أبي ؟ فقال له حكم الصلاة عليه إلىّ دونك ، ومع هذا فإن أخاك قدمني ، وهو أرشد منك ، أما والله لو لاحظت هذا الميت لفعلت بك وفعلت .

قيل : فكان ثناء محمد بن زياد على عبيد الله بن يحيى ذلك اليوم أول سرود عبيد الله ، ثم كان له على إكرام ومبرة .
قال محمد :

حكيت هذه القصة لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فلم يعرفها ، وقال : كان عبيد الله من أشد الناس إعظاماً لأخيه إسحاق ، وكان يأخذ بركابه إذا أراد أن يركب ، فما أدري إن كان فعل مثل هذا في أبيه .

قال محمد : ذكر أحمد بن زياد ، عن ابن وضاح ، قال : شهد شاهد عند محمد بن زياد بشهادة ، فقال غراب لمحمد بن زياد : ومن شهد عليّ ؟ لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد ، فقال له محمد بن زياد : وما ذكر الليث بن سعد هاهنا ؟ فأمر به ، وذلك في المسجد وهو والي الشرطة ، فقمع^(١) أسواطاً .
قال : فكان ذلك من فعله صواباً .
قال ابن وضاح :

(١) قمع : ضرب .

وابن القاسم يرى أن يعزر^(١) السلطان الرجل في المسجد بالسوط ،
وسخنون يأبى ذلك .

قال :

ولما ولي سخنون بن سعيد القضاء ، حمل الضرب على الذى
لا يريد غرم ماعليه ، وهو مليء ، بعد أن حبسه ، فقيل له : من أين
أخذت الضرب ؟ وإنما كنا نحبس حتى يغرّم . قال : من حديث
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : مظل الغنى ظلم ، فإذا كان ظالماً ،
كما سماه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أدبته على ظلمه .

قال محمد بن وضاح : وقعت شهادات على بعض آل السلطان
عند القاضى محمد بن زياد ، فأرسل القاضى إلى المشهود عليه رجلين ،
يقولان له : إن فلانا وفلانا شهدا عليك بكذا وكذا ، فإن كان عندك
مدفع فها ته ، ولم يمكثه من نسخة الكتاب ، فكتب بذلك المشهود عليه
إلى الأمير — رحمه الله — فأوصى الأمير إلى القاضى فى ذلك ، فقال :
محمد بن زياد : لى خفت أن يفرضها على الزبيغ والفجور فيعمل له
الحجج حتى تعطل الشهادات ، وقد عرفته بهذا ظاهراً .

قال محمد : ذكر لى بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن زياد يوماً يمشى مع محمد بن عيسى الأعشى ، حتى
لقيا رجلاً يتهايد سكرأ ، فأمر القاضى محمد بن زياد بأخذه ليقيم عليه
الحد ، فأخذه أعوازه ، ثم مشوا^(٢) قليلاً ، فأتوا^(٣) إلى موضع ضيق ،

(١) يعزر : يعاقب بما هو دون الحد الشرعى .

(٢) الاصول : « مشى » .

(٣) الاصول : « فأتى » .

فتقدم القاضى وتأخر الأعشى ، ففي تأخره عن القاضى التفت إلى الذى كان يمسك السكران ، فقال : يقول لك القاضى : أطلقه ، فأطلقتة ثم افترقا جميعا .

ونزل القاضى ، ودعا بالسكران ، فقبل له : أمرنا عنك أبو عبد الله الفقيه أن نطلقه ، فقال : وفعل ؟ قيل (١) له : نعم ، قال : أحسن .

قال محمد :

وما أتى عن القضاة فى هذا المعنى خاصة ، من الإغضاء عن السكرى ، والتغافل لهم ، والرقعة عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً من الوجوه يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم به العذر ، إلا وجهاً واحداً ، وهو أن حدّ السكر من بين الحدود كلها لم ينص عليه (٢) الكتاب المنزل ، ولا أتى فيه حديث ثابت عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما ثبت أن النبى . صلى الله عليه وسلم ، أتى برجل قد شرب ، فأمر أصحابه أن يضربوه على معصيته ، فضرب بالنعال وبأطراف الأردية ، ومات النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يحدث فى ضرب السكران حداً يلحق بسائر الحدود ، فلما نظر أبو بكر - رضى الله عنه - فى ذلك بعد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، واستشار أصحابه ، قال له على بن أبى طالب ، رضى الله عنه : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى افترمى ، ومن افترمى ، وجب عليه الحد ، أرى أن يضرب الشارب ثمانين ، فقبل ذلك منه الصحابة .

فذكر أهل الحديث أن أبا بكر عند موته ، قال : ما شئ فى نفسى

(١) الأصول : « قال » .

(٢) الاصول : « لم ينصه » وما أثبتنا أنسب .

منه شيء غير حد الخمر ، فإنه شيء لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شيء رأيناه من بعده .

قال محمد :

كان السبب في عزل^(١) محمد بن زياد عن القضاء ما كان من أمر ابن أخى عجب ، وذلك أنه شهد عليه بلفظ نطق به عابثاً^(٢) في يوم غيث ، فأمر الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — بحبسها ، فأبرمته عجب في إطلاقه ، وكانت مدلة عليه ، لمكانها من أبيه ، فقال لها : نكاشف^(٣) أهل العلم عما يجب عليه في لفظه ، ثم يكون الفصل في أمره . فأمر الأمير — رحمه الله — محمد بن السليم ، وهو يومئذ والى المدينة ، أن يحضر القاضى محمد بن زياد ، وفقهاء البلد ، فجمعهم في مجلس النشمة^(٤) فحضر حينئذ عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، وعبد الأعلى ابن وهب ، وأبو زيد بن إبراهيم ، وأبان بن عيسى بن دينار ، فشاورهم في أمره ، وأخبرهم بما كان من لفظه ، فتوقف عن الإشارة بسفك دمه القاضى محمد بن زياد ، وأبو زيد ، وعبد الأعلى ، وأبان ، وأشار بقتله عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، فأمرهم محمد بن السليم أن ينصوا^(٥) فتياهم على وجهها في صك ، ليرفعها إلى الأمير — رحمه الله — ففعلوا ، فلما تصفح الأمير قولهم استحسنت قول عبد الملك ، وأصبع ، ورأى ما رأيا من قتله ، وأمر حسان نخرج عليهم ، فقال لصاحب المدينة : قد فهم الأمير — أكرمه الله — ما أفنتى به القوم

(١) الأصول : « عزلة » .

(٢) الأصول : « متعبثا » وهى غير واردة .

(٣) الأصول : « تكشف » .

(٤) كذا . والنشمة ، واحدة النشم ، وهو شجر من الفصيلة

الزيزفونية . ولعله يريد مكانا فيه هذا الشجر .

(٥) نص الفتيا : رفعها وأسندها الى من رويت عنه .

في أمر هذا الفاسق ، وهو يقول للقاضي : اذهب فقد عزلناك .
وأما أنت - يعنى : عبد الأعلى - فكان يحيى بن يحيى يشهد عليك
بالزندقه ، ومن كانت هذه حاله فخرى ألا نسمع فتياه ، وأما أنت
يا أبان بن عيسى ، فإننا أردنا أن نوليكَ القضاء بجيسان ، فرحمت أنك
لا تحسن القضاء ، فإن كنت صادقاً فما آن لك أن تتعلم الفتيا ، وإن
كنت كاذباً فالكاذب لا يكون أميناً .

وقال للآخر كلاماً أمسك عنه صاحب الجناية ، وأراه ذهب إلى
حفظ بعض ولده .

ثم قال حسان الفتى لصاحب المدينة : والأمير - أكرمه الله -
يأمرك أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين : عبد الملك ، وأصبغ ،
وأمر لهما بأربعين غلاماً من الغلمان ينفذون نقماً في هذا
الفاسق مارأيا .

نخرج عبد الملك ، وهو يقول سبّ ربّ عبدنا إن لم نتصر له ،
لنا لعبيد سوء .

ثم أخرج المحبوس ، فوقفا حتى رفع في خشبته ، وهو يقول
لعبد الملك : أبا مروان : اتق الله في دمي ، فإنني أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . وعبد الملك يقول : (الآن وقد عصيت قبل)^(١) ،
حتى صلب ، وانصرفا .

قال محمد :

ولم ينتقم على محمد بن زياد في ولايته شيء من الأشياء ، فيما ذكر
أهل العلم ، غير دالة كانت تظهر من امرأته عليه ، على ما يفعله الأزواج

(١) يونس : ٩٠ .

ببعولتهن ، والناس إلى تقفى المعايب سراع ، فكان ذلك مما يغمص^(١) به عليه فى ذلك الوقت .

وكانت تلك المرأة تسمى : كنفات .

قال أحمد بن أئمن : وأخبرنى أبى محمد بن عبد الملك بن أئمن ، قال : لما أفضت الخلافة إلى محمد - رحمه الله - كاسم فى إعادة محمد بن زياد إلى القضاء والصلاة ، وكان له صنعة قبل ولايته ، فأبى وقال : ترانى أنسى ما كان الناس يشنعون به فى أمر كنفات ، فصرفه إلى الصلاة وحدها .

قال محمد بن وضاح :

سمعت محمد بن زياد ، لما ولى الصلاة المرة الثانية ، فى أيام محمد الأمير - رحمه الله - يقول للقومة^(٢) ، وقد دعاهم : إنما بلغتنى عنكم (أشياء)^(٣) ، فاتقوا الله واستقيموا وأعينونى على الحق ، لئن وجدت أحدا منكم قد خلط لأجعلنه نكالا .

ثم قال : انظروا إلى ، واجعلونى من بالسكم ، فإن رأيتمونى أخلط فأتتم فى سعة من التخليط ، وإن رأيتمونى أريد الحق فأعينونى ، ولا تجعلوا إلى أنفسكم سبيلا .

(١) الأصول : « يغمص » بالضاد المعجمة ، تصحيف • ويغمص • يعاب •
(٢) القومة : الذين يقومون بأمر الناس من قبل السلطان ، ولعلها جمع قائم •
(٣) بمثل هذه الكلمة يتصل الكلام ، فمكانها كلمة أخرى استعصت قراءتها على القارئ •

ذكر القاضى سعيد بن سليمان الغافقى

قال محمد :

أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب ، كان أصله من مدينة غافق .
ولى قضاء ماردة وغيرها قبل ولايته قضاء قرطبة ، ثم ولاة الأمير
عبد الرحمن بن الحسكـم -- رضى الله عنهما -- قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

وسليمان بن سعيد ، غير سليمان بن أسود ، قاضى الجماعة بقرطبة .
قال محمد : وكان الفقيه أبو عثمان العراقى يحكى عن أبى عبد الله
محمد بن وضاح ، فيما أخبرنى فرج بن سلمة ، وذكره أيضاً خالد بن
سعد ، قال :

ولى القضاء أربعة ، فاتصل العدل بهم فى آفاق الأرض : رُحيم بن
اليتيم بالشام ، والحارث بن مسكين بمصر ، وسحنون بن سعيد بالقيروان ،
وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة .

قال محمد بن حارث :

فأما رُحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم فكان من أهل دمشق ،
وولاه قضاء الشام جعفر المتوكل . وكانت وفاة رُحيم بن عبد الرحمن ،
المعروف بابن اليتيم ، بالرملة ، سنة خمس وأربعين ومائتين . ولم أعلم
بتاريخ ولايته القضاء متى كان .

وأما الحارث بن مسكين فإنه ولاء قضاء مصر جعفر المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، جاءته راية القضاء وهو بالإسكندرية ، ثم حمل إلى مصر ، فكان قاضياً إلى أن عزل يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

وأما سحنون بن سعيد التنوخي ، فإنه ولاء قضاء إفريقية محمد بن الأغلب التميمي سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفي سحنون قاضياً غير معزول يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .

وأما سعيد بن سليمان ، فإنه ولاء قضاء الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن الحكم — رحمه الله — فكان قاضيه حتى مات عبد الرحمن — رحمه الله — ثم أقره على القضاء محمد بن عبد الرحمن — رضي الله عنه — فقضى له نحو السنين ، ثم مات بقرطبة قاضياً غير معزول .

قال محمد :

ولم أسمع بتاريخ ولايته القضاء متى كان ، غير أنه كان بلاشك بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال خالد بن سعد : أخبرني بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن أحمد بن عبد الله بن أبي خالد :

أنه أدرك القاضي سعيد بن سليمان ورآه يقضى بين الناس ، وأنه لما أراد الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رحمه الله — أن يوليه القضاء بقرطبة أرسل فيه رسولا ، فوافقوه وهو يقف على أزواج له يحرثن بفحص البلوط في ضيعته ، فقال له الرسول : تراكب إلى قرطبة ، فإن الأمير ذهب إلى توليتك القضاء ، قال له : دعني حتى أبلغ إلى منزلي أتجهز بما أحتاج إليه ، فأبى الرسول أن يتركه ، وقال : كن هاهنا معي ، وأرسل إلى منزلك في دابتك وما تحتاج إليه من الزاد ، ففعل ،

فلما قدم قرطبة ولاه الأمير - رحمه الله - القضاء ، فجلس للحكم في المسجد ، وعليه جبة صوف بيضاء ، وفي رأسه أقروفي^(١) أبيض ، وغفارة^(٢) بيضاء من ذلك الجنس ، فلما نظر الخصوم إليه احتقروه ، فجاءوا في مغيبه عن المسجد بقفزة مملوءة من قشر البلوط فوضعوها تحت الحصير الذي كان يصلي عليه ، فلما أتى القاضي بعد ذلك ، وقام على الحصير ، أحس تحته شيئاً يتكسر ، فلما فرغ من الصلاة أخذ يرفع الحصير ، فنظر إلى قشر البلوط ، فقبل له : إن بعض الخصوم فعلوا ذلك ، وصح عنده ما قبل له فيهم ، فلما أتوه من بعد ذلك قال لهم : يامعشر الخصوم ، غيرتموني بأني بلوطي ، أنا أشهد على نفسي أني بلوطي . عود^(٣) والله صليب لا تغفلوه^(٤) ، ثم حلف لهم بإثر كلامه هذا : ألا يتخاصموا^(٤) عنده سنة ، فسكاد أن يورثهم الفقر .

قال محمد : حدثني فرج بن سلمة البلوي ، قال : حدثنا سعدون ابن ناصر بن قيس ، وكان شيخاً من أهل الحركة :

أن أباه كان وكيلاً لسعيد بن سليمان ، وأنه قدم في بعض الأيام من فحص البلوط على القاضي سعيد بن سليمان ، فألقى بين يديه رجلاً وزوجته .

قال ناصر بن قيس :

فلما دخلت على القاضي قام إلى مسلما ، ثم جلس ، فقال لمن

(١) كذا .

(٢) الغفارة ، بالكسر : خرقة يغطي بها الرأس ، ما قبل منه وما دبر ، غير وسطه .

(٣) الأصول : « لا تغفلوا فيه » والفعل متعد بنفسيه ، يقال : فلك ، إذا كسره .

(٤) الأصول : « يخاصموا » ولا يستقيم بها المعنى .

حوله : هذا مقيتى ومقيت عيالى بحول الله ، ثم سألتنى عن رفعه فى ذلك العام ، فقلت له : رفع القاضى بسبعة أمداد^(١) من شعير وثلاثة أمداد من قمح . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم عاد إلى التسكلم بين الرجل وزوجته اللذين ألفيتهما بين يديه ، فقال الرجل : يا قاضى ، تأمرها بالنهوض معى إلى منزلى . فاصقت بالأرض المرأة وتابت ألا تمشى معه فى الأرض شيرا ، ثم قالت للقاضى : بالله الذى لا إله هو ، لئن صرفتنى إليه لأقتلن نفسى ، وتسكون المسرول عن دى .

قال ناصر :

فلما سمع القاضى كلام المرأة عطف على رجل إلى جنبه ، حسبته كان فقيرا ، فقال له : ماترى ؟ قال له : إن كان القاضى ، وفقه الله ، لم يظهر له أن هذا الرجل يضر بزوجته فليجبرها على المسير معه ، أحبت أو كرهت ، إلا أن يشاء الرجل أن يفارقها بفدية أو غيرها ، فإن أبى إلا الفدية فذلك حلال له ، ويخلعها^(٢) ولو من قرطها ، إن لم يكن له منه ضرر إليها ، فقال الزوج : والله ما لها مال ، قال له : فلو ذهبت إلى الافتداء منك أكنت تفارقها ؟ فقال له : كنت أسمع .

قال ناصر : فعاد على القاضى ، فقال ، هل جلبت من الطعام فى جيبتك هذه شيئا ؟ فقلت له : بلى . جلبت مدا من قمح ، ومدين من شعير .

قال ناصر : فرأيت يده يقلب أصابعه ، ثم قال : قوت تسعة أشهر كشير . ثم قال لزوج المرأة : خذ ما بقى من رفقى فى ضيعتى وأرحها

(١) أمداد : جمع مد ، بالضم ، وهو مكيال قديم .
(٢) يخلعها : يطلقها بفدية من مالها .

من نفسك ، وأرح نفسك منها ، فقال الزوج : كنت أفعل ، لو كان الطعام بقرطبة ، فقال له القاضي : أحسبك مغتما ، ثم وضع يديه في الأرض وقام ودخل الدار ، وأخرج شقة بيضاء من صوف ، فدفعها إليه ، وقال للزوج : هذه شقة عملت في بيتي لشتوتى ، وأنا ، إن شاء الله ، غنى عنها ، نخذها واستعن بشمها في جلب الطعام إلى نفسك ، فأخذها وبارأ زوجته ، وأمرنى بدفع الطعام إليه ، فأقبضته إياه .

قال خالد بن سعد : أخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن رجل فاضل من خيار المسلمين أدرك سعيد بن سليمان القاضي ، قال :

قضى سعيد بن سليمان يوماً في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ، ثم قام منصرفاً إلى داره ، فلما هم بدخول الدار ، فإذا بوالد نصر الفتى مقبلاً وأعوازه بين يديه ، وكان أعجمى اللسان ، فصاح على البعد بالعجمية : كلوا القاضي ، يثبت على أكلمه ، فقال القاضي : قولوا له بالعجمية : إن القاضي قد أدركته الملالة والسامة من طول الجلوس للقضاء ، فإذا جلس بالعشى في المسجد للنظر بين الناس تعود إليه لينظر في حاجتك ، إن شاء الله ، ثم دخل القاضي داره ولم يقف عليه .

قال خالد بن سعد :

وكان محمد بن عمر بن لبابة يصف سعيد بن سليمان القاضي بالخير والفضل ، ويثنى عليه ، ويصفه بالتواضع .

قال محمد بن عمر بن لبابة . أخبرنى محمد بن أحمد العتبي ، قال :

صلى بنا سعيد بن سليمان القاضي صلاة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة

ثم خرجنا معه ، فمشى ولم يركب ، ومشينا معه حتى بلغ إلى الفرن الذي كان يطبخ فيه خبزته ، فقال للفران : خبزتى مطبوخة ؟ فقال له : نعم . فقال له : هاتها ، فناولها له ، فأخذها فجعلها تحت عضده ، وأقبلنا نمشى حتى بلغنا الدار فدخل ، وانصرفنا عنه .

قال محمد : ذكر أهل بعض العلم ، قال :

كان سعيد بن سليمان القاضى يحكم فى المسجد الجامع ، ويأتى إليه ماشياً ، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى ، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه ، وكان سعيد بن حسان منقبضاً عنه ، فقال له القاضى : أبا عثمان ، مالك تنقبض عنى فلا تأتيني ؟ فوالله ما أريد إلا الحق ، ولا أقصد غيره ، فقال له سعيد بن حسان : والله لو أعلم هذا ما قعدت عنك ، ولتجملت هذه الخريطة^(١) بين يديك .

ثم عاد سعيد إلى إتيانه .

قال محمد :

ولبت سعيد بن سليمان قاضياً إلى أن مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنه — سنة ثمان وثمانين ومائتين .

فحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن أخبره ، عن شهد البيعة للأمير محمد ، رحمه الله :

أنه لما دخل عليه القاضى سعيد بن سليمان ودنا منه ، قال له محمد الأمير : أيها القاضى ، امض على نظرك ، فتمادى قاضياً فى أول أيام الأمير محمد — رحمه الله — نحو عامين ، ثم مات غير معزول .

(١) الخريطة : وعاء من جلد لحفظ الأوراق ، يريد محفظة القاضى التى به أوراقه .

ولا أعلم له عقباً .

قال محمد :

وجدت في تسمية المستخرجة من ديوان القضاء : أنه تلا سعيد بن سليمان في القضاء محمد بن سعيد ، فلا أدري إن كان محمد بن سعيد بن سليمان ، أو غيره ، ولم أجد له خبراً ، ولا سمعت له عند من أدركت من العلماء ذكراً ، حاشي اسمه ، فإنه موضوع مع جملة أسماء قضاة الجماعة في التسمية المستخرجة من الديوان .

ذكر القاضى أحمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

أحمد بن زياد بن عبد الرحمن ، أخو محمد بن زياد ، المتقدم ذكره من قبل ، وقع عليه اختيار الأمير محمد — رحمه الله — فاستقدمه من شذونة ، وولاه قضاء الجماعة ، فسار بخير سيرة وأجملها ، وكان رجلاً صالحاً ، صحيح المذهب ، حسن السيرة .

ويقال : إنه كانت فيه عجرفية^(١) مع حسن حاله^(٢) ، واستقامة حاله .

قال محمد : قال لى بعض رواة الأخبار :

كان أحمد بن زياد شديد التهيب في قضائه ، لا يخاطب في شيء من أمر الخصوم إلا في مجلس نظره ، ولا يأذن لأحد يلقاه في طريق في مواكبته^(٣) ، ولا أن ينصرف معه ، ومن ألح فيما لا ينبغي من ذلك أمر بحبسه .

وذكر أنه لقيه محمد بن يوسف عند باب القنطرة يوماً من الأيام ، وقد أمر أحمد بن زياد بحبس رجل (أعرج)^(٤) اترضه بكلام لا يصلح له أن يكلمه به ، وكان الأعرج ضيق الخلق ، شديد الحرج ، فقال له حينئذ :

-
- (١) العجرفية : العجرفة ، وهى الجفوة فى الكلام .
(٢) كذا ، ولعلها : « حسن سيرة » أسوة بما سيجىء بعد قليل .
(٣) المواكبة : المبادرة .
(٤) تكملة يستقيم بها الكلام .

هيبة الجبارين ، ومذهب المتكبرين ، لا يكلم على الطريق ، فأمر أحمد ابن زياد بحبس الأعرج ، واتصل الخبر بأهل الجامع لقرب الموضوع ، وكان في تلك الساعة في الجامع صاحب الشرطة محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم ، فخرج إلى أحمد بن زياد ، فعاب عليه ، وكسر رأيه ، فانصرف القاضي عن رأيه ، وأمر بترك محمد بن يوسف .

قال محمد :

وكان أحمد بن زياد قاضياً تسعة أعوام وأشهرًا ، إلى أن أحدث بعض أولاده بشذونه حدثًا ، فاتصل ذلك بالأمير محمد — رحمه الله — فوجه لامتحان ذلك ولدًا لمحمد بن موسى الوزير ، يسمى بموسى ، وكان لقنًا ذكيا ، من أهل النظر والحركة ، فقدم بتصحيح ذلك الحديث ، فدارت على القاضي فيه غضاضة ، ونالته منه ذلة .

قال محمد : أخبرني أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة :

أن هاشم بن عبد العزيز أراد القاضي أحمد بن زياد على أن يبيع دارًا كانت بالمدينة للأيتام من بعض أولاد الأمير محمد — رحمه الله — فأبى وبلغ ، وقال : لا أبيعها ، وكان كاتبه يومئذ عمرو بن عبد الله ، فعمد لنفسه في القضاء مع هاشم بن عبد العزيز ، ثم زين لأحمد بن زياد أن يكتب إلى الأمير يستعنيه عن القضاء ، فأطاعه أحمد بن زياد وكتب بذلك ، فلما خرج الكتاب من حاكمه دخل عليه من خاصته رجل ، فقال له : أنت قصير ، وأنا قصير ، فاحذر أن يغلبك ويغلبني كاتبك عمرو ، فما الذي أشار به عليك ؟ قال : بأن أستعني وأكتب بذلك إلى الأمير ، وقد فعلت ، قال : أنت والله معزول .

قال : فحكى ذلك الرجل ، قال :

فما برحت من بين يديه حتى أتى صاحب الرسائل ، فقال له : يقول
لك الأمير - أصلحه الله - : تبرأ بالديوان إلى قاضينا عمرو بن عبد الله .
وحيكى بعض أهل العلم ، قال :

لما قالت أحمد بن زياد الكسرة ، وأدركته الغضاضة فيما أحدث
ولده بشذوثة ، شاور كتابه عمرو بن عبد الله في أمر نفسه ، وما يحمل
عليه في السبب الذي دار عليه ، فقال له عمرو : أرى أن تكتب إلى
الأمير تستعفيه ، فإن الملوك من شأنهم إذ استعفوا أن يلجوا ، فيكون
إقراره لك بعد الاستعفاء ولاية مجددة ، فأصغى أحمد بن زياد إلى
ذلك ، وكتب بطاقة وحبها عن رأيه ، وكان على أحباس أحمد بن
زياد ، أى ذلك الوقت ، رجل من أكياس الناس ودهاتهم ، يعرف بزيد
العافق ، فدخل زيد على أحمد بن زياد ، وعمرو بن عبد الله خارج عنه ،
وقد أحكم البطاقة ، فلما دخل عليه زيد ، قال له : أيها القاضي ، إن هذا
الخارج عنك - يعنى عمراً - قصير وأنا قصير ، وليس فينا خير ، فقال
له زيد : وإنه خدعك ، فوالله لئن رفعت إلى الأمير تستعفيه ليغتنمها
منك^(١) بسبب ما دار عليك . فعصاه القاضي ، وأمضى البطاقة على وجهها ،
ف عزل له الأمير ، رحمه الله .

فكان محمد بن أيمن يحيى عن زيد ، قال :

بينما أنا في السوق إذ ضرب عليّ شرطي ، فقال : أجب القاضي ،
فقلت : أى قاض ؟ فقال : عمرو بن عبد الله ، فأثبته فوجدته في
الجامع قاعداً .

(١) الأصول : « منها » ولا يستقيم بها المعنى .

وكان زيد يحكى قصة طويلة عرضت له مع عمرو في ذلك :
قال خالد بن سعد ، أخبرنى بعض أصحابنا ، قال : أخبرنى يحيى
ابن زكريا ، قال :

لما ولى عمرو بن عبد الله القضاء أبى أن يقبض الديوان إلا من
أحمد بن زياد ، فبعث فيه عمرو ، وعزم عليه أن يأتيه بالديوان بنفسه ،
لا يسكل ذلك إلى أحد سواه ، وأتاه به إلى الجامع ، فدفعه إليه ، فلما قدم
أحمد أخذ بعضده ثم قال له : يا عمرو ، لقد فتحت على القضاء باباً
لا يخطئك شره !

ذكر القاضي عمرو بن عبد الله بن لبث القبعة

قال محمد :

هو : مولى ابنة عبد الرحمن بن معاوية .

وهو : عمرو بن عبد الله ، كان مولى ، وهو أول من ولي قضاء الجماعة للخلفاء من الموالى ، فشق ذلك على العرب . . . (١) وتكلموا فيه ، فبلغ ذلك الأمير محمداً — رحمه الله — فقال : وجدت فيه ما لم أجد فيهم ، فقال العرب : أما القضاء فإننا لا نعترض فيه ، لأنه من سلطانه ، وأما الصلاة فإننا لا نصلى وراءه ، فولى الأمير — رحمه الله — الصلاة النيرى عبد الله بن الفرغ .

وكان عمرو بن عبد الله صنيعة للأمير محمد — رحمه الله — من قبل أن يلي الخلافة ، وكان عارفاً بفضله وعقله وأدبه ، فقدمه على تجربة ، وولاه عن خبرة ، وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين .

قال محمد :

ومن قبل أن يكتب عمرو بن عبد الله لأحمد بن زياد القاضي كان قاضياً على كورة إستجه (٢) .

فأخبرنى من أثق به ، قال :

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارىء .
(٢) استجة ، مر الكلام على ضبطها . (انظر: فهرست هذا الكتاب)

أتاه عيسى بن فطيس متظلماً من ابن عائشة القرشي ، فقال وشكا وأكثر ، فسكت عنه عمرو بن عبد الله ولم يجبه بحرف ، واستمر ابن فطيس في الشكوى ، فلما بلغ عمرو إلى دار سكناه دخل من الباب وحول وجهه إلى ابن فطيس ، وألقى إليه كلاماً فصلاً ، قليل اللفظ ، كثير المعاني ، عجيب الحكم ، قال له : الغالب في القرية هو الغالب عندي ، فلقنها عنه ابن فطيس ، فجمع عبيده ، ومن لا فـ(١) به من سلطانه ، على خصمه فغلبه ، ثم اجتمعا عند القاضي من بعد ، فأنكر ابن فطيس جميع ما ادعى به عليه خصمه ، وانصرف غير محكوم عليه ، وكلف ابن عائشة البيئته على دعواه ، فغاب ابن فطيس في الظاهر كما غلب في الباطن .

قال محمد :

وجملة القول في وصف عمرو بن عبد الله : أنه كان جميل الرأي ، حسن السمات ، طويل الصمت ، قليل الحركات ، إذا نطق كأنما ينطق من صدع صخرة ، مع الهيبة الشديدة ، والمروءة الظاهرة ، لا ينظر إلا للحماً ، ولا ينطق إلا تبسماً ، حكى في ولايته الأولى محمد بن بشير ، في صحة الأمور ، وشدة النقاوة ، وحسن السيرة ، وإيثار العدل . وكان إذا قعد لا يتقرب منه خصم ، ولا يدنو منه أحد ، وكذلك كان إذا ركب لا يصحبه صاحب ، ولا يصير إلى جانبه راكب ، مع قوة الشكيمه(٢) ، والصلابة الشديدة ، والتنفيذ الوشيك ، وقلة المداراة لمن لصق بالخليفة من وجوه خاصته ، وعيون رجاله .

أخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :

حكم عمرو بن عبد الله على هاشم بن عبد العزيز في مجشر(٣) ، كان في

(١) الأصول : « لاث »

(٢) المطبوعتان المصريتان : « السكينة » .

(٣) مجشر ، كنبر : مرعى للدواب .

يده بجانب جيان ، بعلمه ، بلا بيعة ولا إعدار ، وسجل ، وأشهد ونفذ .
وذكر أهل العلم ، قال : حدثني بعض شيوخ مسجد أبي عثمان ،
قال :

التقى عمرو بن عبد الله بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يزد القاضي علي أن
سلم علي هاشم ، فلوى لم يثن معه عنانا ، ولا وقف عليه فواقاً (١) .
قال خالد بن سعد :

كان محمد بن مسور يذكر أنه توجه ذات يوم إلى القاضي عمرو بن
عبد الله ، وذلك قبل الظهر ، قال : فوجدت الناس ينتظرون خروجه
إلى المسجد ، فخرج وبين يديه رجل يحمل خريطته بكتف ، وشيخ
يمشي إلى جنبه ، فإذا هم رجل أن يدنو من القاضي ليكلمه في مسيره
إلى المسجد دفعه عنه ، وقال : اذهب حتى يجلس القاضي في مجلس
القضاء .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم ، قال :

مات ابن عمرو بن عبد الله فمشت قريش في جنازته ، في حفل لم
يشهد أحد أنهم منه منظرأ ، ولا أكثر عدداً .

قال محمد :

وكان عمرو بن عبد الله حليماً وقوراً ، ضابطاً لنفسه عند ساعه الغضب ،
ومعاينة المكروه .

حكى أحمد بن محمد بن عبد الملك في كتابه ، قال :

(١) الفواق ، بفتح التين : الوقت بين الحلبتين ، يريد وقتاً قصيراً

كان عمرو بن عبد الله يلقب بالقبعة^(١) ، وذلك أنه كان دحداً قصيراً ، يكاد يخفى إذا قعد .

وكان إذا قعد مقعد القضاء أمر من كانت له عنده خصومة أن يكتب اسمه في رقعة ، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه ، ويدعو بأصحابها : الأول فالأول ، على ما يخرج إلى يده من الرقاع ، فأتى رجل إلى مؤمن بن سعيد الشاعر ، وكان كثيراً ما يلزم المسجد الذي كان يجلس فيه عمرو بن عبد الله ، لقرب جواره منه ، فسأله أن يوقع له اسمه في رقعة ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : عقبية ، فكتب له مؤمن بن سعيد رقعة ، فأخذها الرجل فخذفها بين الرقاع ، فلما خرجت إلى يد القاضي شعر^(٢) به ، وجعل يؤخرها حتى انقضت الرقاع ، فقال القاضي ، لما خف الناس عنه : من عقبية ؟ فتقدم إليه الرجل ، فقال له : من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن ، فقال له : إياك أن تقعد إليه ثانية .

قال لى عثمان بن محمد : أخبرني أبي ، قال :

شهدت مجلس عمرو بن عبد الله يوماً من الأيام في المسجد المجاور لداره ، فرأيتته جالساً يحكم بين الناس ، وعليه ثوب ، وهو جالس في ركن المسجد ، منع من جلس إليه من أهل الحوايج والخصومات ، وفي الركن الثاني الذي يقابله مؤمن بن سعيد ، قد جلس مع من جلس إليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب ، قال : فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن في شيء ، فرفع أحدهما يده بخف فضرب صاحبه

(١) القبعة ، بضم ثفتح : طوير أصغر من العصفور .
(١) الأصول : « شعر له » . وشعر له : قال له شعراً ، وما أثبتناه يتفق والسياق ، وشعر به : أحس .

فأصابه ، ثم سقط الخف بعد الضربة في مجلس القاضي ، وظن من حضر أنه ستكون منه صولة ، فإزاد أن قال : لقد آذانا هؤلاء الأحداث .

قال : فرأيت الأحداث يتسللون لو إذا فرقا من القاضي ، وحشمة^(١)

بما أتى من جهتهم .

قال :

ثم لم أبرح من المجلس حتى قام عمرو بن عبد الله متوجهاً إلى داره ، وقام الناس معه ، فلما بلغ باب الدار وقف ، وحول وجهه ، واتكأ على عصاه ، ثم قال : من كانت له حاجة فليتكلم فيها ، فتكلم الناس ، ثم قال عمرو : أين رسول الأمير أبي إسحاق ، حفظه الله ؟ فدنا رجل فقال : أنا هو . فقال : أبلغ الأمير ، أكرم الله ، السلام ، يعني أخا الأمير ، رحمة الله ، وقل له : ظلمت وأسأت فيما فعلت ، عمدت إلى رجل قد أخذه حكماً فآوئته وسترته ، تريد أن تمنع الحق من أن ينفذ عليه ، إن لم تخرجه وتبرزه ، ليعزى ما عليه ، ويصير فيه إلى الواجب ، وإلا أرسلت إليك من يسمر^(٢) أبواب دارك ، ثم دخل إلى داره .

قال محمد : بعض أهل العلم يحكى ، قال :

اختصم رجلان إلى عمرو بن عبد الله ، فأظهر أحدهما وثيقة ، ثم صار إلى سترها ، فقال له عمرو : أظهر الوثيقة ، فأبى ، فعزم عليه عمرو واشتد ، فأخرجها الرجل ، وهو مغضب ، من كفه ، فرمى بها القاضي ، فأصاب وجهه ، فاصفر وجه عمرو حتى امتقع لونه^(٣) ، وظن

(١) الحشمة ، بالكسرة : الحياء .

(٢) يسمر : يدق بالمسمار .

(٣) امتقع لونه ، بالبناء المجهول : اصار . وفى الأصول : « انتقع » .

تحريف .

الناس أنه سيأمر به ، فأدركه حلمه وأعرض عن ذلك ، ونظر في الوثيقة ،
ثم قال للرجل : أليس هذا أحسن ؟

وكان سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، يكتب إلى عمرو بن
عبد الله :

من سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، إلى عمرو بن عبد الله .
فكان عمرو يسوغه ذلك ، ولا يذكره عليه ، ويكتب إليه
الجواب بتقديم ، سليمان بن عمران وتأخير نفسه .

فلما ولي سليمان بن أسود ، عامله سليمان بن عمران تلك المعاملة ،
فلم يحتملها سليمان بن أسود ، فجأبه بتقديم نفسه ، فكان سليمان بن
عمران يقول : يا عجبا ، يعزل مثل عمرو بن عبد الله عن القضاء ويلى
مثل سليمان بن أسود ، ذلك الجلف الجاني !

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان مؤمن بن سعيد الشاعر يوماً جالساً عند عمرو بن عبد الله ، وكان
في مؤمن من الهزل والنادر ما قد عرف وحفظ ، فقال : هذا أبو زيد
الخدري اتخذ علينا خدمته ، فقال الناس : كيت وكيت ، فعرض بالشيخ ،
فاستغرب كل من حضر ضحكا ، فلم يزد عمرو على أن وضع يديه على
فمه وأشار إلى التبسم (١) .

قال خالد بن سعد : أخبرني وليد بن إبراهيم ، قال :

أرسلني أبي إبراهيم بن لبيب ذات يوم في حاجة إلى عمرو بن
عبد الله القاضى ، وكان صديقاً لأبي ، فدخلت عليه في المسجد ، وهو

(١) كذا .

يقضى بين الناس ، إذ أتاه رجل ضعيف ، عليه أطمار ، فشكا إليه بعض عمال الأمير محمد - رحمه الله - وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر ، مرشحاً في وقته للمدينة ، ثم صار إثر ذلك إلى ولاية المدينة ، فقال له : يا قاضى المسلمين ، إن فلانا غصبنى داراً ، فقال له عمرو بن عبد الله القاضى : خذ فيه طابعاً^(٢) ، فقال له الرجل الضعيف : مثلى يسير إلى مثله بطابع ، لست آمنه على نفسى ، فقال له القاضى : خذ فيه طابعاً كما أمرك ، فأخذ الرجل طابعه ، ثم توجه إليه به .

قال وليد : فقلت فى نفسى : لأقعدن حتى أعلم كيف تكون صلابته فى أمره ، فلم تكن إلا ساعة إذ رجع الرجل الضعيف ، فقال له : يا قاضى . إنى عرضت عليه الطابع عن بعد ثم هربت إليك ، فقال له عمرو : اجلس ، سيقبل .

قال وليد بن إبراهيم : فلم أنشب أن أتى الرجل فى ركب عظيم ، وبين يديه الفرسان والرجالة ، فثنى رجله ونزل ، ثم دخل المسجد ، فسلم على القاضى وعلى جميع جلسائه ، ثم تمادى كما هو ، وأسند ظهره إلى حائط المسجد ، فقال له القاضى عمرو بن عبد الله : قم هاهنا فاجلس بين يدي مع خصمك ، فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما هو مسجد ، والمجالس فيه واحدة ، لا فضل لبعضها على بعض ، فقال له عمرو : قم هاهنا كما أمرتك واجلس بين يدي مع خصمك ، فلما رأى - زم القاضى فى ذلك قام فجلس بين يديه ، وأشار القاضى إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه ، فقال عمرو للرجل الضعيف : ما تقول ؟ فقال : أقول : غصبنى داراً لى . فقال القاضى للبدعى عليه : ما تقول ؟ فقال :

(١) طابع : كتاب مختوم بخاتم القاضى .

أقول: إن لي عليه الأدب فيما نسب إلى من الغصب، فقال القاضي: لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب، كما ذكرت، فأما من كان معروفاً بالغصب فلا. ثم قال لجماعة من الأعوان، ممن كانوا^(١) بين يديه: امضوا معه، وتوكلوا به، فإن رد إلى الرجل داره وإلا فردوه إلى حتى أخاطب الأمير - أصلحه الله - في أمره، وأصف له ظلمه وتطاوله.

نخرج مع الأعوان، فلم تكن إلا ساعة حتى انصرف الرجل الضعيف والأعوان، فقال الرجل للقاضي: جزاك الله عنى خيرا، قد صرف إلى داري. فقال له القاضي: اذهب في عافية.

قال محمد بن وليد:

لم يزل عمرو بن عبد الله في ولايته الأولى عظيم القدر، ظاهر الفضل، معروف العدل، تضرب به الأمثال، ويهدد به الظالم، لا يعدل به أحد في جميل مذاهبه، إلى أن أقيم^(٢) عنده على بقي بن مخلد، بتلك الأسباب الناجمة، وتشاهد^(٣) عليه بياض البلد^(٤)، وشيوخ المصر، عازمين على سفك دمه، وقطع أثره، وشنعوا عند الأمير - رحمه الله - من ذلك شنعا^(٥) عظم اهتمام الأمير به^(٦)، فشاور الأمير في ذلك هاشمياً، وقال: قد شهد شيوخ البلد ووجوهه على هذا الرجل بما شهدوا به، فإن أردت أن أرد شهادتهم، وأسقط مقالتهم، صعب

-
- (١) الأصول: «كان» ولا يستقيم بها الكلام.
 - (٢) الأصول: «قيم» ولا يستقيم بها الكلام. وأقيم على: فوض.
 - (٣) كذا. يريد شهد، وهي غير واردة.
 - (٤) بياض البلد، يريد: المتميزين من أهل البلد.
 - (٥) شنع به شنعا، كفرح فرحا: استنكره واستقبحه.
 - (٦) الأصول: «بها».

ذلك على ، وإن أوقعت بالرجل على زهده وخيره ، فعلت عظيماً ،
فما ترى ؟ قال له هاشم : أرى أن تعزل القاضى الذى قام هذا السبب
عنده ، فإنك إذا عزلته سكن القوم وانكسر حدهم ، وصعب عليهم
استئناف الخبر عند الوالى بعده .

فعزل الأمير محمد عمرو بن عبد الله لهذا السبب .

ذكر القاضى سليمان بن أسود الغافقى

قال محمد :

سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب ، من مدينة غافق ، ولى
كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة بقرطبة ،
وولى خالد بن سعيد هذا ، قضاء فحص البلوط .

قال محمد :

وبمدينة ماردة كان تزوج سليمان بن أسود أخت سليمان بن
سليمان بن هاشم المعافرى .

ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن — رضى الله عنهما — قضاء
الجماعة بقرطبة ، إذ عزل عن القضاء عمرو بن عبد الله ، وكان السبب
الذى قدمه عند الأمير ، وأحله بقلبه محل الجلالة أمرين :

أحدهما: أن الأمير محمداً — رحمه الله — إذ كان بماردة ، فى حياة
الأمير عبد الرحمن — رضى الله عنه — تطاول بعض أعوانه فانتزع
من رجل ابنته ، وكان سليمان بن أسود حينئذ قاضياً بماردة ، فليجأ
الرجل المظلوم إلى سليمان القاضى فاستغاثه ، فكتب إلى الأمير محمد
يعلمه بالخبر ، فأبطأ عليه الجواب بما أحب منه من الإنصاف ، فركب
دابته ووقف بباب القصر بماردة ، وكتب إلى الأمير — رحمه الله —
هذه طريقى إلى أريك إن لم تغير على أعوانك ما صنعوا ، فبلغه الأمير
محمد إلى ما أحب من الإنصاف .

فلما ولى محمد - رضى الله عنه - قىل لسليمان : اخرج الأرض
وادخل فيها ، فقد علمت ما قدمت إلى الأمير محمد ، إذ كان بماردة ،
فلم تر^(١) منه مكرها .

وكان حظيا عنده ، مقدماً لديه ، وكان أحد الأربعة الداخلين على
الأمير محمد - رحمه الله - فيما يحتاج من إسهاد واستفتاء .

والثانية : أنه لما عزل سليمان عن قضاء ماردة ، وافى باب القصر
بقرطبة ، وكتب إلى الأمير محمد ، رحمه الله :

إن ييى ما لا تجمع من أرزاقى ، ووجب على صرفه إلى بيت المال ،
وهو مما حاسبت فيه نفسى من أيام الجمع وأوقات الأشغال ، والأحيان
التي وجب على فيها النظر ، فلم أنظر .

نخرج إليه الجواب من عند الأمير : هو لك صلة من عندنا .
فأبى أن يقبله حتى يقبض منه .

وأما القصة الأولى ، فمشهورة مستفيضة عند العامة والخاصة .

وأما القصة الثانية فأخبرنى بها فرج بن سلامة البلوى ، عن محمد بن
عمر بن لبابة .

قال محمد :

وبلغنى أن سليمان بن أسود كان له حظ من علم الأدب ، وربما
صنع الأبيات من الشعر نفاطب بها الخلفاء والخاصة من الإخوان .

قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد بن إبراهيم بن لبيب ، قال :

أخبرنى سليمان ابن [بنت]^(٢) سليمان بن أسود ، قال :

(١) الاصول : « فلم ير » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) تكملة يقتضيهما السياق .

حضرتُ ختنى^(١) سليمان بن أسود ، إذ ولى القضاء وعزل عمرو ابن عبد الله ، وكانا جميعاً في ذلك الحين مجتمعين في الجامع ، فخرجنا جميعاً في وقت واحد : الوالى والمعزول ، فلما أتيا باب العطارين ، وخرجنا مع سليمان من المدينة ، افترقا ، فمال الناس كلهم مع سليمان بن أسود ، ومال عمرو بن عبد الله وحده إلى داره ، ليس معه أحد ، وكان من قبل ذلك بباغة^(٢) قاضياً .

قال سليمان^(٣) :

فهمت أن أميل مع عمرو بن عبد الله مما استعديت ، وعجبت من ندر الناس وقلة وفائهم ، فلم يمنعنى من ذلك إلا مخافة أن يعدو على ختنى سليمان بن أسود .

قال : وأخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن يحيى بن زكريا ، وكان من كبار أصحاب محمد بن وضاح ، قال :

حضر سليمان بن أسود صنيعاً عند بعض الوزراء في يوم جمعة ، فسأله الوزير أن يطعم وحده ، فاعتذر إليه بأنه صائم ، فدعاه بغالية ليغلفه بها ، فأبى ذلك^(٤) وقال : إن هذا يوم جمعة ، ولا بد من الاختسار فيه ، فيصير هذا الطيب إلى الذهب والتلف . فتوقف الوزير عما كان أمر به من ذلك ، فلما خرج سليمان بن أسود من عنده ، قال لبعض إخوانه : كرهت والله أن أكون خطيب المسلمين اليوم وواعظهم ، وعلى طيب فيه ما فيه .

قال محمد : أخبرنى غير واحد من أهل العلم ، قال :

(١) السنن ، محررته : كل من كان من قبل المرأة ، كإبيها وأخيها .
(٢) باغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة (معجم البلدان : ١ : ٤٧٤)
(٣) هو سليمان بن أسود .
(٤) الأصول : « من ذلك » ، والفعل يتعدى بنفسه .

كان سليمان بن أسود فيه ذكورة^(١) وصلابة وتحامل على حاشية
السلطان ، وقلة مداراة لمن لاذ^(٢) بالخليفة من وجوه رجاله ، وأكابر
وزرائه .

قال لي بعض رواة الأخبار ، قال هاشم بن عبد العزيز :
كتب القاضي سليمان بن أسود إلى الأمير كتاباً عرض فيه على
السيف ، وعزل أمية بن عيسى عن المدينة ، وحبس ابن أبي أيوب
القرشي في الحبس .

وكان المعنى في ذلك الكتاب أنه قال للأمير ، فيما خاطبه فيه : إن
ابن أبي أيوب خرج نهاراً بالسيف مشتهراً^(٣) ، فجرح به رجلاً وأخاف
آخرين ، وقد كانت لفعلته هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة ،
فلم يقمعه عن شره ، ولا أخذ منه على يده ، ومن قبل ذلك ما كتبت
إليه في عبيد الله بن عبد العزيز ، إذ ظهرت دعارته^(٤) وشره ، فتهاون
بذلك حتى أحدث ما أحدث ، واضطر فيه الأمير إلى ما اضطر .

فذكر الأمير — رحمه الله — بقصة أخي هاشم ، وفيها من
الغضاظة والتوبيخ لهاشم ما فيها ، وشهد بالتقصير على أمية صاحب
المدينة ، وحكى فعل ابن أبي أيوب القرشي ، فأمر الأمير بحبسه .
قال محمد :

ذكر لي أن هاشم بن عبد العزيز كأيدي سليمان بن أسود ورام

(١) الذكورة ، بكسر ففتح : الذكورة .

(٢) الأصول : « لاذ » .

(٣) مشتهراً : شاهراً .

(٤) الأصول : « دعارته » بالذال المعجمة ، تصحيف ، والدعارة :

الشراسة والسوء .

خديعته في تركة القومس ، ابن أثنين ، فلم ينفذ له عليه من ذلك ما أحب .

وذلك أن هاشم بن عبد العزيز كان محله من الأمير — رحمه الله — محلاً لطيفاً ، فكان الناهض بأعياء الخلافة ، والمتصرف في وجوه النظر ، والمستولى على أسباب التدبير ، لا تنفذ العقود إلا به ، ولا يحكم الأمير إلا على يده ، وكان لا يجد معارضا^(١) ، ولا يعرف لنفسه ملاحياً ، فلما نجم القومس ، ابن أثنين ، وظهر فضل أدبه ، وتولى الكتابة ، واضطلع بالاثقال ، وخاطب ، ونبه ، وعارض في الأمور ، ودسس^(٢) بالرفع^(٣) ، ولم يرض أن يكون تابعاً لغيره ، ولا محتدياً^(٤) لسواه . اشتغل به قلب هاشم ، وتفس^(٥) عليه مكانته ، ورد فكره إلى ضره ومطالبته ، فلما أحس بذلك القومس استشعر الحذر ، فخلق بالحزم .

فبلغ من حذره وحزمه أن محمد بن يوسف بن مطروح كان له صديقاً ، وبه خاصاً ، فطرقه ليلاً ، نخرج إليه قومس ، فخاطبه من وراء الباب ، فقال له : افتح ، فقال : لست بالله أفعل ، ولكن قل حاجتك ، فقال له محمد بن يوسف : إنها من الخواجج التي لا تقال من وراء الباب . قال له القومس : فأخرها إلى الصباح .

فانصرف عنه مغموماً ، إذ أقامه ذلك المقام ، فلم ينم محمد بن

(١) الأصول : « معاوضاً » تحريف .

(٢) دسس : دس .

(٣) بالرفع ، أى بما كان يرفعه إلى الأمير من أخبار .

(٤) الأصول : « مستحدياً » ولا يستقيم بها المعنى ، فالاستحذاء :

طلب العطاء .

(٥) الأصول : « ولبس » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

يوسف باقى ليلته ، فلما صلى الصبح غدا إليه ، فأعظمه القومس وأكرمه
وبجلاه ، فقال له محمد بن يوسف : الآن ، تكرمنى ، وإذ أتيتك
البارحة لم ترنى أهلاً أن تفتح بابك ؟ فقال له : اعذرنى ، فإنى رجل
مطلوب ، وأنت تعرف من يطلبنى ، وقد أخذت نفسى من الحزم
بما رأيت ، ورأيت أن أجعل تحفظى منك حجة فى التحفظ بمن هو
دونك ، فلا تلمنى . فذكر له حاجته .

فلما مات القومس ، ابن أثنيان ، طالب هاشم ورثته بتركته^(١) ،
وأثار الشهادات من كل جانب ، وأقام محتسباً تقدم إلى القاضى سليمان بن
أسود ، فقال له : إن القومس ، ابن أثنيان ، مات على النصرانية ، فماله
لبيت المال .

ورفع هاشم أيضاً بذلك إلى الأمير ، وقال له : أنت أحق بماله من
ورثته ، ولكن تأمر القاضى بالنظر فى ذلك .

فأمر الأمير محمد — رحمه الله — سليمان بن أسود ، بالنظر فيه ،
فوقعت عند سليمان شهادات عظيمة كثيرة من وجوه الناس ، وأعلام
العسول : أن قومساً مات على النصرانية ، ولم يتخلف عن الشهادة
بذلك من بياض الناس وفقهائهم إلا الأخص الأقل ، منهم : محمد بن
يوسف بن مطروح ، فإنه كان إذا قعد فى الجامع ، قال على رموس
الناس : من مثل القومس ، السجادة العباد ، حمامة هذا المسجد ، يقال
فيه : مات على النصرانية ؟

ثم ترجع^(٢) .

(١) الاصول : « وتركته » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٢) ترجع : قال : انا لله وأنا إليه راجعون .

وتعجب النَّاسُ مَنْ شهد عليه بذلك ، واتَّصل ذلك كاهُ بالأمير محمد — رحمه الله — فأوصى إلى الوزراء أن يبعثوا في القاضي سليمان ابن أسود ويسألوه عما ثبت عنده على القومس ابن أنتنيان ، فحضر سليمان بن أسود ، فقال له الوزراء : إنَّ الأمير — أبقاه الله — أمر بالإرسال فيك ، وأن يكشفك^(١) عما أقيم^(٢) به عندك من أمر القومس ، فأخرج سليمان طوماراً^(٣) من كمّته ، ثم قال : هذا ما شهد به عندي في أمره ، ولكن يرسل إلى الأمير فيتصفح به ، ثم يأمر فيه بما يراه .

فأراد هاشم^{هـ} أن يعترضه ، فقال له : يا قاضي ، الطومار كبير ، والشهادات كثيرة ، وليس كلُّ الناس يعرفهم الأمير ، ولكن أقصد إلى أسماء الشهود الذين قبلتهم فاذا ذكرهم واذكر شهاداتهم .

فقطنَ سليمان^{هـ} لمذهبه ، فقال له : لست أفعل ، ولا بد أن يرى الأمير الشهادات على وجوهها .

فأرسل بالطومار بجميع ما فيه ، فلم يكن إلاَّ قليل^{هـ} حتى خرج الفتى من عند الأمير ، فقال للقاضي : يقول لك الأمير : دعنى من الشهادات وطولها ، وأخبرنى بما ثبت عندك منها ، فقال للفتى : قل للأمير — أبقاه الله — لم يثبت عندي على القومس شيء من المسكروه ، وجميع الشهادات الواقعة فيه معلومة ، لم يرد الله بشيء منها ، فقال له هاشم^{هـ} : سبحان الله يا قاضي ! شهد عندك ابن قلزم^{هـ} ، وفلان^{هـ} وفلان^{هـ} ! فقال : الذي صحَّ عندي قد أعلمت^{هـ} به الأمير .

(١) الأصول : « يكشفك » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٢) الأصول : « قيم » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٣) الطومار : الصحيفة .

نخرج التوقيع إلى القاضي : اقسام مال القومس بين ورثته . فقسمه
القاضي ، وكان مالا عظيماً .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : أخبرني محمد بن قاسم ، قال :
أخبرني عم محمد بن بزيع القيم ، قال :

حضرت عند سليمان بن أسود ، وقد أتاه رجل فتظلم عنده من
صاحب المدينة ، فأمر سليمان شيخاً بين يديه من أعوانه ، وذلك
بالعشى ، فقال : تغدو فتكون في طريق صاحب المدينة ، عند موضع
جالوس الحُرَّاس (١) ، فإذا أقبل للنزول فخذ بعنانه ، وتأمره عنى أن
يرتفع إلى ، فإنه تظلم منه عندي ، فإن رجع طوعاً وإلا فاحمل العصا على
دابته حتى تردها إلى سكرها .

قال : عم ابن بزيع :

فغدوت مع الشيخ المأمور ، فوقفتم معه في طريق صاحب المدينة
حتى أتى ، ومعه جمل (٢) من الناس ، قد ركبوا معه ، فأخذ الرسول
بعنانه ، فذهب صاحب المدينة أن يأمر بزجره ، فقال له الرسول :
القاضي أرسلني فيك بسبب رجل تظلم عنده منك ، فارتفع إليه ، إن
شئت طوعاً وإن شئت كرهاً ، فقال صاحب المدينة : بل طوعاً .
فأنصرف حتى أتى القاضي ونزل عليه ، فنظر (٣) فيما بينه وبين الرجل
المدعى عليه بالحق ، ففضى بينهما بالذي ظهر له ، ثم أنصرف عنه .

قال : أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال :

-
- (١) الأصول : « الخزان » . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٢) الجمل ، بضم تين : الجماعة .
(٣) الأصول : « ونظر إليه » صوابه ما أثبتنا .

لما عزل يوسفُ بنُ بسيل عن شذونة ، قام عليه بعضُ أهلها في مال
ادّعاه في يديه ، فبحث فيه بطابع ، فلما وقف إليه بطابع القاضى زجرهُ
وأمر بضربه ، فجمع سليمانُ الأعوانَ ثم بعثهم في يوسفَ ، فترصدوه ،
فلما خرج أتوا به على عتف ، فلما صار إليه وقفه موقف الحقِّ
بالإقرار والإنكار ، فأبى الاستجابة^(١) إلى ذلك ، فأمر بامتهانه ، فلما
رأى العزيمة من القاضى تكلم .

قال خالد بن سعد : وأخبرنى ثقةٌ من أصحابنا ، عن رجل فاضل
قديم ، كان اسمه أحمد بن خالد ، وكان قد أدرك القاضى سليمان
ابن أسود :

أن رجلاً طالب رجلاً عند سليمان بن أسود ، وهو عبد الملك بن
العباس القرشى ، فوقفه سليمانُ موقف الإقرار والإنكار ، فأبى
ذلك^(٢) ، فعزم القاضى على امتهانه ، فقام الناسُ إلى عبد الملك من كلِّ
جانب ، وقالوا : اتق الله على نفسك وشرفك ، وصنْ عرضك ، فإنك
إن لم تفعل تفد فيك ما أمر به ، فكانت سبة عليك وعلى عقبك . فلما
رأى ذلك قال : اشتريت ، قال له القاضى : أثبت عندى أنك اشتريت .
قال محمد :

وهذا قول بعض أهل الفتيا في العمال المعروفين بالغصب
والتعدى .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : سمعت الوزيرَ
أبا مروانَ عبدَ الملك بن جهور يحكى ، قال :

(١) الأصول : « من الاجابة » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
(٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .

كانَ الفقيه ابن الملوّن يعنىَ بأسباب الوثائق ، وكانَ حسنَ الفطنة فيها ، لطيف الحيلة في أبوابها ، وشتنع عليه أرباب الفجور والتدليس فيما يعقد منها ، فطلبه سليمان بن أسود ، فخافه ابن ملون على نفسه ، فتوارى عنه ، وقصد الوزير محمد بن جمهور ، فسكنفه وآواه .

قال : ثم أرسل الوزير محمد بن جمهور أخاه إلى القاضي يسأله فيه ، ويذكر له ما انعقد بينه وبين ابن الملوّن من الأذمة^(١) الموجبة للطلب إلى القاضي ، فكان جواب القاضي أن قال : لا بدّ من تنفيذ الحقّ عليه فيما بلغنى عنه ، وقد بلغنى أنه في دار الوزير مختف منسى ، ولم يصحّ ذلك عندي ، فمضى صحح أرسلت من يدخل داره ويخرجه منها .

قال : فشغل بنفسه ، وكان لا يطمئن أن يدعه في داره حتى ينقل عنها إلى بعض مواضعه الخارجة عن الدار .

قال محمد : قال لي ابن عمر بن عبد العزيز :

أخبرني شيخ من أهل إشبيلية ، يسمى ، هاشم بن رزين ، قال : كنت يوماً في موكب^(٢) محمد بن موسى الوزير ، وهو يومئذ أعظم وزراء الأمير محمد وأقربهم محلاً منه ، فلما حاذى الجامع خرج إليه ابن عمّه زوج ابنته ، فقال له : القاضي جالس في المسجد ، وهذا طابعه ، وهو يأمرك بالنزول إليه ، فقال : سمعاً وطاعة ، وثنى رجله ونزل ، فلما توسط باب المسجد بدر إليه من حضر من القومة^(٣) ، فقال لهم : تفقدوا إلى أحد الخصوم ، واستقبل القبلة فركع ركعتين ، فلما سلّم وجد

(١) الأذمة : جمع نمام ، وهو العهد .

(٢) الأصول : « في مركب » تحريف .

(٣) القومة : هم الذين يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع

قائم .

القَوَمَةَ قَدْ أَحْضَرُوهُ رَجُلًا (١) مِنَ الْخِصُومِ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ وَكَلْتَهُ عَلَى مَنَازِرَةِ ابْنِ عَمِي ، فَفَلَجَّ ابْنُ عَمِّي فِي تَقْدِيمِهِ إِلَى الْقَاضِي ، وَأَنْ يُوقِفَهُ مَوْقِفَ الْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ ، فَوَبَّخَهُ النَّاسُ وَقَالُوا : قَدْ أَنْصَفَكَ إِذْ وَكَلْتَ مِنْ يَنَاطِرِكَ ، فَانْكَسَرَ ، وَخَرَجَ الْوَزِيرُ فَرَكَبَ .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : كان محمد بن عمر بن لبابة يحدث ، قال :

كنتُ جالساً عند القاضي سليمان بن أسود ، فجاءه رجل يخاصم ختنته ، زوج ابنته ، وكانت الابنة في ولاية الأب ، وكان الزوج ساكناً معها في دارها ، فطلب الأب من الزوج أن يرحل الابنة من دارها ، وأن يسكر يها فتنتفع بكراتها لها (٢) ، فقال سليمان بن أسود للزوج : ألك دار ؟ فقال لا : وصدة أبو الجارية ، فقال القاضي لأبي الجارية : ولا كرامة لك أن تخرج ابنتك من دارها إلى دار مع زوجها ، فتمشى بفراشها إلى عنيقها من دار إلى دار ، فتهتك سترها ، ليس هذا من حسن النظر لها .

فكان ابن لبابة يعجب به ذلك من قضاء سليمان .

قال :

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : حضرت سليمان بن أسود يقضي بها ، على الاستحسان لها من قضاء سليمان .
ومن ذلك : أن أحمد بن خالد ، أخبرني : أنه سمع محمد بن عمر بن لبابة ، يقول :

(١) الأصول : « أحضروه برجل » وهذا الفعل مما يتعدى الى اثنين .
(٢) الكراء ، بالكسر : أجر المستأجر .

حضرت وقد خاصم إليه رجل في قرن بناه صاحبه، فأضر الدخان به وبالجيران — وهذه المسألة يقول ابن قاسم: إن ذلك من الضرر الذي يجب قطعه ولا يباح اتخاذه — فقضى سليمان بن أسود بغير ذلك. أن يجعل أنبوباً في أعلى الفرن، فيخرج الدخان من أعلاه، فلا يضر ذلك بمن جاوره .

فكان محمد بن عمر يُفتي بهذا، ويحمل الناس عليه، فيما أخبرني أحمد بن ابن خالد .

قال محمد :

أحسب سليمان بن أسود رأى تلك الصنعة، أو بلغته عن أفران المشرق، فإتنها مصنوعة على تلك الشاكلة التي ذكر، فاستحسن ذلك، فأمر بامتثالها بالأندلس .

قال خالد بن سعد، وأخبرني بعض مشايخنا من أهل العلم : أن القاضي سليمان بن أسود أرسل في عبد الله بن خالد ليشهده في كتب الأمير — رحمه الله — فأبى ابن خالد أن يقوم إلى القاضي، فكتب سليمان بن أسود إلى الأمير — رحمه الله — يكثر على عبد الله ابن خالد ويصفه تشامقاً، وكتب عبد الله بن خالد إلى الأمير محمد في سبب القاضي سليمان، فوقع الأمير في بطاقة سليمان بن أسود: نحن أحق من عظم العلم وأهله، فإذا أردت أن يشهد في كتبنا فأجلس إلى الفقيه عبد الله بن خالد .

قال محمد: وذكر لي غير واحد من أهل العلم :

أن سليمان بن أسود كانت فيه دعاية تليق به، وتحسن منه، وحكوا عنه في ذلك حكاية حُفظت عنه في مجلس حاكمه، وذلك أنه كان في وقته

رجل من العدول ، يعرف بابن عمار ، كان يختلف إلى مجلس القاضى ويلتزمه ، ولا يقوم عنه إلا بقيامه ، وكانت لابن عمار بغلة^١ هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد ، قد أنضاه^(١) الجهد ، وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة^٢ إلى القاضى ، فقالت له بالعجمية : يا قاضى ، انظر لشقيتك هذه ، فقال لها بالعجمية : لست أنت شقيتى ، إنما شقيتى بغلة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار .

قال محمد^٣ ، قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان بعضُ فقهاء البلد ، وهو فلان بن فلان ، وذكر رجلا عظيم القدر ، قد أخذ من رجل هدية ، على حسن المعونة ، جبة خضراء ، فشعر بذلك^(٢) خصم المهدي ، فأعلم سليمان بالقصة ، وجعل الشيخ الفقيه ، بصحة المذهب ، وسلامة الضمير ، يلبسها فى المحافل ، فقال سليمان لخصم الرجل صاحب الجبة : إذا رأيت الشيخ وعليه الجبة واقف^(٣) عليك ، فقل : يا قاضى ، ليس الشيخ يكلمك إنما تكلمك الجبة التى عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك خرجت عليك وأمرت بسجنك ، فلا يلينك ذلك عن قولك .

فجعل الخصم ما أمره به القاضى ، فاستحيا الشيخ وانقلب خجلا .

قال لى أحمد بن عبادة الرُّعينيُّ :

أخبرنى من سمع سليمان بن أسود القاضى ، وهو يقول لمؤذنى الجامع : إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها ، وإن أحسستم أنى نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظرونى . وأقيموا الصلاة وصلوا .

(١) أنضاهما : أكدها وهزلها .

(٢) الأصول : « لذلك » ، والمعنى به يختلف ، يقال : شعر له ، إذا

قال شعرا . وشعر به إذا أحس .

(٣) الأصول : « وأفتى » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

قال محمد:

ثم عزل الأمير محمد بن عبد الرحمن قاضيه سليمان بن أسود عن القضاء ، وأعاد عمرو بن عبد الله .

قال محمد: قال لي أحمد بن عباد ، قال لي أبو صالح بن سليمان :

أول من شاورني من القضاة سليمان بن أسود .

قال محمد :

واختلف في عزلة^(١) سليمان بن أسود الأولى كيف دارت ؟ ولأى شيء كانت ؟

فأما خالد بن سعد ، فذكر أن عبد الله بن يونس أخبره :

أنَّ الأمير — رحمه الله — أمر بعض الوزراء بالإرسال في القاضي سليمان بن أسود ، وأن يتكلمَّ معه في دار كانت ليتيم ، كان في نظر القضاة^(٢) ، أحبها الأمير لبعض ولده ، فأرسل الوزير من نظر إلى الدار وقومها ، ثم بعث في سليمان بن أسود ، وأعلمه بما أحب الأمير من شراء تلك الدار ، بما قومها المقومون ، فقال له سليمان : لست أبيع نقضها^(٣) بهذا الثمن فكيف الدار جميعاً ؟ وسأل القاضي لليتيم أضعاف تلك القيمة ، فأنهى ذلك الوزير إلى الأمير ، فأمر الأمير — رحمه الله — بالكف عن شراء تلك الدار .

وكان ذلك الوزير يشنأ سليمان ويلوم^(٤) عليه عند الأمير من قبل ، فلا يضره بكبير شيء ، فلما امتنع من بيع الدار ، أمكنته الفرصة ،

(١) الأصول : « على في عزلة » .

(٢) في نظر القضاة ، أي في طلب الحكم .

(٣) النقض ، بالكسر : ما نقض من البناء وهدم .

(٤) الأصول : « ويكدم » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

فجعل يذكر للأمير تقيصته^(٥) ، ويذكره بما كان يصفه له ، فلم يزل بذلك حتى ثقل على نفس الأمير ، فأمر بعزله .

وحكى أحمد بن عبد الملك ، قال :

لم يزل سليمان قاضياً في الدولة الأولى ، إلى أن خرج الأمير غازياً سنة ستين ، فخرج القرشي عمرو بن عيص مشيعاً له ، وشاكياً سليمان بن أسود في كل محلة ، حتى انتهى [إلى] ^(٢) قلعة رباح^(٣) ، فكتب الأمير محمد - رحمه الله - إلى أمية بن عيسى ، صاحب المدينة يومئذ ، يأمره بعزل سليمان عن القضاء ، وأن يبعث إليه أربعة من عدول قرطبة يقبضون الديوان منه ، ثم يجعله في بيت الوزراء ، ففعل ذلك أمية ابن عيسى .

فلما قدم الأمير - رحمه الله - صرف عمرو بن عبد الله إلى القضاء .

(١) الأصول : « بغضته » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) رباح ، بفتح أوله وآخره حاء (معجم البلدان : ٢ : ٧٤٧) .

ذكر القاضي
عمرو بن عبد الله
للمرة الثانية
وكان ذلك في سنة ستين ومائتين

قال محمد :

ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن ، فيما حكى
ابنه عنه :

أنه لما عزل سليمان بن أسود خاض الناس فيمن يلي بعده .

قال : فأخبرني من سمع عمرو بن عبد الله يقول في تلك الفترة ، وهو
قاعد على باب داره : القضاء ! القضاء ! قل لمن شاء الله يليه ، والله
لا أفلح فيه .

قال : ثم ولاه الأمير محمد - رضى الله عنه - القضاء .

فأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما ولي عمرو بن عبد الله المرة الثانية ، استخرج^(١) إلى سليمان بن
أسود ، وتعقب عليه بعض أقضيته ، ونظر عليه نظراً وقعه به موقف
الضيق ، فنصح عمرآ في ذلك بعض إخوانه ، ونهاه عن الاستفساد^(٢)
مع سليمان ، فأبى ، وتمادى عليه ، ثم انقضت تلك الأمور ، وخلص
سليمان من مضايقة عمرو بن عبد الله .

(١) كذا .

(٢) الاستفساد : العمل على الفساد .

وأخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :
لما ولي عمروُ المرَّةَ الثانيةً ، تشكرت أحواله وتغيرت سيرته ، وكان
السبب في ذلك أن كبر بنوه ، وغلب عليه ولده ، المكنىُّ بأبي عمرو ،
فمشت إليه التحف ، ودخلت عليه الهدايا .

حكى لي بعض رواة الأخبار ، قال :

جلس أبو عمرو - ولد القاضي عمرو بن عبد الله - يوماً في مجلس
أبيه في حفل من الناس ، فقال لبعض أهل السوق ، ممن كان في المجلس :
أحببت أن أشتري لزمه^(١) محببة حسنة لفرس اكتسبته ، فانظر لي فيها .

قال : فما أمسى الليل من ذلك النهار ، إلا وفي بيته سبع عشرة لزمة^(١) ،
هدايا كلها .

وكثرت القالة في ولده أبي عمرو ، ونسب إليه تدليس في الديوان في
مال مستودع ، سنذكره مفسراً ، إن شاء الله ، على ما ذكره
الواصف له .

وقال في ذلك الوقت مژمن بن سعيد الشاعر :

لَعَمْرِي لَقَدْ أُرِّي بَعْمَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو
وَمِثْلَ أَبِي عَمْرٍو بَوَالِدِهِ يُرِّي
وَقَدْ كَانَ عَمْرٍو يُسْتَنْضَاءُ بِشُورِهِ
فَأُضْحَى أَبُو عَمْرٍو كَسُوفاً عَلَى السَّيْدِ
وَمَا عُرِفَتْ مِنْ عَمْرٍو النَّدْبِ سَوْءَةٌ
سِوَاهَا وَهَلْ تَنْجِي الْعِتَاقُ مِنَ الْعَشْرِ

(١) كذا .

قال محمدؐ :

واختلف الناس في السبب الذي عزل به عمروؓ و المرّة الثانية ،
فقال لي :

إن هذه الثلاثة الأبيات ، التي قالها مؤمنؓ ، لما سمعها الأمير - رحمه
الله - قال : قد أكثر الناس في عمرو ، وفي ولده ، فعزله حينئذ .

وقيل : إن هاشمًا كان يستثقله ، بسبب ما تقدم له من التحامل على
بقي بن مخلد ، فسعى في عزله .

وذكر أحمد بن عبد الملك : أن عمروا كان قاضياً في المرّة الثانية ،
من سنة ستين ، إلى أن غزا وليد بن هاشم في سنة ثلاث وستين ، إلى
أرض الحرب ، الغزاة التي تعرف بغزاة البربر ، فغزا القاضي عمروؓ تلك
الغزاة ، فلما قدم لم يؤمر بالنظر ، وكان الرّسم حينئذ إذا غزا القاضي ثم
قدم ، لم ينظر حتى يعهد إليه بالنظر ، فأقام الناس يومئذ نحواً من ستة
أشهر ، لا قاضى لهم ، ثم أعاد الأمير - رحمه الله - سليمان بن أسود إلى
القضاء ثانية ، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين .

ذكر القاضي
سليمان بن أسود
المرّة الثانية
وكانت ولايته هذه في سنة ثلاث وستين ومائتين

قال محمد :

ثم ولي سليمان بن أسود المرّة الثانية ، فتعقب على عمرو بن عبد الله ، وكافاه بمثل ما فعل به عمرو من قبل ، وتصفح الديوان فأصاب فيه ذكر مال عظيم ، نحو عشرة آلاف دينار ، وكان ثلثاً أوصى بتفرقة رجل من التجار ، يعرف بابن القضيبي ، وكان موقوفاً على يدي بعض العدول ، فأرسل سليمان في الرجل العدل . الموقوف على يديه المال ، فقال له : أحضرنى المال . فقال له الرجل العدل : كان المال على يدي وقتاً طويلاً ، ثم قبضه مني القاضي عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، وأبرأني منه ، فقال له سليمان : أقم البيعة على ماتقول . فأتاه بصحيفة فيها براءة من عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، للرجل من المال ، وأقام عليه ستة عشر شاهداً من الناس . فكاشف^(١) عمرو بن عبد الله عن ذلك ، فأنكر القبض ، وكذب الشهود ، وزعم أنها حيلة احتيلت فيه ، ودائرة أديرت عليه ، ووقف^(٢) سليمان على الحكم عليه بالمال ، فاستعاذ عمرو بالأمير محمد - رحمه الله - ورفع إليه في ذلك متنصلاً بما قذف به .

(١) الأصول : « فكشف » .
(٢) كذا : ولعلها ووافق .

فحكى لي بعض أهل العلم ، قال : أخبرني رجل كان خاصاً بعمر بن عبد الله ، قال :

إني لقيت مع عمرو ، حين أتاه من لدن الأمير محمد فتى من أصحاب الرسائل ، فسأله أن يدخل معه في بيته ، فقام معه عمرو وأدخله إلى بيته ، فأقام معه ساعة ، ثم خرج الفتى عن عمرو ، فلما خرج استأذنت علي عمرو ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فوجدته واجماً مطرقاً ، فقلت له : ما الذي أتاك به الفتى ؟ قال : فسكت عنى ساعة ، ثم أنشأ يقول :

تَضْحَى عَلِيَّ وَجَلَّ تَمْسِيَّ عَلِيَّ وَجَلَّ
كُلِّ الشَّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ كَلْمٌ عَمَلًا

ثم قال : أتاني الفتى بمصحف في كفه ، وأمرني أن أحلف إنني بريء من المال ، فحلفت .

قال : فأبرأه الأمير محمد - رحمه الله - من أمره ، وأمر أن يغرم ورثه القصيدي ثلثاً ثانياً مما في أيديهم من المال ، فغرموه بعد أن كانوا أنفقوه .

فقبل لي : إنه كان سبب فقرهم .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد بن عبد الملك :

أنه كان في الديوان مال عظيم ، موقوف عند بعض العدول ، فمات ذلك العدل ، فعامل أولاده أبو عمرو - ولد عمرو بن عبد الله - علي أن يقسموا ذلك المال ، ويأخذ أبو عمرو أكثره ، علي أن يقتلعه من الديوان ، وكان الديوان يومئذ لاشهود عليه ، إنما ذكره في دفتر مطلق ، فاقسموا المال ، وغفل أبو عمرو عن قلعه حتى عزل عمرو ، فوجدته سليمان في الديوان مذكوراً ، فدارت بين القاضيين : سليمان ، وعمرو ، أحوال

شنيعة^١ ، ثم آل الحال في ذلك إلى أن شاور الأمير - رحمه الله - الفقهاء ، فأشاروا بتحليف عمرو ، غير بقي بن مخلد ، فإنه قال : إن اتصل ببني العباس أنا نحلف قضائنا كان ذلك من أعظم ما نعبأ به عندهم . فاستحسن الأمير قول بقي بن مخلد ، وأوصل^(١) إلى عمرو أن يكتب إليه بيمينه في السر ، ففعل .

قال : وكان مما يحتج به عمرو^٢ على سليمان ، عند اجتماعهما بمحضر الوزراء ، أن يقول : لو دلت في هذا المال لما أبقيت ذكره في الديوان ، فكان سليمان يقول : بخذ لان الله تركته .

وكان عمرو^٣ ، فيما يقول أهل العلم والمعرفة في الزمان ، مبرأ من ذلك منزهاً ، سيما أنه لم يزل الغم يسرى في قلبه ، ويعمل في نفسه ، حتى أخذه ذهول أخرجه عن حده ، حتى إنه لقلد كان يخرج إلى الزقاق حاسراً ، بعد تلك المروءة الكاملة ، والنزاهة العظيمة .

قال خالد بن سعد : حدثني أبو العباس وليد بن إبراهيم بن لبيب ، قال :

أتيت عمرو بن عبد الله ، وقد عزل عن القضاء ، وكان الذي سعى في عزله هاشم بن عبد العزيز ، من أجل بقي بن مخلد ، إذ كانت الشهادات على بقي عنده ، وكانت له شهوة في إنفاذ ما شهد به على بقي ، فلما عزل ولئد عليه هاشم أشياء غمته ، فخولط في عقله من أجل ذلك .
قال وليد :

قال لي عمرو بن عبد الله ، قبل استحكام ذلك الذُّهول فيه : يا بني ، ما يتمنى منه الموت ، أشد من الموت ، ولوددت أني قد ميت .

(١) الأصول : « وأوصى » .

قال خالد بن سعد :

سمعت أسلم بن عبد العزيز ، وقد نزل من القصر بالعشي ، فاتاه بقی بن مخلد ، نخرج عليه هاشم^{هـ} وعنفه . وقال له : مه ، والله ما كانت يدي وبين عمرو حالة موجبة لعداوة ، ولا سعيت في عزله عند الأمير ، إلا من سببك ، ولما أراه يفعل^(١) بك ، فعلت ذلك لله ، عز وجل ، فأتيت أنت اليوم فأفتيت في أمره بفتيا هدمت علينا ما كنسا بنينا في أمره ، وخالفت جميع أصحابك من الفقهاء .

قال أسلم :

وكان هاشم^{هـ} قد أرسل في الفقهاء قبل ذلك واستفتاهم في مسأله ، فأوجبوا فيها اليمين على عمرو بن عبد الله في مقطع الحق ، من أجل مال يتيم كان قد أودعه عند بعض من أودعه ، وقال : لست أحفظ عند من أودعته ، فأقى أهل العلم أن يحلف في ذلك ، ولم يرسل أخى هاشم في بقی بن مخلد ، من أجل ثقته به ، وظن أنه لا يخالف أصحابه في الفتوى ، لاسيما أن الحاجة كانت لبقی ، إذ كان عمرو بن عبد الله عدوه ، فاجتمع الفقهاء في بيت الوزراء فأفتوا باليمين ، وأتى بقی بن مخلد في آخرهم ، فقال : لا يمين عليه ، لأن القضاة أمرهم على السلامة حتى يثبت عليهم غير ذلك ، والأمير ، إذ قدمه ، إنما قدمه وهو عنده من أهل العدل .

فلما رفعت الآراء إلى الأمير محمد أمر أن يؤخذ في أمر عمرو بفتيا بقی بن مخلد .

فلما عدد أخى على بقی فعله ذلك بحضرتي ، قال له : أصلحك الله ، كنت ترضى لشيخ مثلي أن يفتي على عدوه بغير ما يعتقده من الحق ، والله ما أفتيته في أمره إلا بما اعتقدت أنه الحق ، فلا تلني .

(١) الأصول : « أن يفعل » .

قال أسد - سلم :

ومكث أخى هاشم بعد ذلك عاتباً على بقی بن مخلد نحو الشهرين ، ثم أسقط معاتبته في ذلك .

قال محمد :

ثم استمر سليمان بن أسود على القضاء ، بعد عمرو بن عبد الله في المرة الثانية ، حتى أخذت منه السن وظهر فيه الهرم^(١) ، فرفعت بطاقة إلى الأمير محمد - رحمه الله - على لسان عمرو بن عبد الله ، يقال فيها : إن سليمان بن أسود كبرت سنه ، وضعف بدنه ، ولا طاقة له على القضاء .

فأمر الأمير - رحمه الله - الوزراء أن يبحثوا في سليمان ، وعمرو ، ويسأل عمرو عن البطاقة ، إن كان هو^(٢) رافعها ؟ ويسأل سليمان عما يجيد في بدنه من القوة على القضاء .

فأحضر الوزراء إلى أنفسهم الرجلين ، جلسا ، وكان عمرو بن عبد الله وقوراً ساكناً متشاقلاً ، وكان سليمان في ضد هذه الصفة ، كانت به هشاشة وحركة ، وخفة بدن ، فأخرج الوزراء البطاقة ، ثم قرئت على عمرو ، وقيل له : أنت رافعها إلى الأمير ؟ فقال : أعوذ بالله ، ولا والله ما كتبتها ، فقال له سليمان : إن كنت لم تكتبها أبا عبد الله فقد أمليتها ، فقال : لا والله ، ولا أمليتها ، ولا علمت بها ، فقال له سليمان : إن كنت صادقاً في نفسك فصاحب البطاقة ولدك أبو عمرو ، واستطال عليه سليمان في اللفظ ، فأطرق عمرو بن عبد الله ، واستعمل الحلم ، والأخذ بالفضل ، فقال له سليمان : وتتغافل أيضاً وتتحلم كأننا لا نعرفك ؟ فقال عمرو :

(١) الاصول : « الهمم » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « هذا » .

حسبنا الله ! حسبنا الله ! ثم وضع يديه جميعاً في الأرض ليقوم ، فوثب سليمان إلى عمرو بخفة بدنه وهشاشته ، فمدّ يده إليه ، ثم قال له : هات يدك أبا عبد الله انقسمك ، فنظر إليه عمرو ثم رجع واستوى جالساً ، وقال : الله المستعان ، الله المستعان ، الله المستعان ، ثم افترقا .

قال محمد : قال لي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن :

مرض سليمان بن أسود مرضة أشنى فيها على الموت ، وكان حينئذ صاحب الصلاة ، وكان إبراهيم بن قلزم مترشحاً^(١) للصلاة ، وكانت له ناحية من هاشم^(٢) ، فأتاه يوم خميس ، فقال له : قد تعلم ما فيه سليمان ، وغداً الجمعة ، فكتب هاشم إلى سليمان بن أسود يسأله إن كانت به نهضة للصلاة بالناس ، وإلا فيعلم بذلك لينظر فيمن يقوم بالخطبة والصلاة ، فكتب سليمان إلى هاشم : أنا متخفف ، وبى أكثر من نهضة ، فلما كان من الغد تحامل ، وأتى يتهادى بين اثنين حتى خطب بكلمات مختصرة .

قال محمد :

وسمعت بعض رواة الأخبار يحكى عن سليمان وابن قلزم في الصلاة حكاية مستطرفة ، قال :

كان سليمان بن أسود يعلم شدة شهوة ابن قلزم في الصلاة ، وترشحه لها ، فلم يشعر سليمان يوماً من أيام الجمعة في ضحى النهار حتى استأذن عليه ابن قلزم للدخول عليه ، فحضرت لسليمان فيه حيلة^٣ ، فقال لغلامه : أخرج إليه وأنت تبكى ، وقل له : مولاي في الموت ، ثم أدخله على من بعد ، ثم اضطجع سليمان ، وسجى على نفسه ، وجعل يسوق النفس ،

(١) مترشحاً : متهيئاً .

(٢) كذا . ولعله يريد أنه كان مقرباً الى هاشم .

كما يفعل من احتضر ، فدخل ابن قلزم ، فتوجع واستعبر ، ثم خرج من فوره ذلك إلى هاشم ، وقال : سليمان يحشرج للموت^(١) ، وما أظنه يبلغ وقت الجمعة حتى يموت ، فتدارك بالكتاب إلى الأمير - أبقاه الله - فإن المقام في ضيق الوقت صعب ، فقال له هاشم : أنت رأيت به هذه الحال ؟ فقال : نعم ، هذا خروجي من عنده إليك ، فقال هاشم : ما بعد هذا شيء ، ثم وضع يده فكتب إلى الأمير يخبره أن ابن قلزم أتاه وحكى له أنه دخل على القاضي سليمان وهو يحشرج ، وقد ضاق الوقت ، فليتنظر الأمير - أبقاه الله - في ذلك ، ففكر الأمير - رحمه الله - ساعة ، وكان من الكمال بحيث ما عرفت الخاصة والعامة ، فوقف على أن ابن قلزم كان يشتهي الصلاة ، ولم يسمع لسليمان قبل تلك الساعة بعلة ولا مرض ، فأدرك بنظره ما لم يدرك هاشم ، وعلم أن في الخبر دخلا^(٢) ، فقال لفتى من وجوه فتياه : اذهب الساعة وادخل على القاضي وانظر حالته وما هو عليه ، فإن وجدته يتكلم ويبين عن نفسه ، فأسأله إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم ؟

فأتى الفتى فدخل على سليمان ، فوجده جالسا جلوس الصحة ، فذكر له الأمر وأعلمه ببعض الخبر ، فقام سليمان من مقعده ذلك في حضرة الفتى وجلس على كرسي ، وأمر أن يؤتى بالماء يتوضأ ، فتوضأ ، ولبس ثيابه ، وخرج مع الفتى راجلا إلى الجامع ، ورجع الفتى إلى الأمير ، فأعلمه بالقصة على وجهها .

فقال له الأمير - رحمه الله : لقد طيب^(٣) سليمان في ابن قلزم ، ولعب به كيف شاء ، ثم ضحك على ذلك ضحكا عظيما .

(١) الأصول : « الموت » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الدخل ، محركة : الفساد والعييب .

(٣) كذا ، يريد وقع فيه .

قال محمد :

وكان سليمان قوياً جليداً ، حديد النفس ، مع كبرة السن ، وكان يروح إلى الجامع راجلاً من داره .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : أخبرني بكر بن حماد القسام ، وكان جاراً لسليمان ، قال :

خطرت عليه آخر جمعة عاشها ، فركبته للرواح معي إلى الجامع ماشياً ، ثم انصرفنا ، وذلك في دولة الأمير عبد الله - رحمه الله - والقاضي حينئذ النضر بن سلمة .

قال محمد :

وأقام سليمان في قضائه الثاني عشرة أعوام ، من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين ، وتوفي في ذلك العام الأمير محمد - رضوان الله عليه ورحمته - وكان الناس يذكرون موت الأمير من غير أن يصح ذلك عنه عندهم ، حتى خطب سليمان بن أسود ، فلما بلغ ذكر الدعاء له خنقته العبرة ، فنعاه بذلك إلى الناس ، فأيقنوا بموته .

ثم ولي الأمير المنذر - رحمه الله - فأقر سليمان بن أسود على القضاء .
قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني :

أقام سليمان بن أسود قاضياً في خلافة المنذر نحو أربعين يوماً ، ثم عزله المنذر ، وولى أبا معاوية .

قال محمد :

وما أحسب أنه كانت لعزل^(١) سليمان المرة الثانية عن القضاء علة غير كبر السن ، وظهور الهرم^(٢) .

(١) الأصول : « لعزلة » .

(٢) الأصول : « الهرم » تحريف .

قال بعض أهل العلم :

كان سليمان بن أسود ، صنيعة الأمير عبد الله - رحمه الله - قبل ولايته ، فكان سليمان يستبطنه تيام دولته طمعاً في العودة ، فلما ولي وأغفله ، جعل سليمان ينشد في بعض مداخله عليه مع جملة الفقهاء للاشهاد :

لَمَّا بَلَّغْنَا السَّيِّ كُنِينَا نُسْرَمَلْمَهَا

صِرْنَا سُشُودَا [كَانْنَا]^(٣) مِثْلُ مُغِيَابِ

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :

دخل ناسٌ على سليمان بن أسود ، في الشهر الذي مات فيه ، فسألوه عن عمره ، فسكت عنهم ساعة ، ثم دعا خادماً له ، فأنته ، فأمرها أن تأتيه بنفليجة^(٢) كانت عنده ، فأنته بها ، فاستخرج منها صحيفة ، فرماها إلى القوم ، وقال : اقرءوا ، فقرأ القوم الصحيفة ، فإذا فيها كتاب من عند الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى قاضيه على جهة الجوف ، فحص البلوط وما يليه من تلك الجهات ، أسود بن سليمان ، يأمره فيه بقبض الصدقات عند وجوبها ، وتفريقها على وجوبها ، على ما فسر في ذلك الكتاب .

وفي آخر الكتاب مكتوب بخط القاضي أسود بن سليمان : ولد سليمان ابن أسود - أمتع الله به - يوم كذا ، من شهر كذا .

فعد القوم ، من وقت المولد الذي ولد فيه إلى وقتهم الذي كانوا فيه ، تسعة وتسعين عاماً وعشرة أشهر .

فقال لهم سليمان : إن عشت شهرين أتممت مائة عام .

فمات في ذلك الشهر قبل أن يتم المائة العام^(٣) .

(١) بمثل هذه التكملة يستقيم الوزن .

(٢) كذا . ويبدو أنها من مستعمل أهل الأندلس ، ومعناها في

الترجمة الأسبانية : محفظة للخراطوش .

(٣) الأصول : « عام » .

ذكر القاضى عامر بن معاوية اللخمي

قال محمد :

لماولى المنذر الخليفة - رحمه الله - رأى الاستبدال بسليمان ،
فاستشار الوزراء ، فأشاروا بزياد بن محمد بن زياد ، فعرض المنذر القضاء
على بقی بن مخلد ، فلم يقبله ، فاستشاره فى زياد بن محمد بن زياد ، فقال له :
نعم الحدیث ، فسأله أن يشير عليه ، فأشار عليه بأبى معاوية اللخمي ،
وهو عامر بن معاوية بن عبد المسلم بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن
ناشرة بن لوذان اللخمي ، فقبل المنذر - رحمه الله - منه ، وولاه قضاء
الجماعة بقرطبة .

فقال (١) :

حدثنا خالد بن سعد ، قال : سمعت عبد الله بن يونس ، يقول :
كان الحبيب بن زياد خاصة لبقی بن مخلد ، وكان رجاً فى أيام الأمير
المنذر - رحمه الله - أن يشير به لقضاء قرطبة ، فلما شاوره الأمير ،
وأشار عليه بأبى معاوية ، أتى الحبيب بن زياد إلى بقی بن مخلد فعاتبه فى
ذلك ، فقال له بقی : لا تلبنى فيما فعلت ، فإنى إنما أشرت بمن هو عندى
أفضل منك ، فسكت عنه الحبيب بن زياد .

قال محمد : قال لى أبو عبد الله محمد بن عبد المالك بن أيمن :

(١) فقال : يعنى محمداً .

كان أبو معاوية اللخمي من بني زياد ، وكان مسكنه برية^(١) ، وكان
له رحلة في أيام عبد الرحمن بن الحكم — رحمهما الله — سمع فيها من
سيحون بالقيروان ، ومن أصبغ بمصر ، ومن غيرهما ، وكان من أهل
الرواية ، لا بأس به ، وقد سمعت منه وكتبت عنه .
قال محمد :

وعنه كانت تروى في ذلك الزمان : آداب القضاة ، من تأليف أصبغ .
وذكر بعض أهل العلم أن روايته اختلطت عليه ، فترك .

قال محمد : وقال لي ابن أيمن :

قدم أبو معاوية قرطبة في آخر أيام الأمير المنذر ، حتى مات المنذر ،
رحمه الله .

قال خالد بن سعد : أخبرني أبو عمر صاحبه^(٢) ، قال : أخبرني أبو يحيى
ابن خميس :

أنه لما ولي عامر بن معاوية القضاء ، وقعد في الجامع ، رأى سليمان بن
أسود أتاه بالديوان ، فلما سلم قال : الحمد لله الذي جعل على أثرى مثلك .
فلما خرج من عنده سليمان بن أسود ، تلقاه رجل من قریش ،
من كان يخاصم عنده ، قبل أن يعزل ، فلبَّبه^(٣) بردائه ، وقال : الحمد
لله الذي جلا الظلمة ، وأخذ الجور ، أجبني إلى القاضي .

فانصرف معه إلى عامر بن معاوية ، فقال له سليمان : إني معزول ،
وأنت وال ، وما فعلت في اليوم ستكافأ غداً بمثله .

(١) رية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه . (معجم البلدان : ٢ : ٨٩٢) .

(٢) كذا .

(٣) لبَّبه : جمع ثيابه عند نجره ثم جره . والذي في الأصول :
« لبَّبه . واللب : ضرب اللببة ، وهي موضع القلادة من العنق . »

نخرج عامر بن معاوية على القرشي ، ودفعه عنه .

قال أحمد بن محمد بن عبد الملك :

حكم أبو معاوية لأيدون الفتي بالفدان المعروف بفدان أجل ، بعدوة الوادي ، بعد خصومة طويلة دارت فيه عند سليمان بن أسود ، كان متوليها محمد بن غالب بن الصفار ، فأبى سليمان الحكم فيها ، فقال يوماً لابن الصفار : إن هذا الرجل قد ألح على أن أحكم له ، ولا أجد سبباً إلى هذا ، إذ لم يتضح لي ما أحكم به ، والله لا يأتيني من أمر أكرهه إلا أخرت به .

فضم ابن الصفار الفتي إلى الأمسك^(١) ، حتى عزل سليمان ، وولى أبو معاوية ، فقام عنده ، وكان يلزم مجلسه ، فإذا رآه أبو معاوية قال له : من أنت ؟ يرحمك الله ! فيقول له : أنا محمد بن غالب المعروف ، يسأله كل يوم بسلامة قلب كانت في أبي معاوية .

فلم يزل محمد بن غالب متردداً عليه في تلك الخصومة حتى قضى له بالفدان ، وأشهد له على القضية ، ثم صار الفدان بعد ذلك إلى محمد ابن غالب .

ولم يزل أبو معاوية قاضياً ، وصاحب الصلاة ، حتى مات المنذر — رحمه الله .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

سمعت القاضي أبا معاوية يخاطب على الناس في الاستسقاء بخطبة أرميا ،

(١) كذا ، ولعل المراد : الاحباس ، وهي في الترجمة الأسبانية

بمعنى : القضاء الملى .

التي قام بها في بني إسرائيل ، وكانت فيه رقة تستميل القلوب وتبكي
العيون .

قال خالد بن سعد :

وكان أحمد بن خالد ، ومحمد بن مسور ، يصفان أبا معاوية بالخير
والفضل ، غير أن أحمد بن خالد كان يذكر عنه طرفة .

ذكر أنه أتاه يسأله أن يسمعه سماع أصبغ بن الفرج ، وأن يجعل
له فيه دولة ، فلما أتى إلى السماع أخرج إليه الشيخ كتيب أصول العلم من
تأليف أصبغ ، فظن أن الأصول والسماع شيء واحد .

ذكر القاضي النضر بن سلمة الكلابي

قال محمد :

النضر بن سلمة بن وليد بن أبي بكر محمد بن علي بن عبيد الكلابي ،
كان أصله من قسبرة ، وولي قضاء كورة شذونة ، والامير عبد الله بن محمد
— رحمهما الله — بها ، فأدخله وقر به من خاصته ، وكان النضر من أهل
الذكاء والنبل واليقظة .

ولما ولي عبد الله بن محمد — رحمهما الله — الخلافة ، ولي النضر بن
سلمة قضاء الجماعة والصلاة معاً ، فأحسن السياسة ، وخالق الناس بخلق
حسن ، وخطب فأبلغ في الخطابة .

وأمره الأمير — رحمه الله — بالتزام خطبة استحسنها منه ، وهي
مشهورة في الناس ، فالتزمها طول ولايته الأولى ، وكانت ولايته نحواً من
عشرة أعوام ، حتى حفظت عنه ، وصارت مسطرة لولاة القضاء ،
يحتدون عليها في أول مقاماتهم ، ومبتدأ ولايتهم .

وكانت له خطبة أخرى في الأعياد حسنة مهذبة ، مشتملة على السنة .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد ، قال :

كان النضر بن سلمة يتصرف للأمير — رحمه الله — في كل الأسباب
تصرفاً كاملاً .

أخبرني من أثق به :

أن الأمير - رحمه الله - كان في الساباط يوم جمعة منتظراً للصلاة ،
صلاة العصر ، فورده كتاب حرك منه ساكناً ، فالتمس عبد الله بن محمد
الرجالي ليكتب الجواب ، فألني غائباً ، فهم بالإرسال فيه ، فقال له النضر ،
وكان بحضرته : ما الأمر الذي حرك من الأمير - أصلاً - الله - ما أرى؟
فأخبره الخبر ، ورمى إليه الكتاب ، فعرض عليه نفسه في المجاوبة^(١) ،
فأذن له الأمير - رحمه الله - بجواب^(٢) وأحس ، وكتب فأبلغ ،
فأعجب الأمير - رحمه الله - بيقظته ، وشكر له فضل منته .

قال محمد :

وكان النضر عالماً بعلل الوثائق ، ومدركاً بموضع الزلل منها ،
والإغلال فيها ، يوقف الفقهاء على ذلك فيقرون له بالإصابة ، ويعترفون
له بفضل الإدراك .

والنضر بن سلمة أول من شاور في الأحكام محمد بن عبد الملك
ابن أيمن .

قال محمد : قال لي أحمد بن عبادة الرعي :

كان النضر بن سلمة حسن المذهب ، ظاهر الحلم ، حضرته يوماً في
مجلس قضاة ، دخل عليه رجل فوقف بين يديه ، ثم قال له : يا قاضي ،
ظلمتني ، وتحاملت علي ، حسبك الله !

قال : فسكت عنه حتى فرغ من كلامه ، ثم قال له النضر : أما لولا
أن سبك لم يجاوزنا إلى غيرنا لأحسنت حسن الجواب . وأعطى الرجل^(٣)

(١) كذا . والمجاوبة : أن يرد كل واحد من المتكلمين على الآخر .
(٢) المناسب : أجاب : (أنظر الحاشية السابقة) .
(٣) الأصول : « رحلاً » .

من الصدقة فأرضاه ، فشكر له الرجل ، فأخذ بركابه ، وأعاد القول
بمدحه . فقال النضر : (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم
يسخطون)^(١) .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن مسور ، يقول :

سمعت القاضي يقول ، وهو النضر بن سلمة ، وقيل له : إن محمد بن
أسباط يقع فيك ويتناولك ، يجب لك أن تهديه ، فقال النضر : لا والله
لا أتعرض لذلك ، ولا أهدم من بناه الله .

قال محمد : أخبرني بعض الشيوخ ، قال :

كان عندنا بقرطبة رجل يعرف بابن رحمون ، وكان كثير النادرة^(٢)
والتطبيب^(٣) ، فنذر^(٤) في مجلس النضر على خصم كان يخاصم عنده
يناديه^(٥) أضحك منها^(٦) الحاضرين ، فآزاد النضر على أن ضحك ، ولم
تكن له عليه صولة ، وذلك أن خصم ابن رحمون قال للنضر : إن
خصمي هذا إذا خرج من بين يديك لا يقلع عن شتمى ، وذكر أمى ، فقال
النضر^(٧) : ما أحب أن أعطيه شيئاً ، ولا آخذ منك شيئاً ، فقال ابن
رحمون للقاضي : يا قاضي ، اقبأوا منى على ما أفعل به كذا^(٨) ، وكذا

(١) التوبة : ٥٩ .

(٢) لأصول : « النادر » وما أثبتناه أولى .

(٣) المسموع : الاطناب ، وهو المبالغة والاكثار فى الكلام أو
الوصف أو الأمر .

(٤) المسموع : أنذر ، أى أتى بالنادر .

(٥) الأصول : « بنادر » .

(٦) الأصول : « منه » .

(٧) الأصول : « فقال خصمه » ولا يستقيم بها المعنى .

(٨) الأصول : « وكذا » .

بأمه^(١) في النادرة^(٢) ، فلا أرضى أن أفديه^(٣) بأربعين درهما .
فضحك ، وضحك من حضر ، واحتملها له النضر .

قال محمد :

وكان النضر بن سلمة متصرفاً في علم الأدب ، وكان - فيما بلغنى -
ربما قال من الشعر شيئاً يخاطب به الأمير ، ومن كاتبه من طبقة الخاصة .
وسمعت بعض رواة الأخبار يحكى ، قال :

مات وزير من بني شهيد ، وترك ابناً ، فرثاه رجل بشعر ، وأتى به
النضر فعرضه عليه ، فسمع النضر شعراً سخيلاً بعيد المعاني ، فقال له :
إن ابن المتوفى نبيل كيس ، فاذهب بهذا الشعر إليه ، فعمله أن يظن
أنك أردت أن ترثى أباه ، فيشكر لك ذلك^(٤) .

قال محمد :

وكان النضر قاضياً إلى أن أمره الأمير - رحمه الله - بالنظر في المال
الموقف بالجامع ، فنظر في ذلك ، وجمع أهل العلم فاستشارهم ، فاختلفوا
عليه ، فأبى النضر أن يحكم بصرفه إلى بيت المال إلا بإجماع^(٥) أهل
العلم ، فكان فعله ذلك سبباً لكثرة القول فيه عند الأمير ، فخرف
معناه ، وصرف القول في ذلك إلى أسوأ الوجوه ، فعزله الأمير -
رحمه الله - حيثنذ .

-
- (١) الأصول : « من أمه » .
 - (٢) الأصول : « فى المنادى » .
 - (٣) الأصول : « فلا يرضى أن يفديه » .
 - (٤) الأصول : « بذلك » .
 - (٥) الأصول : « بإجماع » .

ذكر القاضى

موسى بن محمد بن زياد الجذامى

قال محمد :

ولما عزل الأمير - رحمه الله - نضراً عن القضاء استقضى بعده موسى بن محمد بن زياد بن يزيد بن زياد بن كثير بن يزيد بن حبيب الجذامى ، وهو من العرب الشاميين ، من جند فلسطين ، وكان أصله بالأندلس ، من كورة شدونة ، وولاه الأمير - رحمه الله - الشرطة والرد ، ونقله إلى الشرطة العليا ، ثم ولى القضاء فصلى بالناس جمعة ، واستعفى فى الثانية .

قال خالد بن سعد :

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يذكر موسى بن محمد ، فكان لا يوفيه (١) ، ولا يحسن الثناء عليه ، غير أنه كان يصفه بالحلم . ذكر أنه شهده ، وقد أرسل فى رجل ، فلهاأتاه وكل به الأعوان ، وأمر ألا يفارقوه حتى يحضر بوثيقة كانت عنده ، فتوكل به الأعوان ، ومضوا معه ، ثم عادوا بالرجل والوثيقة معه ، فرمى بالوثيقة فضرب صدر القاضى موسى بن محمد ، وكانت الوثيقة كبيرة ، فأوجعه بها .

قال ابن لبابة : فلم أشك أنه سيؤدبه على ذلك ، فما زاد على أن قرأ

(١) الأصول : « يستوفيه » ولا يستقيم بها الكلام .

الوثيقة وصرفاً إلى الرجل ، وقال له : خذ وثيقتك يا جافى ، لم يزدده على ذلك .

وهذه قصة محفوظه لموسى يحكيها الفقهاء عنه .

قال محمد :

ولما صار موسى بن محمد إلى القضاء حكم في المال الموقوف بما بلغه إليه اختياره ، مما اختلف فيه أهل العلم من قبل ذلك على النضر ابن سلية .

قال محمد :

وسمعت من يحكى من العلماء :

أن موسى بن زياد كان حسن السميت ، أديباً ، ظاهر المروءة ، بادي الوقار ، إلا أنه كان جاهلاً عيباً .

حكى أنه ذكر يوماً محمد بن غالب بن الصنفار ، فقال^(١) : صام رمضان كله إلى يوم العرفة ثم يوماً .

فأخطأ خطأين بشعين^(٢) : توهم أن في رمضان يوم عرفة ، كما في ذى الحجة ، وأدخل الألف واللام في : يوم عرفة :

وسمعت من يحكى اسم « مرة » بالألف ، واسم « أسماء » بالهاء .

قال محمد :

وتصرف موسى بن زياد للأمير — رحمه الله — في خطط جمعة ، منها : الكتابة ، والوزارة ، وغير ذلك ، واستأذن للحج ثم انصرف .

(١) الأصول : « فقام » وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « بشيعين » وهى غير واردة .

وتوفي الأمير - رحمه الله - وموسى بن زياد حامل ، وذلك أنه
نظر فيما لا يعنيه ، وتكلم فيما لم يستشرف فيه ، من مهمات الأمور ،
وعظيقات الأشياء ، مما تنبى به الخلافة ، وتقوم به الإمارة ، وأبطن
من ذلك شيئاً ، فأعقبه الله في ذلك بشر عقيب ، وولاه من ذلك
ما تولى .

ذكر القاضى محمد بن سلمة

قال محمد :

ولما عزل الأمير - رحمه الله - موسى بن زياد عن القضاء ،
استقضى بعده محمد بن سلمة الكلابى ، وهو أخو النضر بن سلمة .

وكان رجلاً صالحاً في مذهبه ، فاضلاً في دينه ، شديد السلامة في
طبعه ، مع الزهادة والتبسك ، لم تحدث له ولاية القضاء تغييراً في ملبس ،
ولا اكتسب المال ، ولا بلغت به العائدة^(١) إلى اشتراء دار ، وإنما كان
يسكن بكراة في داخل المدينة بقرب الجامع ، ولم تكن له من الحركة
في الفهم ، ولا من اليقظة في الأمور ، ما كان لأخيه النضر في ذلك ،
وكان مع ذلك شديد التسكيتة ، ظاهر الصلابة ، راغباً في إقامة السنة ،
منتزحاً^(٢) عن الناس ، ملتزماً للبادية ، فكان ربما دار على الناس منه
بعض الجفوة والتحامل في المخاطبة .

قال خالد بن سعد :

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يثنى عليه ، ويصفه بالخير والفضل .

وقال خالد بن سعد : وأخبرني محمد بن هاشم الزاهد ، قال : أخبرني
امرأة صالحة من أهل الاستتار أنها أتته إلى داره في بعض الأيام ،

(١) الأصول : « الفائدة » وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . والعائدة :
ما يعود على الانسان .
(٢) كذا . والمسموع : نازحاً .

وذلك قبل الظهر ، فقرعت عليه الباب ، فخرج إليها ، وكانت لا تعرفه قبل ذلك ، وعلى يده أثرُ العجين ، كما كان يعجن ، فقالت له : أريد أن تسكلم القاضي ، فإن لي إليه حاجة ، فقال لها : تقدمي إلى المسجد الجامع ، فإنه يُوافيك فيه الساعة .

قالت : فأتيتُ الجامع ، فركعتُ ثم جلستُ انتظر القاضي ، فلم ألبث أن أتى ذلك الرجلُ الذي خرج إليّ وبيديه أثرُ العجين ، فجعل يركعُ ، فسألتُ عنه ، فتيلى لي : هو القاضي ، فلما سلم تعرّضتُ إليه فكلمته في حاجتي ، فقضاها لي .

قال خالدُ بن سعيدٍ : أخبرني عبدُ الله بنُ قاسم ، قال : أخبرني أبي ، قال :

وقفتُ بمحمد بن سلمة القاضي ، فسألني أن أشتري له كساءً بركان^(١) .

قال عبدُ الله : فأمرني أبي أن أهبط إلى البزازين في طلبه ، فهبطتُ فاشتريت له كساءً بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، ثم أتيت به أبي ، فسار به إليه ، فاستحسنه ، وقال : بكم هذا الكساء ؟ فقال له : يقعُ عليك بعشرة دنانير ، فسبق إلى القاضي أنه ثمنه ، فأخرج إليه عشرة دنانير .

فلما كان بعد ذلك لم ينشب أن أتاه أبو يحيى صاحب الأحباس^(٢) ،

(١) البركان ، بالتشديد : الكساء الأسود ، وليس بعربي .
(الجمهرة لابن دريد : ٣ : ٣٠٩ ، والقاموس المحيط : برك ، والمعرب للجواليقي : ٥٦) .

(٢) الأصول : « أحباس » .

فقال له : إن القاضي يقرئك السلام ، ويسألك أن تقبض الكساء وترُدَّ العشرة الدنانير ، فإنه قد احتاج إلى نفقتها ، والكساء قد استغنى عنه ، فقال له أبي : لا يرُدُّ (١) الكساء ، وأنا أعطيه الدراهم ينتفع بها إلى وقت يتيسر له ، فأبى صاحب الأحياسِ ذلك (٢) .

قال : فأنكرت ذلك ، وقلت : ما الذي أوجبَ هذا ، فقد علم ثمنه ، فلم يقبله ؟ وقال : إنما ظننت أن ثمنه عشرة دنانير كما أعطيتُ ، فإذا ثمنه أكثر من ذلك ، فلا حاجة لي أن أتحمّلَ على الرجلِ في ماله .

قال عبد الله :

وكانت بين أبي وبين محمد بن سلية محبةٌ ومداخلة ، وكان يختلفُ النساءَ بعضهن إلى بعض ، فأتتنا ابنته في بعض الأيام زائرةً ، وهو على القضاء ، فأمر أبي النساء أن يكسونها مقنعاً (٣) عراقياً ، فكسونها ذلك ، فلما انصرفت من عندنا رأى القاضي المقنع عليها ، فأنكره وقال لها : من أين لك هذا ؟ فوصفت له الخبر على وجهه ، فقال لها : يا بنية ، ليس هذا المقنعُ من كسوتك ، مع أنه يحتاج هذا المقنع إلى ثوب من جنسه ، ورداء من جنسه ، ثم أمرها بردَّ المقنع ، ولم يقبله .

قال محمد بن عمر بن ليا بة :

أتيتُ القاضيَ محمد بن سلية ، فلم أر في دواته إلا أقلاماً مكسورة ، فأخذتُ مع نفسي أقلاماً حسناً كانت عندي ، وبريتها وأتيتها بها ، فأبى قبولها (٤) وقال : لو كنت متقبلاً لهدية لقبلتُ هديتك ، وردها على .

-
- (١) الأصول : « يرد » ولا يستقيم بها الكلام .
 - (٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .
 - (٣) المقنع : القناع ، وهو ما تغطي المرأة به رأسها .
 - (٤) الأصول : « من قبولها » والفعل يتعدى بنفسه .

قال : وأخبرني سليمان بن محمد بن أبي ربيع ، قال :
كنتُ أخاصمُ عند القاضي محمد بن سلمة ، فسعى عليّ عنده وأغرى بي ،
فكسنتُ إذا أتيتُ مجلسه خرج عليّ أمام الناس ، فشكوتُ ذلك إلى محمد
ابن عمر بن لبابة ، وأردتُ أن أستعين به عليه ، وكان أكبر الناس
عنده ، وأقربهم منه ، فقال لي ابن لبابة : است أرى أن تستعدي عليه بي
ولا بغيري ، غير أني أدلك على حالة أرجو أن تنتفع بها عنده ، وأن
يرجع إلى ما تريد من الحقّ : تحين (١) وقت مخلوة (٢) ، فإذا صاح عليك
فلا تهب (٣) منه صياحه ، وقل له عند ذلك : يا قاضي المسلمين ، الله
أولى بك .

قال لي ابن أبي الربيع : ففعلتُ ما دلّني عليه ابن لبابة ، وقلت له ما قال ،
فانكسر عند ذلك ورجع عما كرهتُ .

قال خالد بن سعد : سمعتُ محمد بن عمر بن لبابة يقول :
أتيتُ أنا والحبيب بن زياد إلى محمد بن سلمة ، لتعديل ابن شراحيل ،
المعروف بالعجيزة ، فعدلتناه عنده ، فقام الحبيب بن زياد وبقيت أنا عنده ،
فقال لي القاضي : أبا عبد الله ، ما تقول في القاضي يعدلُ عنده الرجل ،
وهو يعرفه بغير العدالة ، بأي شيء يأخذ : أبعليه أو بتعديل المعدّلين له ؟
قال ابن لبابة : فقلتُ له : إذا عدلُ القاضي بالجرحة فذلك أولى أن
يأخذ به من قول المعدّلين ، فقال لي محمد بن سلمة : فإن هذا الذي عدلتم
هو عندي غير عدل ، قال : فقلتُ له : أنت أحقُّ بعدلك ، ونحن قد
عدلتناه بمبلغ علمنا ، ومن عرف الباطن فهو أحقُّ بمن عرف الظاهر .

(١) الأصول : « تحيل » وما أثبتنا يتفق والسياق .
(٢) الأصول : « حلوه » ، بالحاء المهملة ، تصحيف .
(٣) لا تهب : لا تخف .

قال خالد بن سعيد :

فذكرت الحكاية لمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، فذكر أن محمد بن سلمة لم يكن يعرف ابن شراحيل بجرحة ، غير أن بعض جيراننا كانت له خاصة من القاضي ، فأذاه عنده بشيء كان بينه وبينه .

قال محمد : قال لي أحمد بن عباد :

كنت يوماً ماشياً مع محمد بن سلمة ، وهو على القضاء ، فلقينا إنساناً على رأسه غرارة ، فيها شيء مستور ، ويديه كبير^(١) ، فأمر القاضي بكسر الكبر ، وعلم ولم يشك أن الغرارة مملوءة أكباراً ، فقال : أنزلوا الغرارة وانظروا ما فيها .

فقال أحمد بن عباد : فقلت له : ما عليك أن تفتش أمتعة الناس وخباياهم ، إنما عليك أن تُغيّر مظهر من المنكر .

قال : فأمسك عما أمر من تفتيش الغرارة .

ثم سرنا ، فلقينا محمد بن عمر بن لبابة ، فسأله عن ذلك ، فقال ابن لبابة مثل ما قلت له .

قال : فعطف عليّ فقال لي : لقد انتفعنا بصحبتك اليوم يارُعيّ .

قال أحمد بن عباد : حكى رجلٌ كان يخدم محمد بن سلمة ويمشي

معه ، قال :

بينما القاضي يوماً في بعض الأزقة ، ونظر إلى سكران ، فقال لي : خذنه حتى أقيم عاينه الحد ، فقال له السكران : تعال^(٢) أنت بنفسك

(١) الكبر ، محرّكة : الطبل ذو الوجه الواحد ، مولدة ، والجمع

(٢) الأصول : « تعلى » .

يا قاضي نخذني ، والله لئن أخذتني (١) لأضربنك ضرباً وجيعاً . قال : فانصرف
محمد بن سلمة [عن] (٢) طريق السكران وأخذ بغيره . ثم قال لى القاضي :
سمعت ما قال ؟ والله ما أظنه إلا كان يفعل ، الحمد لله الذي نجانا منه .

وكان محمد بن سلمة في أول ولايته القضاء متحرفاً عن محمد بن غالب ،
[فاضطر مرة] (٣) إلى الرجوع مع محمد بن سلمة والمشى معه ، فلم يقبل
ذلك منه محمد بن سلمة وأمره بالانصراف استثقلاً له ، فانصرف عنه
محمد بن غالب ، ففي انصرافه لقي قتي من أصحاب الرسائل طالباً لأثر القاضي
يسألُ عنه ، ويبيده كتاب من عند الأمير — رحمه الله — فعلم ابن (٤)
الصفار متى ورده الكتاب لم يقم للجواب ، فانصرف ابن الصفار في أثر
الفتى حتى دخل المسجد الذي فيه القاضي ، فوجد الكتاب بيده والفتى
يحركه في المجاوبة ، وقد بقى القاضي حائراً ، فلما نظر ابن سلمة إلى ابن
الصفار قال له : ما صرفك ؟ فقال له : أصلحك الله : لقيت هذا فعلت
أن قصده إليك ، فقفوت أثره لتكفيك المجاوبة وأصونك عن
الشخص (٥) فيها ، فأمكنه القاضي من الجواب ، فأجاب عنه وأحسن ،
فشكر القاضي ما كان منه ، وعاد بحسن الرأي عليه .

ولم يزل محمد بن غالب بعد ذلك متبجحاً في دولته ، مالسكاً لأمره ، حتى
توفي سنة إحدى وتسعين ، وولى بإثره الحبيب .

-
- (١) الأصول : « أخذتك » .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .
(٣) تكملة يقتضيها السياق زدناها استثناساً بما في الترجمة
الأسبانية .
(٤) ابن الصفار : كنية محمد بن غالب وبها عرف .
(٥) الشخص فيها : أي النظر فيها .

قال محمد :

وكان الأميرُ عبد الله بن محمد - رضى الله عنهما - من الأئمة المهديين ،
والخلفاء الفاضلين فى العبادة ، والمتقدمين فى الزهادة ، وكان أيامه رجلٌ
من أهل الزهد والعبادة والفضل ، يعرف بالصيد ، فسأل الأمير - رحمه
الله - يوماً النضر بن سلية ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
لا عهد لى به ، فقال له : مثلك لا يكون له عهد بالصيد ، فقمعه^(١) بذلك ،
ثم أدخل على نفسه محمد بن سلية ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
الساعة رأيت فى الجامع ، فملت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله ، فقال
له الأمير - رحمه الله : مثلك قرب عهدك بمثل الصيد ، وعرف حقه .

وكان الأمير - رحمه الله - بمحمد بن سلية معجباً ، لدينه وفضله
وصحته وسلامة صدره .

قال محمد :

فكان محمد بن سلية قاضياً ماشاء الله من الأيام ، ثم عزله الأمير -
رحمه الله .

وكان السبب فى عزله إياه أن النضر بن سلية أحب الرجوع إلى
القضاء ، وطمع فى ذلك لو عزل أخوه محمد ، فزين لأخيه مكاتبة الأمير -
رحمه الله - بالاستعفاء عن القضاء ، فقبل منه محمد وكتب يستعنى ، فأجابه
الأميرُ - رحمه الله - إلى ما سأل ، وعافاه من القضاء كما رغب .

(١) قمعه : كسره وأزله .

ذكر القاضى
النضر بن سلمة
المرّة الثانية

قال محمد :

ولما أسعف الأمير^(١) عبد الله بن محمد — رضى الله عنهما — قاضيه محمد بن سلمة بما سأل من المعافاة ، وعزله عن القضاء ، أعاد النضر بن سلمة إلى خطة القضاء ، وأقرّ محمد بن سلمة على الصلاة والخطبة ، فكان النضر القاضى ، وكان محمد بن سلمة صاحب الصلاة .

قال محمد :

سمعت غير واحد من أهل العلم يقول :
كان النضر فى المرة الأولى أحمدَ منه فى المرة الثانية ، ولم يبلغ فى القضاء الثانى مبلغه فى الأول .

قال محمد :

وتصرّفت الحال بالنضر إلى أن رأى الأمير — رضى الله عنه — أن يستوزره ، فعزله عن القضاء وولاه الوزارة ، وجمع الخطتين : خطة القضاء ، وخطة الصلاة ، لمحمد بن سلمة .

(١) الأصول : « الأمير رحمه الله » ويبدو أن قوله « رحمه الله »

مقدمة .

ذكر القاضى
محمد بن سلمة
المرة الثانية

قال محمد^{هـ}: أخبرني أحمد بن عبادة الرعيني^{هـ}، قال :
لما ولى محمد بن سلمة خطة القضاء بكى ، كراهية لما قلده منها ، وكان
رجلا صالحاً فاضلاً ، صحيح المذهب .

قال محمد^{هـ} :

وقد قدمت من أخباره وذكر فضائله في دولته الأولى ما لا يصلح
تكريره في هذا الموضع .

قال محمد: أخبرني فرج بن سلمة الباوي^{هـ}، عن محمد بن عُمَر بن لبابة ،
وذكر أيضاً خالد بن سعد ، عن ابن لبابة ، قال :

أرسل في القاضى محمد بن سلمة ، فسألني أن أعقد له كتاب وصيته .
قال ابن لبابة : فعقدتها على أنه أوصى بثلاثه ، ثم ذهب يوزع الثلث
على ما يوصى به ، فوزع منه مثل عشرة دنانير ، ثم انقطع توزيعه .
قال ابن لبابة : فقلت له : ثم ماذا ؟ قال : هذا ثلثي فيما أحسب .

قال : فجعلتُ أُجِيل بصرى في داره ، فشعر بي^(١) ، فقال : والله مالى
فيها شيء^{هـ} - يعنى في رقية^(٢) الدار - وإنما لا بنتى عافية .

(١) الأصول : « لى » ولا يستقيم بها المعنى .
(٢) كذا ، ولعله يريد : كل ما يتصل بالدار .

قال محمد بن عمر بن لبابة :
فلما توفي حضرتُ تحصيلُ تركته ، فبلغ نحو ثلاثين . أو خمسة
وثلاثين ديناراً .

قال محمد :
وتوفي محمد بن سلمة في أيام الأمير عبد الله بن محمد — رضى الله
عنهما — قاضياً غير معزول .

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :
ولما اشتد بمحمد بن سلمة مرضه ، ولم يستطع الخروج إلى الخطبة
بالناس يوم الجمعة ، سأله ولده أن يكتب إلى الأمير ويسأله أن يستخلفه
على الصلاة ، فقال : والله ما أفعل ، ولا أختار لصلاة المسلمين ، وأشير
بتقديمه على الأمير إلا من يستحقها ، ومن هو أهل لها . وكتب إلى
الأمير يشير عليه بمحمد بن عمر بن لبابة ، فقبل الأمير — رحمه الله —
رأيه ، وأمر ابن لبابة بالصلاة .

قال محمد : ذكر لي بعض رواة الأخبار ، قال : لما مات محمد بن
سلمة نظر الأمير عبد الله في قاض ، وعزم على أبي الغمر بن فهد ، وأمر
بالإرسال فيه ، فكان غائباً في ضيعته بقبرة ، وافترق الوزراء ، وعرف
جذمير العجمي ، فلما خرج من القصر جذمير أتى أحمد بن محمد فأعلمه
بما كان ، وقال : عجبا منهم أن يكون مثلك من بيت القضاة يطرح^(١) .

ثم قال له : سأخلسي^(٢) عنك البيئته ، فإن كان لك في البيت من يذكر
ويشير بك فعل ، فانصرف الحبيب فاجتمع مع عبد الله بن الزجالي ، وتكلم

(١) الأصول : « يطرح عنك » . وأولى ما أثبتنا .
(٢) الأصول : « وسأخل » .

معه في ذلك ، ثم تكلم مع محمد بن أمية ليلته تلك أيضا ، ثم أصبح جذمير
فدخل على عبد الله ، فقال له : إني هممت بالرجوع إليك عشية أمس ، غير
أنى كرهت تحريكك ، خرجت فوجدت جملة من المساكين يبكون
أنفسهم ، ويقولون : عزم الأمير أن يولى ابن فهدٍ ، فإن ولاه أكل
أموالنا ، برغبته وحرصه ، وأنك أحبا سنا ، فقال الأمير : والله إن فيه
لرغبة ، ثم أدخل الوزراء فأعلمهم أن رأيه حال عن ابن فهد ، فأشار ابن
الزجالى بالحبيب ، وذكر أن ابن أمية أوصى إليه ببنته ، وأرسل إلى (١)
كتاب وصيته .

فنظر إليها الأمير ، فأمر بتوليته القضاء ، فولى .

(١) الأصول : « فى » وما أثبتنا أولى بالسياق .

ذکر القاضی
الحیب أحمد بن محمد بن زید اللخمی
المرة الأولى

قال محمد^١ :

ولما تُوفی القاضی محمدُ بن سلیمانُ أمرُ الأميرُ - رحمه الله - محمد بن أمية ، صاحبَ المدينة يومئذ ، أن يقبضَ الديوان ، وأن يجعله بمكان الحفظ والصيانة ، حتى يُولى القضاء من يرضى ، فيصير إليه^(١) نظره ، ففعل ذلك ، وبقى الناسُ لا قاضٍ لهم برهة من الزمان .

وكان الأميرُ عبد الله بن محمدٍ - رضى الله عنه - فى ذلك الوقت يشتتير ويستخير ، ويكرر النظر^(٢) ، ويقلبُ الرأى فيمن يقلده القضاء بعد محمد بن سلمة ، فجمع الوزراء يوماً من الأيام ، وجعل يشاورهم فى قاض ، فقام إليه محمد بن أمية فقال ، أصلح الله الأمير ، إن الرجل لا يعهدُ بوصيته ، ولا يأتمن على ولده وماله ، غير أوثق الناس ، وهذه وصيتى فانظر إلى من أسندتها ، فقال له الأمير : صدقت ، ثم نظر إلى كتابه فوجده قد أسندها إلى الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ ، فقبل منه الأمير - رحمه الله - رأيه ، وولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي ، وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) الأصول : « الى » .

(٢) الأصول : « ويتكرر بالنظر » .

قال محمد^{هـ} : قال لي غيرُ ما رَجُمَل من عُقلاء الناس وعلمائهم :
كان القاضي أحمدُ بنُ زياد ، المعروفُ بالحبيب ، أكلَ الناس أدباً ،
وأكثرهم بالصدق برّاً ، وأكرمهم ديناً ، وأقضاهم حاجةً ، في ماله
وحرمة ، وكان حسن المداراة ، لطيفاً في الأمور ، طلوباً^(١) إذا طُلب ،
صبوراً على المقارعة والمواصلة .

قال محمد^{هـ} : وذكر بعض أهل العلم ، قال :
لم يزل أحمدُ بن محمد بن زيادٍ في حدائثِ سنه أثيراً عند الخلفاء —
رحمهم الله — شاوره الأميرُ محمد^{هـ} مع الفقهاء في بعض الأفضية ، واستسقى
بالناس في أيام الأمير المنذر — رحمه الله — مديلاً^(٢) للقاضي أبي معاوية ،
من غير ولاية ، فسقى ونزل الغيث .

قال محمد :

وكان الحبيبُ من أوفر الناس [مالا]^(٣) ومُسلامهم^(٤) ، وكان بصيراً
بالتجسّر^(٥) عارفاً بوجوهه .

قال لي بعضُ الشيوخ :

إنما كانت المنّةُ على الحبيب في ماله للقاضي سليمان بن أسود ، فإنه كان
يُعنى بالحبيب في مبتدأ أمره ، لا مال له ، فدعا سليمان فوعظه ، ووصّاه
بالنظر لنفسه ، والاكتساب لها ، وعرفه بحرمة المال وجسيم منفعته ،

(١) طلب : طالب وراغب .

(٢) مديلاً للقاضي ، أي حالاً محله .

(٣) تكلمة يستقيم بها الكلام .

(٤) الأصول : « أملاًئهم » يريد : جمع : ملء ، وهو الكثير المال ،

والمسموع في جمعه ما أثبتنا .

(٥) التجسّر ، بالفتح : التجارة .

ودلهُ على باب التجر وحضه عليه . فقال له الحبيب : إن التجر لا يكون إلا بمال ، وأنا لا مال لي ، فسكت عنه سليمان أياماً ، ثم دعاه فأورعه خمسة آلاف دينار ، وقال له : حرّكها ، واتجر بها لنفسك ، فكانت نصاب ماله ، ومفتاح كسبه .

قال محمدٌ :

ولما ولي القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زيادٍ ، وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، لم يقبل الرأي من أشار به عليه حتى يقيدهُ على نفسه بخط يده . فكان أول قاض ضم أهل الفقه المشيرين عليه في أقضيته إلى ضبط فتياهم ، وزمام رأيهم بخط أيديهم ، ولم يكل ذلك إلى خط كاتبه ، ولا إلى خط نفسه ، ثم تكلف بعد ذلك تأليف تلك الأفضية ، وجمع تلك الأحكام ، فجعل منها أجزاءً فيها بلاغٌ لمن نظر فيها ، ولا تقصير في صونها (١) .

وكان قد قعد عنه في قضائه هذا الأول الشيخان : محمد بن عمر بن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، وكانا في وقتها شيخى البلد وعظيميه علماء وفقهاً ، مع السن والجلال من سعة (٢) العلم ومعاونة (٣) الفقه ، مع كثرة الدربة ، وطول المراس (٤) ، وقديم المعاونة ، والرسوخ الكامل في مذاهب (٥) الرأي ، وطرق الفتيا ، فلما نظر الحبيب إلى تشاقلهما وقعودهما عن إتيانه ، استغنى بمحمد بن وليد الفقيه ، وبمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن الشيخين برهةً من الزمان ، وحيناً من الدهر ، ثم سعى في إصلاح ذلك ،

-
- (١) الأصول : « صوانها » والمسموع ما أثبتنا .
 - (٢) الأصول : « صنعة » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
 - (٣) الأصول : « ومعانى » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .
 - (٤) الأصول : « المراساة » والوارد ما أثبتنا .
 - (٥) الأصول : « مذهب » .

وتألفه عمر بن يحيى بن ألبابة ، وكان قد فسد في ذلك الحين ما بين الشيخين أيضا : محمد بن عمر بن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، فجمع عمر بينهما عند أسلم ابن عبد العزيز ، وجعل شرطهما في الإصلاح الاجتماع على إزالة محمد بن أيمن عن مكانته عند الحبيب بن زياد ، فدارت في ذلك بينهم أحوال طويلة الوصف ، على ما يكون بين الضدين ، ولا ضد أكبر من المزاومة والمنافسة في الدرجة ، ولا سيما إن جرى إلى غاية واحدة بأهواء مختلفة ، واختلفت حظوظهما في القسم ، فكان أحدهما يتناول بالعلم والنباهة ، ويجحد كل واحد منهما حق صاحبه ، ولم يُقرر له بما يذتجل ، ودافعه فيما يقول .

قال محمد : أخبرني بعضُ الشيوخ ، قال :

تقدم رجلٌ كهلٌ إلى الحبيب بن زياد ، فشهد عنده بشهادة ، فقال له القاضي : مذ كم عرفت هذا الأمر ؟ فأجابته الشاهد بجواب أخرَج فيه الكلام على وجه المبالغة والرمي إلى الغاية ، فقال له : مذ مائة سنة ، فقال له القاضي : ابن كم أنت ؟ فقال له : ابن ستين ، فقال له : فكيف عرفت هذا الأمر مذ مائة سنة ؟ أترك عرفتته قبل أن تولد بأربعين عاماً ؟ فقال له الشاهد : إنما قلت ذلك على المثل ، فقال له الحبيب : إن الشهادات لا تُردى بالمثل ، ثم دعا للشاهد بالسوط فقنعه به مرات ، ثم قال : لو أن إبراهيم بن حسين بن عاصم تحفظ من مثل هذا ما صلب إنساناً بغير حق .

قال محمد :

وكانت قصة المصلوب الذي صلبه إبراهيم بن حسين ، أن الأمير محمداً - رحمه الله - حدثت في أيامه مجاعة شديدة ، فكثرت فيها التطاول

من الفسدة^(١) ، لفضل^(٢) ما كانوا فيه من ضر السنة ، وكثرت^(٣) الشكوى بذلك إلى الأمير — رحمه الله — وكثير عليه من الحكام استطلاع رأيه في الصلب والقطع وما أشبهه ، فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسين ابن عاصم ، وأمره بالاجتهاد ، وعهد إليه بالتحفظ ، وأذن بالتنفيذ في القطع والصلب بلا مؤامرة منه ، ولا استئذانٍ ، فكان لإبراهيم مجلس في مجلس نظره في السوق ، فإذا أتى^(٤) بالفاسد المفتح^(٥) ، قال له ، اكتب وصيتك^(٦) ودعا له بشيوخ فاشهدهم على ما يوصى به ، ثم صلبه ونحره ، فكان بين يديه من المصلبين عدد عظيم ، فأتاه قوم بفتى من جيرانهم ، فشكوا منه إليه تطاولا ، على ما يكون من أشرار الأحداث ، وهم لا يشكون أنه سيزجره الزجر القوي ، وإن أفرط في عقابه فالسجن ، فقال لشيخ منهم ، ما يستحق عندك ؟ فقال على وجه المثل والمبالغة في الوصف : ما يستحق هؤلاء . وأشار إلى المصلبين ، فقال له إبراهيم بن حسين ولأصحابه : انصرفوا ، ثم قال للفتى : اكتب وصيتك ، فقال له : أتق الله في ، فإنه لم يبلغ ذنبي أن أستحق القتل والصلب ، فقال له : بذلك شهد عليك الشهود ، وقتله وصلبه . فلما بلغ الشهود ذلك أتوه فقالوا له : لم يشهد عندك على الفتى بذنوب يجب فيه القتل ، فقال : أو لم يقل قائلكم : إنه يستحق ما يستحق هؤلاء ؟ فقالوا له : على المثل . قال : فإثم ذلك في رقابكم إذ لم تحسنوا الإبانة عن^(٧) أنفسكم .

- (١) هذا هو المسموع في جمع فاسد أما فسيدي ، فجمعه : فسدي ، بفتح فسكون ففتح .
- (٢) لفضل ، أي لزيادة .
- (٣) الأصول : « وكثر » .
- (٤) الأصول : « أوتى » .
- (٥) يريد : المفرط ، وهي غير واردة ، يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله ، وأفدحه هو ، إذا وجدته ثقيلًا . ولعل صوابها : الفادح .
- (٦) الأصول : « وصيته » .
- (٧) الأصول : « من » .

قال محمد :

بلغنى أن الحبيب جلس إلى مائدته رجل من السوق ، كان له صنيعته^(١) ، وكان السوقى قد أخرج فى كفه من بيته خبزاً يتغذاه فى حانوته فى داخل ،^(١) فخطر بالقاضى الحبيب فى صدر النهار ، فأمره بالمُقام حتى حضرت المائدة ، فتقرَّب^(٢) الرجل وأظهر مزاحاً سمجاً ، فأخرج خبزه من كفه ، ثم قال : أما أنا فقد أتيتُ بُخبزِى مع نفسى ، فمنه آكلُ ، وكان الحبيبُ شريفاً الهمة ، شديدَ اليقظة ، فقال له : ويك ، إنَّ هذا الكلامَ وإن كان مزاحاً ، فإنه عادة يبقَى ، ثم قال لغلامه ، خذ بيده وأرقه^(٣) عن المائدة ، وأخرجه ، فليس مثل هذا يُستخَصُّ .

قال لى عثمان بن محمد :

كان بين الحبيب بن زياد ، قبل أن يلى القضاء وبين جعفر بن يحيى بن مزين سبب من شحناه و ضغن ، وكان جعفر من يصى فى المقصورة ، فلما ولى الحبيب القضاء أمر بعض القوم^(٤) يوم الجمعة : إذا أتى جعفر ابن يحيى بن مزين ليدخل من باب المقصورة ، فليسبق [إلى]^(٥) الباب ويغلقه فى وجهه ولا يُدخِله ، ففعل ذلك به ، فقال جعفر إلى جانب الباب من خارجٍ وصلى ، ثم انصرف إلى بيته .

فيقال إنه ظهر به يرقان^(٦) ، فمات إلى الثالث ، وهذا فيما ذكرناه من مطالبة الحبيب لمن شذَّ عنه .

-
- (١) الأصول : « فى داخل النهار » ويبدو أن كلمة « النهار » مقدمة .
 - (٢) الأصول : « فتقرَّب » .
 - (٣) الأصول : « وأقم عنهم » .
 - (٤) القومة : من يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع قائم .
 - (٥) تكملة يستقيم بها الكلام .

قال محمد^{هـ} : ذكر بعضُ أهلِ العلم ، قال :

إن محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن الجبّاب ، امتدَّ إليه رُجلٌ من جيرانه ، وهو حدث السنُّ يومئذ ، فقال منه بسبب النَّفَسِ^(١) الذي كان يتعادى به الجيران ، فتقدم محمد بن إبراهيم إلى الحبيب بن زياد ، في دولته الأولى ، مشتكياً الرجل^(٢) ، فأمر الحبيب بحبسه ، فشفعَ في إطلاقه محمد ابن عمر بن لبابة ، وأبو صالح أيوب بن سليمان ، وقالوا له : تحبس رجلاً بدعوى خصمه ، فأبى الحبيبُ إطلاقه^(٣) ، وقال : كان أبي وعمي لا يلتسمسان على من شابهه^(٤) أهل العلم ، ومن يوسم بخير ، ظهيراً ، ولم يطلق الرجل إلا لمن حبسه له .

قال محمد^{هـ} :

إن كانت هذه الحكاية صحيحة عن الحبيب ، فهي من فلتات الرأي ، وعثرات الجهل ، وما حكي من ذلك عن أبيه وعمه ، فقد لا يصح ذلك ، ولو صح لم تقم له به حجة على مذهب الحق الذي لا يمتري فيه بشر ، وآية الصدق في ذلك أن أفضل الناس ديناً وعلماً وأدباً ومروءة لو ادعى على أحد فليساً لم يُعْطَ بدعواه ذلك الفلئس ، فما هو أعظم من ذلك من الحبس والعقاب أحق ألا ينفذ لأحد بدعواه ، غير أن من اجتهد في الإصابتة فتوا به مرجوئ^{هـ} ، ووزرُ الخطأ الذي لا يملكه عنه مرفوع ، والله المطلع [على] ^(٥) خفي الضمائر ، والعالم بسرائر النسيات ، وليس الخطأ بغيبٍ على الراسخ في العلم ، ولا الزلل منسكور على أهل الفهم ، قال الله تبارك وتعالى

(١) النفس ، محركة : العداء .

(٢) الأصول : « بالرجل » .

(٣) الأصول : « من إطلاقه » .

(٤) الأصول : « شكاً به » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

(وداود وسليمان إذ يحسبان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً أتينا حكماً وعلماً) (١) ، فشهد الله عز وجل لنبيه سليمان — عليه السلام — بالإصابة ، ولم يذمهم داود بالخطأ ، ثم أثنى عليهما معاً فقال تعالى (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن محمد بن محمد بن زياد قاضياً في دولته الأولى ، من سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى أن توفي الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله . فلما ولي أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، الخلافة ، أقر أحمد بن محمد بن زياد على القضاء مدة يسيرة ، ثم عزله .

(١) الأنبياء : ٧٨ : ٧٩ .

ذكر القاضى اسلم بن عبد العزيز

قال محمد :

هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن
حُسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان ،
رضى الله عنه .

وولاهم لعثمان بن عفان - رضى الله عنه .

كان عظيم القدر ، شريف البيت ، كريم الأبوة ، معروف النصيحة ،
ظاهر الإخلاص للخلفاء - رضى الله عنهم - مع الجلالة فى العلم ،
والإدراك فى الرواية ، والرّحلة فى الطلب ، والصحة فى الديانة .

سمع بالاندلس من علماءها ، ثم رحل فلقى بمصر : محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم ، وإسماعيل بن يحيى المزنيّ ويونس بن عبد الاعلى ، وسليمان
ابن عمران بالقيروان ، وذلك فى سنة ستين ومائتين .

قال خالد بن سعد : سمعت أسلم بن عبد العزيز ، يقول :

دخلت حمام الاصطبل يوماً ، فلما خرجت لقيت محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم راكباً على حمار ، فسلم علىّ ، وكان قد عرفنى بسماعى
منه ، فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحمام ، فقال : وأى حمام (١) ؟
قلت : حمام الإصطبل ، فقال : مثلك يدخل حمام الإصطبل ؟ فقلت له :

(١) الأصول : « وأى الحمام » .

وما شأنه ؟ فقال لي : هو مغضوب لا يحل دخوله ، فقلت له : ومن غضبه ؟
فقال : كان لبني أمية ، فقلت له : مهما حرم على أحد فإنه لي حلال ،
فقال لي : وكيف ذلك ؟ فقلت له : الحرام لهم وأنا منولى القوم .
قال : فضحك ابن عبد الحكم :

قال أسلم : فكنت إذا أتيت مجلسه بعد ذلك ، وقد كثرت الناس فيه ،
قال خف^(١) إلى هاهنا ، فيُدينني ويكرمني ، ويقول : من طريق
ذلك الطريق .

يعنى ابن عبد الحكم أن ولاءه أيضاً لبني أمية ، رضى الله عنهم .
قال محمد :

ولما قضى أسلم بالمشرك حجته وسماعه انصرف ، فقال الوجاهة
العظيمة ، والمنزلة الشريفة .

وكان أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه ... عارفاً بمذاهبه الحسنة ،
ومروءته الكاملة ، وأوصافه المحمودة ، فلما عزل أحمد بن محمد بن
زياد عن القضاء ولّى أسلم بن عبد العزيز قضاء الجماعة بقرطبة سنة ثلثمائة
يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فذكر بالسالمين من عيون
القضاة [في]^(٢) لإيثار الحق وإمضاءه ، وكان صارماً صليماً ، لا هوادة
عنده لظالم ، ولا ممدأهنة مع مُبطل .

قال محمد : أخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :

كان بقرطبة رجل أعجمي ممن استنزل من الحصون المخالفة ، وكانت له
امرأة حرة مسلمة ، فاستجارت بالقاضي أسلم بن عبد العزيز فأجارها ،

(١) الأصول : « خلف » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

(٢) تكملة يقتضيتها السياق .

وبدا بالنظر في أمرها . وكان في ذلك الوقت الحاجب بدر بن أحمد يحل من أمير المؤمنين - رحمه الله - محلاً لطيفاً . فلم ينشب القاضي أسلم^(١) أن أتاه يعلى ، عن الحاجب بدر فقال له : الحاجب يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن هؤلاء العجم إنما استنزلناهم بالعهد ، ولا يحل الخنصر^(٢) بهم ، وأنت أعلم بما يجب من الوفاء بالعهود ، فدع ما بين فلان العجمي و ما^(٣) بين الأمة التي في يديه ، فقال أسلم ليعلى : الحاجب أرسلك بهذا؟ قال : نعم ، قال : فأخبره عنسى : الأيمان كلها لازمة لي ، لا نظرت بين اثنين حتى أنفذ على العجمي ما يجب عليه من الحق في هذه الحرة المسلمة التي في يديه ، فذهب عنه يعلى ، ثم رجع إليه ، فقال : الحاجب يقرأ عليك السلام ، ويقول : إنى لا أعترضك في الحق ، ولا أستحل سؤال ذلك منك ، وإنما أسالك التثبيت فيما يجب من حق هؤلاء المعاهدين ، فقد علمت ما يجب من رعايتهم ، وأنت أعلم بالواجب .

قال محمد :

وكان القاضي أسلم بن عبد العزيز شديد المبادأة^(٤) في الحق ، قليل المداراة فيه ، وكان ربما أخرج ذلك بلفظ نادر ، ومعنى طيب ، يعجب بمعناه من جهة الرأي ، ويستندر لفظه من جهة النادر والفكاهة .

أخبرني مخبر^٥ من أهل العلم ، قال :

دخل أبو صالح أيوب بن سليمان ، وسعد بن معاذ ، على القاضي أسلم ، فلما أخذوا مجلسيهما ، نظر إليهما أسلم ، ثم قال : ألقوا ما أنتم مملقون ، فأبهتتهما بنادر لفظه ، وبصدق معناه .

(١) الأصول : « وأتاه » .

(٢) الأصول : « الحقد » وما أثبتنا هو الصحيح .

(٣) تكملة يقتضيهما السياق .

(٤) الأصول : « المبادأة » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

قال :

ودخل عليه محمد بن وليد الفقيه يوماً ، فكلمه في شيء ، فقال له
أسلم سمعنا وعصينا : فقال له : ابن وليد : ونحن قلنا واحتسبنا .

قال :

ودخل عليه رجلٌ من كانت له خصومة ، فقال له : قد أتيتك برجل
يشهد لي من إشبيلية يدخل ، فأظهر التعجب من ذلك ، وكأأنه اتهمه ، فلما
صار الشاهد بين يديه ، قال له القاضي : محتسب أنت أو مكتسب ؟ فصادف
عند الرجل أنفةً ، فقال له : ما عليك يا قاضي أن تسألني عن مثل هذا ،
إنما عليّ أن أقول وعليك أن تسمع ، ثم أنت بالخيار ، إن شئت فاقبل
وإن شئت فلا تقبل ، قال : فأخجل أسلم كلامه وصحة معناه ، ثم قال :
قل ، فقصر الرجل شهوته ، ثم وضع يديه في الأرض وقام عنه .

ومن المستفيض عنه قوله لرجلٍ من أهل لبلة ، وقد أتاه وسأل عليه ثم
جلس ، ثم قال : تعرفني يا قاضي ، قال له : لا ، قال : أنا قاضي لبلة ،
فقال أسلم : ما تنكر لله قُدرّة .

وبلغني أنه بلغه عن بعض الفقهاء أنه أقبل^(١) إليه ليشهد عنده
شهادة قد أهدى إليه صاحبها بساطاً ، فلما دخل عليه ونزع أخفافه وهم
أن يمشي على البساط قال : تحفظ من البساط ، فلم يجسر أن يشهد بما أتى
ليشهد فيه .

قال محمد : وسمعتُ من يحيى .

أنه جاء رجلٌ من النصارى مستقتلاً^(٢) لنفسه ، فوبخه أسلم ، وقال :

(١) الأصول : « يقبل » .

(٢) مستقتلاً لنفسه : مسلمها للمقتل .

ويالك ، من أغراك بنفسك أن تقتلها بلا ذنب ؟ فبلغ من سخف النصراني وجهه إلى أن انتحل له فضيلة لم يقرأ بمثلها (١) لعيسى (٢) بن مريم - صلى الله على محمد وعليه - فقال للقاضي : وتتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول ؟ فقال له القاضي : ومن المقتول ؟ فقال له : شبيهي يلقى على جسد من الأجساد فتقتله ، وأما أنا فأرفع في تلك الساعة إلى السماء ، فقال له أسلم : إن الذي تدعيه من ذلك غائب عنا ، والذي يخبرك به من تكذيبك غائب عنك ، ولكن ثم وجه يظهر صدقه لنا والك ، فقال له النصراني : وما هو ؟ فالتفت أسلم القاضي إلى الأعوان ، ثم قال : هاتوا السوط ، ثم أمر بتجريد النصراني ، فـجُرِّدَ ، ثم أمر بضربه ، فلما أخذته الشياطين جعل يقلق ويصيح ، فقال له أسلم : في ظهر من تقع هذه الشياطين ؟ فقال : في ظهري . قال له أسلم : وكذلك السيف والله في عنقك يقع فلا تتوهم غير ذلك .

قال محمد :

فكان أسلم قاضياً محمود السيرة ، مَشْكُورَ الحال ، من سنة ثلثمائة إلى آخر سنة تسع وثلثمائة .

وكان صاحب الصلاة في تلك المدة محمد بن عمر بن لبابة .

وكان أمير المرمنين كثيراً ما يتخلف (٣) أسلم بن عبد العزيز في سطح القصر إذا خرج في مغازيه .

ثم ألحَّ أسلمُ على أمير المرمنين - أطال الله بقاءه - في الاستعفاء من القضاء ، فعافاه منه .

(١) الأصول : « بمثلها » .

(٢) تكملة يستقيم بها السياق .

(٣) الأصول : « يتخلف » ولا يستقيم بها المعنى .

قال محمد : قال لي محمد بن عبد البر :

كنت بين يدي أسلم جالساً حين^(١) أتاه الفقي من عند أمير المؤمنين
— أعزه الله^(٢) — بأمر عزله عن القضاء ، قال : فوجم ثم أطرق
ساعة ، ثم قال : الحمد لله الذي عافاني منها ، فطالما سألته ذلك .

قال محمد بن عبد البر^(٣) : فأكدت بصيرته في ذلك ، وذكرته بكثرة
تمنييه للعافية منها .

قال لي بعض رواة الأخبار :

وكان في ذلك الوقت مرشحاً للقضاء رجل ، كان في أبويه عجمة ،
فلما عزل أسلم وولي الحبيب ، جعل أسلم يقول : الحمد لله الذي جعلني
من يقول : لا إله إلا الله ! يعرض بالرجل المرشح الذي كان
آبأوه عَجَمًا .

(١) الأصول : « حتى » وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٢) الأصول : أمر بعزله « والأصح ما أثبتنا .

(٣) الأصول : « عبد الله » وصاحب الخبر هو : محمد بن عبد البر

المتقدم ذكره في صدر الخبر .

ذكر القاضي أحمد بن محمد بن زياد المرّة الثانية

قال محمد : قال لي بعضُ رُواة الأخبار . وكان السببُ في إعادة الحبيب إلى القضاء ، أنَّهُ لما ولى أسلم القضاء أذلَّ الحبيب في نفسه وفي صنائعه ، واستقصى عليهم ، وركب إلى الحبيب بنفسه وهدم عليه حائطٍ مَشْنِيَتِهِ^(١) ، وأخرج منها إلى الطريق صفيين من شجر ، بما ثبت عنده ، فجعل نفسه الحبيب في الطلب ، فأول ما بدأ باستصلاح أمِّ وَاَلَدَ بدر ، فلما أصلح جانبها أصلحت له جانب بدر ، فاختلف إليه الحبيب مرَّات ، ثم قال له يوما : نسيتني يا أبا الغصن ، فكر في أوليائك وفي أعدائك ، ثم أين تجعلني وأين تجعل أسلم ؟ فلما عنه بدر وقال : لست بالله أغفل أمرك .

ثم تاهب أمير المؤمنين لغزوة من الغزوات ، فخرج الحبيب مُشِيَعاً لبدر ، فقال له : إن الأمير لا يعرفك بالمخالطة حق المعرفة ، ولكن كاتبه في هذه الغزاة ، ووال بالكتب ، ثم إذا كان القفْلُ^(٢) فاخرج ، وأبدر^(٣) الناس إلى التلقى بنا . ففعل ، فكتب وألح بالكتب وجووباً ثم خرج عند القفل فتلقى الأمير على مسيرة يوم ، فأمره الأمير ، فتقرَّبَ وواكب ، وأخلى له بَدْرُ موضع المواكبة ، وكان الحبيب كثيرَ الخبر ،

(١) المنية ، بالكسر : الضاحية (تاج العروس : منى)

(٢) القفل : الراجعون ، اسم جمع .

(٣) أبدر الناس : كن أسرعهم .

فاستولى بالحديث على الأمير نسقاً واحداً ، إلى منشيّة نصر ، فاستحيا
منه أمير المؤمنين ، وتسلّم في أمره مع بدر ، ثم ولّاه ذلك الوقت
القضاء ، وأظهر إسعاف أسلم بما كان يسأل من الاستعفاء .

قال محمد :

ولما عافى أمير المؤمنين - أعزه الله - أسلم بن عبد العزيز وعزله
عن القضاء ، أعاد أحمد بن محمد بن زياد إلى قضاء الجماعة وإلى الصلاة ،
فلما ولى تعنت^(١) أمناً أسلم بن عبد العزيز وامتحنهم في الودائع ،
واضطرمهم إلى إحضار ما بأيديهم من الأموال .

قال لى أحمد بن عبادة :

فلقد سررت إلى الحبيب ، وهو جالس في المسجد الجامع ، يمتحن
الناس ، ويكشفهم عن الأموال ، جلست ساعة ، ثم قمت عنه ، في حين
لا يقوم عنه قائم إلا بإذنه ، وبعد فصل من أمره ، فنظر إلى الحبيب
نظرة ، فأخبرني من كان إلى جنبه ، وقد^(٢) التفت إلى إذ قمت ، فقال :
ما أرى على الرجل في الديوان شيئاً ، يعنى مالا ، قال : فقلت :
ما أرى ذلك .

قال أحمد بن عبادة : ولم أشعر بعد أيام حتى أتى رسول القاضى
الحبيب يأمرنى بالإقبال إليه ، فأقبلت ، فقال لى : وجدت لك اسماً
في الديوان يقبض مال لیتيم ، ولم أجداك منه براءة ، قال : فقلت له :
الیتيم حتى رشيد ، وقد أطلقته من الولاية ، وبرئت له من جميع^(٣) ما كان
له عندى : فإن أتاك يدعى شيئاً مما كان عندى فهو المصدق بلا بينة ولا يمين

(١) تعنت : آذى .

(٢) الأصول : « قال » وما أثبتنا يتصل به الكلام .

(٣) الأصول : « بجميع » ويبدو أنه محرف عما أثبتناه .

فقال : ولا كل هذا . إنما كرهت أن يكون ذكرك في الديوان بقبض
مال بغير ذكر البراءة منه . ثم خرجت عنه .

قال محمد :

ولم يزل الحبيب قاضياً في المرة الثانية وصاحب الصلاة حتى توفي غير
معزول ، في سنة عشرة اثنى وثلاثمائة .

ذکر القاضی أسلم بن عبد العزیز المرّة الثانیة

قال محمد :

ولما تُوفّي القاضی أحمد بن محمد بن زیاد أعاد أمير المؤمنین - أطال الله بقاءه - أسلم بن عبد العزیز إلى القضاء ، وولى أحمد بن بقیّ بن مخلد الصلاة ، فكان أسلم بن عبد العزیز صَنِيع الحبيب فی الاستقصاء علی الأمانة ، فَوَقَّفَ أسلم بن عبد العزیز أمانة الحبيب مَوْقِف الامتحان والاستقصاء .

قال محمد :

وكان أسلم فی قضائه هذا الثانی قد أدركه الوهن ، وأخذت منه السنُّ ، فانكسر بعض الانكسار ، غير أنه [كان] ^(١) باقى الفطنة ، مجتمِعَ الفهم ، يُقرأ عليه العلم ، وتعرض عليه الكتب ، من فنون الحديث ، وأبواب الفقه ، فلا يزول عنه من الصواب شيء ، ولا يشذ عنه من المعانى ما يشذ على مثله من أهل الكبرة والسن ، كان كذلك حتى كَفَّ بصره ، وضعف بدنه ، وعجز عن التصرف ، فعزله أمير المؤمنين - أعزه الله - عن القضاء سنة أربع عشرة وثلثمائة ، ثم كانت وفاة أسلم بعد ذلك إلى سنين سنة سبع عشرة وثلثمائة .

(١) تکملة يستقیم بها الكلام .

ذكر القاضي

أحمد بن بقی بن مخلد بن یزید

قال محمد :

ولما عزَلَ أمير المؤمنين . أعزّه الله : أسلم بن عبد العزيز عن
القضاء ، ولى أحمد بن بقی بن مخلد قضاء الجماعة ، وأقرّه على الصلاة التي
كان عليها ، وذلك في سنة أربع عشرة وثلثمائة ، فكانت مذهبهم محمودة ،
وسيرته حسنة ، وهدية جميلة ، وكان له من الوقار والإخبات^(١) ما بذّ به
أهل زمانه ، وفات فيه أهل عصره .

قال محمد :

جالست أحمد بن بقی زماناً ، فرأيتُه عاقلاً ، حصيفاً ، داهياً ،
أديباً ، وكانت له أخلاق كريمة ، وآداب لطيفة ، وكان يحسن ما يحاوله
قولا وفعلا ، وكان مجيدا في لفظه ، مبينا في كلامه ، بليغ اللسان في
خطبته ، طويل القلم في كتبه ، وكان أنيس المجلس ، كثير الحكايات .

قال محمد :

وسمعت ولى عهد المسلمين — أبقاه الله — وقد ذكر أحمد بن بقی ،
فوصف من صدقه وتواضعه ، فقال فيما ذكر : قال لي الحاجب موسى
ابن محمد بن حدير : سألت أحمد بن بقی عن نسبه وولائه فقال : ولاؤنا
لامرأة من أهل جيّسان .

(١) الإخبات : الخشوع .

قال محمد :

ثم يجعل ولي العهد — أبقاه الله — يعجب من صدقه وإنصافه، وقال :
لو شاء لادّعى أشرف الأنساب ، ثم لا يجد في ذلك مسكناً .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس عن موسى بن محمد الحاجب ، أنه قال : عافانا الله
من أحمد بن بقسى أنه مال إلى الآخرة وطريقها ، ولو مال إلى الدنيا
لشغلنا بأنفسنا .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن بقسى منذ كان في حدّاته سنّةً مُعظماً ، موسوماً
بالخير ، معروفاً بالفضل ، ظاهر السؤدد ، شاوره الأمير عبد الله ابن محمد
وهو ابن خمس وعشرين سنة .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم يحكى ، قال :

أرسل الأمير الوزراء في أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى ، وفي
أبي عبد الله أحمد بن بقسى بن مخلد ، فشاورهما في بعض الأمر ، ثم
انصرفا ، فلما خرجا جعل نصر^(١) بن سلامة يحدث أصحابه ويعجبهم من تغير
الأحوال ، وتقلب الأمور ، فقال لهم : أتاني عبيد الله بن يحيى ، وأنا
قاض في حياة بقسى بن مخلد ، فقال : لست والله أرى أن تستشيرني مع
بقي بن مخلد في مجلس واحد ، فتجعلني له نظيراً ، ولكن إذا أردت شيئاً
من ذلك ، فأرسل فيه في وقت ، وأرسل في وقت آخر ، ولا تجمعنا
جميعاً ، قال : فلم يمت حتى أرسل الأمير في ولد بقسى بن مخلد ، وفي
عبيد الله ، فشاورهما في مجلس واحد .

(١) الأصول : « بشر » صوابه ما أثبتنا .

قال محمد :

وكانت أخلاق أحمد بن بقي من أخلاق أبيه بقي بن مخلد في المداراة والإغضاء ، وحسن الإقبال على عدوّه ، وجميل الصّفح عن ظالمه .

قال لي عبد الرحمن بن أحمد بن بقي :

كنتُ بحضرة أبي ، حتى أتى من يحيى عن رجل ، أنه رفع فيه بطاقة إلى أمير المؤمنين - أعزه الله - فجعل يدعو لذلك الرافع بالتوبة ، ويتحجّن عليه من المآثم .

قال خالد بن سعد :

أتيت أحمد بن بقي نهار جنازة ولد الحبيب بن زياد ، فقال لي : هل لك رأى في السّير إلى دار المتوفّي ؟ قلت : نعم . فصحبته ، وخرج وهو ماش من المسجد إلى دار الميت ، فلما أتينا بعض الطريق ، قال : لقد أذاني هذا الميت ، وقد صبرتُ عليه إذ كان في الدنيا فلم أكفّه ، وهو اليوم أحوجُ إلى أن أصبر عليه ، أشهدك أنه في حلٍّ من كل ما فعل بي .

قال محمد :

وكان أحمد بن بقي رموف القلب ، رفيق العقوبة ، وله في مثل هذا المعنى خاصة أخبارٌ معجبةٌ مستجملة ، بخروجها عما عُرِف من أخلاق الناس وأخبارهم .

قال لي أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ، وفرج بن سلمة البلوي .

حضرنا أحمد بن بقي في مجلس نظره ، وقد أتته امرأة ، تخاصم زوجها ، فاستطالت عليه بلسانها ، وأذته بصلفها ، فنظر إليها ، فقال لها : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت المرأة شيئاً ، ثم عاودت الصلف ، فقال لها القاضي : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت ، ثم عاودت

الصلف ، فعطف عليها أحمد بن بقی فجعل يقول لها : أنت ظالمة ، أنت ظالمة ، ثلاثا ، ثم قال لها : ألم أخوفك من قبل هذا ؟
قال : فهذه كانت عقوبته للمرأة على صلفها أن قال لها : أنت ظالمة ، ثلاثا .

قال لي فرج بن سلمة :

وكنيت قد حضرت مجلس أسلم . وقد أتته امرأة تسأل الفرض على زوجها ، فقال أسلم لأبي عبد الله محمد بن قاسم : أفرض لها ، ففرض ، فأبت المرأة القبول^(١) واستقبلت الفرض ، وقالت : ما ثم أحد يتكلم لله . فدعا أسلم ، لما سمع صلفها ، بالسوط ، ثم أمر بها فقتنع رأسها أسواطاً ، فزادت المرأة أن جعلت كسُمها على رأسها حتى فرغ [من]^(٢) الضرب ، فلما فرغ [منه]^(٣) قالت^(٤) للقاضي : أحسنت يا قاضي ، هكذا يفعل القضاة بالله الذي لا إله إلا هو لا قبلت هذا الفرض الذي فرض لي .

قال فرج بن سلمة : فلما شهدت يفعل أحمد بن بقی بالمرأة شكرته على رفقته ورأفته ، وحرّكيت له ما فعل أسلم بن عبد العزيز فقال : الله المستعان ، وأسأل الله التوفيق .

وسمعت الناس على الاستنفاضة يقولون :

لم يَسْتَقْنَع^(٥) أحمد بن بقی في طول أيامه أحداً بسوط ، حاشى رجل واحد يسمى منخّل ، فإنه كان شر مخلوق ، فضربه أسواطاً ، فلم يبق أحده إلا لشكر لأحمد بن بقی فعله فيه .

-
- (١) الأصول : « من القبول » والفعل يتعدى بنفسه .
(٢) تكملة يستقيم بها المعنى .
(٣) تكملة يستقيم بها المعنى .
(٤) الأصول : « قال » ولا يستقيم بها الكلام .
(٥) لم يقنع : لم يضرب .

حدثني أصبغ بن عيسى الشقاق ، قال :
كنت مقبلاً يوماً مع القاضي أحمد بن بقي ، حتى عنّا سكران
يمشي بين أيدينا ، فجعل أحمد بن بقي يمسك من عنان دابته ، ويتفرق
في سيره ، يرجو أن يغيب عنه السكران أو يحس به ، فيذهب مسرعاً ،
فكان كلما تفرق القاضي وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضي بد من أن
يقرب منه وينظر إليه .

قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضي أن ينتشب^(١) في مثل
هذا ، ورقة قلبه أن يقرع أحداً بنسوط ، فقلت في نفسي : ليت شعري
كيف تصنع في مثل هذا يا ابن بقي ؟ فلما قربنا من السكران تعاطف^(٢)
على القاضي ، فقال : مسكين هذا السائر ! أراه مخبول العقل ، قال : فقلت
له : بلية عظيمة ، فجعل يستغفر الله ، ويسأله أن يأجر المصاب
في عقله .

قال أصبغ :

وكنْتُ عنده يوماً أنا وكاتبه ابن حصن ، حتى أتاه رجلٌ محتسب^(٣)
برجلٍ به رائحةُ الشراب ، وادعى^(٤) المحتسب ، فقال القاضي لكاتبه ابن
حصن استنكهم^(٥) فاستنكهم ، فقال له : نعم ، عليه رائحةُ الشراب .
قال : فظهر بوجه الكراهية لذلك ، ثم قال لي : استنكهم أنت ،
ففعلت ، فقلت له : أجد رائحةً ولا أدري إن كانت رائحة مسكرٍ أم لا .

(١) انتشب : علق .

(٢) الأصول : «تعاطف» .

(٣) المحتسب : من يتولى منصب الحسبة ، وهي الاشراف على

الشتون العامة .

(٤) الأصول : «ودعا» ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٥) استنكهم : شم رائحة فمه .

قال : فتهلل وجهه ، ثم قال : يطلق ، فلم يثبت عليه شيء .
قال محمد :

وقد قدمت عذر من أغضى عن حد السكر من القضاة ، في باب ذكر
محمد ابن زياد القاضي ، فأغنى عن ذكره في هذا الموضع .
قال محمد : أخبرني بعض إخواني ، قال :

كنت حاضراً عند أحمد بن بقي ، فأمر بحبس رجل ، ثم قال لمن بين
يديه سرأ . أطلبوا إلى في إطلاقه ، فجعل القوم يطلبون إليه ، فأسمعهم ،
وقال للمأمور بحبسه ، لولا طلب^(١) من حضر إلى حبستك .

قال لي عبد الرحمن بن أحمد بن بقي :

وكان إذا طرقة ضيف ليلا لم يذبح له شيئاً من الطير ، وقال : الليل
أمان لها ، ويقتصر على العسل والسمن والبيض ، وماشا كل ذلك ،
فيقرُّ به إلى الضيف .

قال محمد :

وكان حسن الانتقاد والفظنة في الوثائق ، كان لا يوقع شهادته في
وثيقة حتى يقرأ جميعها ، من أولها إلى آخرها ، وكان يصبر على ذلك ،
وإن كان قائماً على قدميه .

قال لي أحمد بن عبادة الرعيني :

كتبت لنفسي وثيقة على رجل بمال ، وذكرت في الوثيقة سبباً
اضطرت فيها إلى ذكره ، وكانت الوثيقة بذكر ذلك السبب واهنة ،
وأرسلت شريكاً لي ليوقع فيها الشهادات على الرجل ، قال : فأتى بالوثيقة
إلى أحمد بن بقي ليشهده فيها ، فلما قرأها ووقف على وهنها ، كره أن

(١) الأصول : « طلبية » والطلبية : المطلوب والحاجة .

يوقع شهادته على ذلك الوهن ، وكره ألا يوقع شهادته فيسخط الصديق بانقباضه عنه ، وكره أن يذبه المشهود عليه بوهنها .

قال : فرفع رأسه إلى الرجل ، فقال له : أتشهدني أن لفلان عندك كذا وكذا مثقالاً إلى أجل كذا وكذا ؟ قال له : نعم ، فعقد شهادته على هذا اللفظ بعينه لا غير .

قال محمد : قال لي بعض رُواة الأخبار :

كان محمد بن إبراهيم بن الجباب صاحب الوثائق ، فأمر أحمد ابن بقي بالتعقب عليه ، فكان يتعقب فجعل ابن الجباب يوماً يقول : من أين يتعاطى ابن بقي أنه أعلم بالوثائق مني ؟ فبلغ لفظه ابن بقي ، فسكت عنه حتى كتب وثائق ، ثم أتى بها أحمد ابن بقي للعرض ، فاستفرغ ابن بقي فيها جهده ، حتى أخذ عليه مواضع أبانها له ، قال له : أبدلها . فأبدلها ، ثم أتى بها ، فانتقد عليه أيضاً فيها ، فأرسل إليه ابن الجباب : أنا أقرُّ لك أنك أعلم بها مني ، وأشهد بذلك لك ، فكدغني من كثرة هذا الكشف والبحث وإلا حلفتُ ألا أكتب وثيقة ،

فتركة ابن بقي بعد ذلك وسامحه .

قال لي أحمد بن عبادة :

وكنتُ عند ابن بقي يوماً ، وعنده رجلٌ غير نبيه الاسم ، ولا مشهور العدالة ، ولم يكن عنده غيرنا ، وجعل رجلٌ دخل عليه يقول له : أشهدني أبا عُمَرَ ، وأبا فلان - الرجل الثاني - الذي كان معي جالساً ، وجعل ابن بقي يلبوذي^(١) عن الإجابة ، وألحَّ عليه الرجلُ إلحاحاً شديداً .

(١) الأصول : « له » ولا يستقيم بها المعنى .

قال أحمد بن عبادة : فقلت في نفسي : أترأه يجعاني نظيراً لهذا
الجالس فيشهدنا جميعاً على شيء يحكم به ؟

قال : فرفع رأسه إلى الطالب ، فقال له : إني أعرف انقباض أبي
عمر عن هذه الشهادات ، ولكن أدخل إلى فلانا أشهده مع أبي فلان ،
وأمر بإدخال رجل من شاكاة الرجل الجالس .

قال محمد :

وكان شأن أحمد بن بقي ، فيما يتخاصم عنده فيه ، أن ينفذ الظاهر
البين من الأمور ، ويستعمل الأناة والتؤدة فيما التبس عليه ، وكان عنده
فيه شك ، حتى تظهر له الحقيقة ، أو يصير المتخاصمان إلى التصالح
والتراضي .

قال لي عبد الرحمن بن أحمد بن بقي :

أتى رجل إلى أمير المؤمنين - أعزه الله - ذكرك في مجلسه بلين
الجانب ، والتطويل في الأحكام ، فقال : أعوذ بالله من لين يؤدى
إلى ضعف ، ومن شدة تبلغ إلى عنف .

ثم جعل يذكر فساد الزمان ، واختيال الفجار ، وما يحدث من
الأمور المشتبهة التي لا تتبين له حقيقتها ، ولا يكشف له وجهها ، ثم قال :
قد اشتبه على عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خصومة قوم طال
نظره فيها ، فسكره أن يحكم مع الاشتباه ، فأمرهم بابتداء الخصومة
من أولها .

قال محمد : وذكر لي بعض أهل العلم ، قال :

اختصم إلى أحمد بن بقي رجلان ، فنظر إلى أحدهما يحسن ما يقول
ونظر إلى الآخر لا يدرى ما يقول ، ورآه تتوسم فيه ملازمة الحق ،

فقال له : يا هذا ، لو قدمت من يتكلم عنك ؟ وأرى صاحبك يدري ما يكلم ، فقال له : أعزك الله ، إنما هو الحق أقوله كائنا ، فقال : ما أكثر من قتله قولُ الحق !

قال :

وأراه رجلاً يوماً ، فقال له : ياسيدي ، الحاجب موسى بن محمد يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد عرفت محبتى لك ، وشحى بجميع أسبابك ، وقد دار عندك على يحيى بن إسحاق ما قد علمت من المخاصمة ، وقد شهدت^(١) عندك^(٢) بالبينة العذول ، وتأنيت عن الحكم عليه ، وعن إنفاذه ، بما شهدت به البينة ، فقال لرجل : تبلغ الحاجب عنى السلام ، وتقول له : إن محبتنا إنما كانت لله ولوجهه ، ويحيى بن إسحاق وغيره فى الحق سواء ، وقد دخل على أرتياب ، ولا والله ما أحكم على يحيى بن إسحاق بشيء ، حتى يتضح عندى أمره بنور ، كاتضح الشمس فى الدنيا ، فإنه لا يجبرنى أحد من يحيى بن إسحاق إن جأنا^(٣) الخصومة بين يدي الله .

قال الرجل المرسل^(٤) : فحكيت كلام القاضى للحاجب ، وهو ساكت لا يقول شيئاً ، وأبو عمر أخوه الوزير يبدى ويعيد فى ذلك ، ثم تحول إليه الحاجب ، فقال له : يا أخى ، القاضى والله رجلٌ صالح ، لا زال بخير ما كان هو وشبهه بين أظهرنا^(٥) ، ولما نزل بيحيى بن إسحاق . ألم

(١) الأصول : « شهدت » .

(٢) الأصول : « البينة » .

(٣) الأصول : « جأنا » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . وجأناه :

ادعى عليه جنابة .

(٤) الأصول : « المرسل » تحريف .

(٥) الأصول : « ولم » .

نسكن نأمن هذا ونطمئن إليه ؟ والله ما زاده عندي إلا محبة
واعتقاداً .

قال محمد :

وكان أمير المؤمنين - أعزّه الله - واثقاً به ، ومجلاً له ،
وعارفاً بحقه .

ولم يُعزَل عن القضاء حتى تُوفِّي سنة أربع وعشرين وثلثمائة وهو
ابن أربع وستين سنة .

(١) الأصول : « رادة » براءة مهملة ، تصحيف .

ذكر القاضى

أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصمى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن بقر استقضى بعده أمير المؤمنين - أعزه الله - أحمد بن عبد الله بن أبى طالب غُصن بن طالب بن زياد بن عبد الحميد ابن الصباح بن يزيد بن زياد الأصمى ، وأدخله على نفسه ، وعهد إليه بما يعهد بمثله أئمة العدل ، وولاية الحق ، من إعظام الخطة وصيانتها ، وإيثار الحق وإمضائه ، وتنفيذ الأمور إذا استبان ، والأناة فيها إذا اشتبهت ، ووقفه على حدود القضاء ، وسياسة الأحكام ، وما يجب للقاضى وعليه فى كل حال قولاً وفعلاً .

وولّى أمير المؤمنين - أعزه الله - عند ذلك الصلاة محمد بن عبد الله ابن أيمن ، فكان أحمد بن عبد الله قاضى الجماعة ، ومحمد بن عبد الملك ابن أيمن صاحب الصلاة .

قال محمد :

وكان أحمد بن عبد الله شريف البيت ، نبيه الاسم ، صموتاً وقوراً مهيباً ، قد تأدّب فى القضاء ، وجرب الأمور ، ومن قبل ذلك فى مُبتدأ أمره كان قد ولاه أمير المؤمنين السوق والنظر فى أموال بعض كرائمته وقلده أسباب الأمانات فى بعض الكور ، وولاه قضاء كورة البيرة ، فكان بها حتى نقله أمير المؤمنين - أعزه الله - إلى قضاء الجماعة بقُرطبة ، فكان قاضياً سنتين وشهوراً يسيرة ، ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلثمائة .

ذكر القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب ، أمر أمير المؤمنين —
أطال الله بقاءه باستقدام محمد بن عبد الله بن أبى عيسى كثير بن وسلاس
المصمودى ، كان قاضياً على كورة البيرة قبلها ، وأتى محمد بن عبد الله
ابن أبى عيسى باب أمير المؤمنين — أعزه الله — وأدخله على نفسه ،
وشافه بالخطاب ، وأعلمه باختياره إياه ، وولاه قضاء الجماعة ، وعهد
إليه ، ووعظه ووصاه .

قال محمد : قال لى أبو عمر أحمد بن عبادة الرعيني .

وصف لى القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ما خاطبه به أمير
المؤمنين — أعزه الله — إذ ولاه القضاء ، من عهده إليه ، ووعظه له ،
ووصيته إياه ، وما حدث له فى ذلك من الحدود ، ورسم له من الرسوم ،
وما فقهه فيه من أسباب القضاء ، ووقفه عليه من وجوه الأحكام .

قال أحمد : فقلت : لو أن أباك كان حياً ، واجتهد فى عظمتك ، ما بلغ
من النصح لك هذا المبلغ .

قال محمد :

وأقر أمير المؤمنين — أعزه الله — محمد بن عبد الملك بن أيمن على
الصلاة زماناً ، فكان محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ، القاضى وابن أيمن
صاحب الصلاة ، حتى ضعف بدن ابن أيمن ، وذهبت قواه ، فاستعنى من

الصلاة فعوفى ، وجمع أمير المؤمنين — أبقاه الله — الخطتين جميعاً :
القضاء ، والصلاة ، لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى .

قال محمد :

ومن قبل ذلك لم يزل محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في حداثة السن ،
وباكورة العمر ، معروف الحق ، ظاهر الشؤدد ، وطالبا للعلم .

سمع أحمد بن خالد الجباب ، سمع منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ،
ثم تحمل حاجتاً سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، فلقى شيوخ القيروان : البجلي محمد
ابن علي ، وأحمد بن أحمد بن زياد ، ومحمد بن اللبّاد ، وإسحاق ابن
نعمان ، وسمع أيضاً بمصر من غير ما رجل من شيوخنا ، ولقى بمكة
أبا بكر المنذر ، والعقيلي وغيرهما^(١) ، وانصرف إلى الأندلس سنة أربع
عشرة وثلثمائة .

وكان أحمد بن بقي ، قاضي الجماعة ، يشاور محمد بن عبد الله ابن
أبي عيسى مع سائر الفقهاء .

وقلده أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — غير ما أمانة ، فقام
بما حمل ، واكتفى بما استكفى ، ثم ولاه قضاء كورة جيان ، وكورة
البيرة ، وكورة طليطلة ، وامتحنته في كل وجه ، وعجمه في كل معنى ، وكفى
بمحنة أمير المؤمنين — أعزه الله — واختباره ، فألفاه خالصاً ، ووجده
ناصحا ، فلما شهدت له عنده التجربة بدرجة الاستحقاق ، قلده قضاء
الجماعة ، على حسب ما نصصت متقدماً ، فتولاها بسياسة محمودة ، من
تنفيذ الحقوق ، وإقامة الحدود ، والكشف عن البيئات في السرّ ،
والصدع بالحق في الجهر ، لم يستمله بخادع^٢ ، ولم يعمل فيه كيد مخاتل ،

(١) الأصول : « وغيره » .

ولا خاف أهل الحُرْم ، ولا داهن أهل النِّمَّة ، ولا أغضى عن وجوه
أهل الخِندمة في عظام الأمور ، وكبائر الأشياء ، فضلاً عن أصاغر
الأسباب ، ومحقر الحوادث .

قال لي أحمد بن عبادة :

كنت مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى يوماً في مقبرة الربض ،
حين^(١) نظر إلى شيء من آلة اللّهُ مع بعض الوصفاء ، فأمر بكسره ،
فقليل له : إنه لفلان ، وسمى له رجلاً عظيماً ، فلم يلتفت إلى ذلك
ولا ثناه عما أراد من كسره .

قال محمد :

وللقاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في باب الصلاة ، وإيثار الحق
وإقامة الحدود على وجوه الناس من أهل الحُرْم ، أخبار كثيرة ،
مشهورة في العامة ، معروفة في الخاصة .

قال محمد :

جالست محمد بن عبد الله بن أبي عيسى غير ما مرة فرأيتَه محمود
التصرف ، جميل المذاهب ، كريم الأخلاق ، ثم ولى بعد ذلك قضاء
الجماعة ، فما رأيت أحداً من عقلاء إخوانه يلومه في حوالة^(٢) ، ولا يعذله
في تغير ، بل يصفونه من ضد ذلك بما هو أولى بأهل المروءة ، وأشبهه
بصفة أهل الكمال .

قال محمد :

ولمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى بعد هذا كلاً نصيباً وافراً من

(١) الأصول : « حتى » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) حوالة ، أى تحول .

الأدب ، وحظ كامل من البلاغة ، مخاطبا بلسانه ، ومُسكاتبا بقلبه ، وحقّ
لخيرة^(١) أمير المرمنين ، وقاضى بيضته ، وحاكم مصره ، أن يكون
موصوفا بأكرم الصفات ، وموسوماً بأفضل الآلات .

قال محمد :

ثم أخرج محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في صدر سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة . فلما جاوز طليطلة ، ونزل بقريّة تسمّى نحارس ، من عمل
طليطلة ، قريبا منها ، أدركه أجله ، فتوفى فيها يوم السبت ، لانسلاخ
صفر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة .

وكان مولده — فيما كان يذكر — في ذى الحجة . لثلاث عشرة ليلة
خلت منه ، من سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودُفن بطليطلة ، رحمه الله .

(١) الخبرة ، بالفتح ، وبكسر ففتح : ما يختار .

(٢) مكان هذه النقط كلمة أخرى استعصت على القارئ ، وما أثبتناه
يستقيم به الكلام .

ذكر القاضى منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى

قال محمد :

ولى مُنذر بن سعيد يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قضاء الجماعة ، والصلاة فكان صُلِباً ، صارماً ، غير هيَّاب ولا جَبان ، ففضى باقى أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن — رضى الله عنه . فلها مات أمير المؤمنين الإمام الفاضل — رحمه الله — وولى الامام الحكم بن عبد الرحمن — أبقاه الله — أقرَّ مُنذر بن سعيد على خُطْبَتَيْهِ ، فلم يزل قاضياً وصاحب صلاة .

وكانت صلواته فى جامع الزَّهراء طول ما قضى من أوَّل ولايته القضاء إلى آخرها .

ثم تُوفى ليلة الخميس ، لليلتين بقيتا لذي القعدة ، آخر سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ذکر القاضی محمد بن إسحاق بن السليم

قال محمد :

ثم ولى محمد بن إسحاق بن السليم يوم السبت ، لخمس عشرة ليلة
مضت من المحرم سنة ست وخمسين وثلثمائة ، فكان عنده من الفضل في
عليه وفهمه ، وحسن النظر في الأمور ، وجميل الخلق في المعاشرة ما
هو مأثور عن القضاة المتقدمين .

وبقى محمد بن يحيى على خُطة الصلاة بقرطبة إلى أن مرض ،
فاستعفى ، فعُوفى .

وولى الصلاة بقرطبة القاضى محمد بن إسحاق بن السليم ، وذلك
يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة .

تم السّفْر بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على محمد نبيه وعبيده وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفسّر آخ منه فى صبيحة ، بل فى الثلث الأخير ، من ليلة الخميس السادس والعشرين لشهر ربيع الأول من سنة خمس وتسعين وستمائة .

وكتبه بيده العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر له من جميع ذنبه عبد الله بن محمد بن على اللواتى ، تغمده الله بعفوه وغفر له ولآبائه ولجميع المسلمين أجمعين .

فرحم الله من دعاه كاتبه وكاتبه وقارئه ومستمعته بالتوبة والمغفرة لهم ولجميع المسلمين أجمعين .

. . .

ملكه وكسبه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتى الشير فى طنجة بابن بطوطة عفا الله عنه وتاب عليه .

ثم ملكه وكسبه بأرض برتقال أعادها الله ، عمر بن أحمد بن يوسف المقدسى ، ثم ملكه بعده ابنه إبراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه الشير بصفرك ، غفر الله له ، عام خمسة وسبعين بعد ثمانمائة .

فهارس الكتاب

وتتقسم :

- ١ - فهرست التراجم .
- ٢ - فهرست الأعلام .
- ٣ - فهرست القبائل .
- ٤ - فهرست الأماكن .
- ٥ - فهرست القوافي .
- ٧ - فهرست الكتب .
- ٨ - فهرست المراجع .
- ٩ - الخطأ والصواب .

(١) فهرست التراجم

- أبان بن عيسى بن دينار ٣٤ - ٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣
أبراهيم بن العباس القريشى ٣١ ، ١١٥ ، ١١٦ - ١٢٠
أبراهيم بن محمد ٣٢ - ٣٣
ابن بشير = محمد بن بشير المعافرى
ابن طريف = عبد الرحمن بن طريف اليحصبى
ابن عمران = مصعب بن عمران
ابن معمر = يحيى بن معمر
ابن بطوطة = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتى
أبو الجعد = أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد
أبو خالد = سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقى أبو خالد
أبو عبد الله = أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الله
أبو عقبة = الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة
أبو عمرو = معاوية بن أبى أحمد صالح بن عثمان الخضرنى أبو عمرو
أبو غالب = عبد الرؤوف بن الفرغ أبو غالب
أبو محمد = يحيى بن يحيى أبو محمد
أبو معاوية اللخمى = عامر بن معاوية بن عبد السلم أبو معاوية اللخمى
أحمد بن بقى بين مخلد بن يزيد أو عبد الله ٢٢٢ - ٢٣١ ، ٢٣٢
أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمى ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٤٦
أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصبهى ٢٣٢ ، ٢٣٣
أحمد بن محمد بن زياد اللخمى = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد
اللخمى
أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد ٢١٢ - ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٥
الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة ١١٠ - ١١١
الأصبهى = أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصبهى

الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى

بشر بن قطن ٩٩

حامد بن عبد اللطيف الرعيني ١٠١

الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٤

٢١١ ، ١١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ - ٢٢١

الحبيب بن زياد = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي

الحضرمي = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الخشني = محمد بن عبد السلام الخشني

زياد بن عبد الرحمن ٢٨

سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي أبو غالب ١٣٥ - ١٤١

سعيد بن محمد بن بشير ٢٩ - ٣٠ ، ٨٩ - ٩٢ ، ١٠٢

سليمان بن أسود الغافقي ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ - ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣

١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥ -

عامر بن معاوية اللخمي أبو معاوية ٥٦ ، ١٨٢ - ١٨٥

عبد الرحمن بن طريف اليحصبي ٦٤ - ٦٦

عبد الرؤوف بن الفرغ أبو غالب ٣٦ - ٣٧

عبيد الله بن موسى الغافقي ١٠٠

عثمان بن أيوب بن أبي الصلت ٣١ - ٣٢

على بن أبي بكر الكيلاني يوانش ١٢٤

عمر بن شراحيل المعافري ٦١ - ٦٣

عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ - ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،

١٧٨

عنبرة بن فلاح ٤٤ - ٤٥

غناة عبس = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الفرج بن كنانة ٩٣ - ٩٨

القبعة = عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة

قطن بن جزء التميمي ٩٩

محمد بن اسحاق بن السليم ٢٨٨
محمد بن بشير المعافري ٢٨ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ - ٨٨ ،
٨٩ ، ١٠٢

محمد بن تميم بن حامد الرعيني ١٠٠
محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ - ١٣٤
محمد بن سلمة الكيلاني ١٩٣ - ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٤
محمد بن عبد السلام الخشني ٣٣ - ٣٤
محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٣٣ - ٢٣٦
محمد بن عيسى الأعشي ٢٨ - ٢٩
مسرور بن محمد بن بشير المعافري ١٠٢
مصعب بن عمران ٢٧ - ٢٨ ، ٦٧ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٨٦
معاذ بن عثمان الشيباني ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٧
معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو عمرو ٥٠ - ٦٠ ،
٦١ ، ٦٢

معاوية بن صالح = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان بن عمرو
منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي ٢٣٧
مهاجر بن نوفل القرشي ٤٦
مهدى بن مسلم ٣٨ - ٤٣
موسى بن زياد = موسى بن محمد بن زياد
موسى بن محمد بن زياد ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٣
النضر بن سلمة بن وليد الكيلاني ٨٠ ، ٨٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ - ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

اليحصبي = عبد الرحمن بن طريف اليحصبي
يحيى بن معمر الالهاني ٣٠ ، ١٠٣ - ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٥ ، ١١٦
يحيى بن يحيى أبو محمد ٣٠ - ٣١ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٣

يحيى بن يزيد التجيبي ٤٧ - ٤٩
يخامر بن عثمان الشيباني ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤
يوانش = علي بن أبي بكر الكيلاني

(٢) فهرست الأعلام

- ابراهيم بن حسين بن خالد ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
ابراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف ٢٣٩
ابراهيم بن لبيب ١٥١
ابراهيم بن محمد بن باز ٢٣
ابن أبي أيوب القرشي ١٥٨
ابن أبي ربيع = سليمان بن محمد بن أبي ربيع
ابن أبي شيبه = أبو بكر بن أبي شيبه
ابن أبي عيسى ١٠٦
ان الأعرابي ٥٤
ابن الأغبس = أحمد بن بشير بن الأغبس
ابن انتونيان (القومس) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
ابن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن
ابن بزيع = محمد بن بزيع القيم
ابن الجباب = محمد بن ابراهيم بن الجباب
ابن حبيب = عبد الملك بن حبيب
ابن خالد = عبد الله بن خالد
ابن رحمون ١٨٨
ابن الزراد = محمد بن أحمد بن عبد الملك
ابن زونان = عبد الملك بن زونان
ابن شراحيل (العجيزة) ١٩٦ ، ١٩٧
ابن الصفار = محمد بن غالب بن الصفار
ابن عائشة القرشي ١٤٧
ابن عبد الحكم = محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن عمار ١٦٧
ابن عمر بن عبد العزيز ١٦٤

ابن عمران الطلحي ٨٦
 ابن عيسى ١١٧
 ابن فطيس = عيسى بن فطيس
 ابن فطيس = محمد بن فطيس
 ابن قاسم = ابن القاسم
 ابن القاسم ٨٤ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٦٦
 ابن قلزم ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩
 ابن لبابة = محمد بن عمر بن لبابة
 ابن مغيث = أحمد بن مغيث
 ابن الملون (الفقيه) ١٦٤
 ابن وضاح = محمد بن وضاح
 ابن اليتيم = رحيم بن عبد الرحمن ابنة عبد الرحمن بن معاوية ١٤٦
 أبو بكر بن أبي شيبة ٥٢ ، ٥٤
 أبو بكر التجيبي ٢٣
 أبو بكر الصديق ٣٣ ، ١٣١
 أبو الحسين زيد بن الحباب = زيد بن الحباب العكلي أبو الحسين
 أبو خالد = هاشم بن عبد العزيز أبو خالد
 أبو الخطار = حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار
 أبو الدرداء ٥٣ ، ٥٤
 أبو الزاهرية = حدير بن قريب أبو الزاهرية
 أبو زيد بن إبراهيم ١٣٢
 أبو سعيد = محمد بن عمر أبو سعيد
 أبو سعيد الأشح ٥٢
 أبو صالح = أيوب بن سليمان أبو صالح
 أبو العباس = أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ أبو العباس
 أبو العباس = وليد بن إبراهيم بن لبيب أبو العباس
 أبو العباس بن الفرغ بن كنانة ٩٣ ، ٩٨
 أبو عبد الله = مالك بن أنس أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن وضاح أبو عبد الله

أبو عبد الله الفقيه ١٣١
 أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ٥٢
 أبو عثمان العراقي ١٣٥
 أبو عمر ١٨٣
 أبو عمرو بن عمرو بن عبد الله ١٧١
 أبو عمرو = أحمد بن عبادة الرعيني أبو عمرو
 أبو غالب بن كنانة ٣٦
 أبو الغمر بن فهد ٢٠٢
 أبو محمد = قاسم بن أصبغ أبو محمد
 أبو محمد = مسلمة بن زرعة بن روح
 أبو محمد بن عتاب ٢٣
 أبو مروان = عبد الله بن يحيى
 أبو مروان = عبد الملك بن جهور أبو مروان
 أبو مروان = عبد الملك بن حبيب أبو مروان
 أبو يحيى (صاحب الأحباس) ١٩٤
 أبو يحيى بن خميس ١٨٣
 أحمد بن أبي خالد ١٦٥
 أحمد بن خيثمة ٥١
 أحمد بن أيمن = أحمد بن محمد بن أيمن
 أحمد بن بشير بن أغبس ٨١
 أحمد بن بقى ٨٢ ، ٨٩ ، ١١١
 أحمد بن حزم ١٦
 أحمد بن خالد ١٦٣
 أحمد بن خالد الجباب ٣٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٢١٤
 أحمد بن زياد ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩
 أحمد بن سعيد ٥٧
 أحمد بن عبادة الرعيني ٣٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤

أحمد بن عبد الله بن أبي خالد ١٣٦
أحمد بن عبد الملك ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٦٩
أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ أبو العباس ٣٨ ، ٤٣
أحمد بن فرج بن منتيل ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٤
أحمد بن محمد بن أيمن ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٤
أحمد بن محمد بن زياد ٦٤
أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ٥٨ ، ٨١ ، ١٧٤ ، ١٨٤
أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ١٤٣ ، ٢٢٤
أحمد بن مغيث ٢٧
أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ٥٨
أرميا ١٨٤
اسحاق بن يحيى ١٢٩
أسلم بن عبد العزيز ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٧
اسماعيل بن عثمان بن أيوب ٣٢
اسماعيل بن يحيى المزني ٢١٢
أسود بن سليمان ١٨١
الأشج = أبو سعيد الأشج
أشهب بن عبد العزيز ١٠٣
أصبغ بن خليل ٩٠ ، ١٣٢
أصبغ بن عيسى الشقاق ١١٦ ، ٢٢٦
أصبغ بن الفرغ ١٠٦ ، ١٨٣ ، ١٨٥
الأعرج = عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج
الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى
الهان بن مالك ١٠٣
أم الأصبغ بنت معاوية ٥٢ ، ٦٤
أم العباس بنت معاوية ١٥٣
أمية بن عيسى ١٥٨ ، ١٦٩
أيوب بن سليمان أبو صالح ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٤
بزناب (غلام الحكم) ٦٨
بقي بن مخلد ٣٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢

بكر بن حماد القسام ١٨٠
 بلج بن بشر ٤٨
 جبير بن نفيير ٥٣ ، ٥٤
 جعفر المتوكل ١٣٥ ، ١٣٦
 جعفر بن يحيى بن مزين ٢٠٩
 حارث بن أبي سعد ١٠٦
 الحارث بن مسكين ١٣٥ ، ١٣٦
 حبيب القرشي ٦٥ ، ٦٦
 حبيش بن نوح ٩٧
 حدير بن كريم أبو الزاهرية ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧
 حرب ٥٤
 حرملة ٤٤
 حسام بن ضرار الكلبى أبو الخطاب ٤٨
 حسان الفتى ١٣٢
 حسين بن الأسوار بن عقبة ١١٠
 الحكم بن عبد الرحمن المستنصر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٣٧
 الحكم بن هشام ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١
 حمدون بن فطيس ٨٥
 حميدة بنت معاوية بن صالح ٥٥
 حنظلة بن صفوان الكلى ٤٨
 خالد بن سعد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤
 خالد بن سعيد بن سليمان ٥٥
 خلة ٥٧
 ربيع (القومس) ٩٠
 رحيم بن اليتيم ١٣٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد صلى الله عليه وسلم

الرعيني = أحمد بن عبادة الرعيني

زرياب ٣٠ ، ٣١

زونان = عبد الملك بن زونان

زياد بن عبد الرحمن ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢

زياد بن محمد بن زياد ٣٦ ، ١٨٢

زيد بن الحباب العكلى بن الحسين ٥٢

زيد الغافقى ١٤٤ ، ١٤٥

سحنون بن سعيد ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣

سعاد ٥٧

سعد بن معاذ الشعبانى ١٢١ ، ٢١٤

سعدون بن ناصر بن قيس ١٣٧

سعيد بن حسان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٤٠

سعيد الخير بن عبد الرحمن ٥٥

سعيد بن سليمان ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٥

سفر ٥٣

سفيان الثورى ٥٠

سفيان بن عيينة ٥٠

سليمان بن بنت سليمان بن أسود ١٥٦

سليمان بن سعيد ١٣٥

سليمان بن سليمان بن هاشم المعافرى ١٥٥

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

سليمان بن عمران ١٥١ ، ٢٢٢

سليمان بن محمد بن أبى ربيع ١٩٦

السيدة بنت عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

الشافعى ٤٤

الشقاق = أصبغ بن عيسى الشقاق

الشقاق (بغلة) ٨٢

السياد ١٩٩

العباس بن عبد الله المروانى ٦٨ ، ٧٣

عبد الرحمن بن أبي عبدة ٩٥
 عبد الأعلى بن وهب ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن بقي ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩
 عبد الرحمن بن الحكم ٣٠ ، ٣١ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٨٣
 عبد الرحمن بن طريف ٦٤
 عبد الرحمن بن عقبة اللخمي ٤٨
 عبد الرحمن بن القاسم ٩٣
 عبد الرحمن بن محمد الناصر ٢٥
 عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٨ ، ١٢٢
 عبد الرحمن بن مهدي ٥٣
 عبد الكريم بن عبد الواحد ٩٥
 عبد الله بن خالد ١٦٦
 عبد الله بن الزجالي = عبد الله بن محمد الزجالي
 عبد الله بن الفرغ النميري ١٤٦
 عبد الله بن القاسم ١٩٤ ، ١٩٥
 عبد الله بن محمد بن أبي عبدة ٣٦
 عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج ٥٧
 عبد الله بن محمد الزجالي ١٨٧ ، ٢٠٢
 عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ١٣٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٤
 عبد الله بن محمد بن علي اللواتي ٢٣٩
 عبد الله بن يونس ١٦٨ ، ١٨٢
 عبد الملك ٧٦
 عبد الملك بن ابان بن معاوية بن هشام ٧٦
 عبد الملك بن أيمن ٩٨
 عبد الملك بن جهور أبو مروان ١٦٣
 عبد الملك بن حبيب أبو مروان ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الملك بن حسن ٧٢ ، ٨٦

عبد الملك بن زونان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٧ ،
عبد الملك بن قطن الفهرى ٤٨
عبد الملك بن مغيث ٩١
عبد الملك بن العباس القرشى ١٦٣
عبد الملك بن عمر المروانى ٧٢
عبد الله بن عبد الله ٥٢
عبيد الله بن عبد العزيز ١٥٨
عبيد الله بن يحيى أبو مروان ٢٨ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٣
عثمان بن سعيد الزاهد ١٠٨ - ١١٤
عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ١٠٥ ، ١٠٦
عثمان بن عفان ٣٣ ، ٢١٢
عثمان بن محمد ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٩
العجيزة = ابن شراحيل العجيزة
عقبة بن الحجاج السلولى ٢٨ ، ٣٩
على ٥٤
على بن أبى طالب ٢٩ ، ١٣١
عمارة ٩٥ ، ٩٦
عمران بن شفى ٦٧
عمر بن أحمد بن يوسف المقدسى ٢٢٩
عمر بن الخطاب ٣٣
عمر بن عبد العزيز ٤٧
عمر بن يحيى بن لبابة ٢٠٦
عيسى بن بكر المعلم ٥٦
عيسى الزاهد ٥٨
عيسى بن فطيس ١٤٧
غراب ١٢٩
فرج بن سلامة بن زهير البلوى ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥
الفهرى = يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

قاسم بن أصبغ البلياني أبو محمد ٣٦ ، ١٨٠
 قاسم بن هلال ٨٣ ، ٨٤
 القسام = بكر بن حماد القسام
 القيم = محمد بن بزيع القيم
 اللواتي = عبد الله بن محمد بن علي اللواتي
 اللواتي = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي
 الليث بن سعد ٥٠ ، ٧٢ ، ١٢٩
 مالك بن أنس ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧
 محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٣٩
 محمد بن ابراهيم بن الجباب ٦٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٨
 محمد بن أحمد بن أبي خيثمة ٥١
 محمد بن أحمد الشيباني ٧٩
 محمد بن أحمد بن عبد الملك (ابن الزراد) ١٠٢
 محمد بن أحمد العتبي ١٣٩
 محمد بن الأغلب التميمي ١٣٦
 محمد بن أمية ٢٠٣ ، ٢٠٤
 محمد بن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن
 محمد بن بزيع القيم ١٦٢
 محمد بن جهور ١٦٤
 محمد بن حارث الخشني أبو عبد الله ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
 ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ،
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،
 ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣

، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٤
، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٧ ، ١٩٣ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨
، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ١١٣ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٤
، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٩

محمد بن حفص ٩٤

محمد بن خالد ٨٤

محمد بن سعيد ١١٥ ، ١٤١

محمد بن سعيد بن سليمان ١٤١

محمد بن السليم ١٣٢

محمد بن صالح ٥٨

محمد بن عبد الأعلى ٨٢

محمد بن عبد البر ٢١٧

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ،
، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،
١٧٠ ، ١٧٣ ، ٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠

محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ١٢٨ ، ١٢٩

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ٢١٢ ، ٢١٣

محمد بن عبد الله بن القوق ٨٦

محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله ٥١ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١١٣ ،
، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣

محمد بن عمران الطلحي ٧٢

محمد بن عمر أبو سعيد ٦٢

محمد بن عمر بن عبد العزيز ٥٤ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٦٢

محمد بن عمر بن لبابة ٥٦ ، ، ٥٧ ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ،
، ١٦٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢١٦

محمد بن عيسى الأعشى ٨٠ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١

محمد بن غالب بن الصقار ٢٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٨

محمد بن فطيس ٣٤ ، ٧٦
محمد بن قاسم ١٦٢
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي (ابن بطوطة) ٢٣٩
محمد بن مسور ١٨٥ ، ١٨٨
محمد بن موسى ١٦٤
محمد بن هاشم الزاهد ١٩٣
محمد بن هشام ٥٨
محمد بن وضاح أبو عبد الله ٣١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ،
٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٧
محمد بن وليد ١٥٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥
محمد بن يوسف بن مطروح ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٩
مرة بن دسم ١٠٥
مروان بن عبد الملك الفخار أبو عبد الملك = أبو عبد الملك مروان بن عبد
الملك الفخار
ميلمة بن زرعة بن روح أبو محمد ٤٤ ، ٤٦
المسيح بن مريم (عليه السلام) ١٢٢
معاوية بن صالح الحضرمي ١٢٨
المنذر بن محمد ٣٣ ، ٣٥ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥
موسى بن حديد = موسى بن محمد بن حديد
موسى بن سماعة ٨٧
موسى بن محمد بن حديد ٣٦ ، ١١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠
الموفق ٢٤
مؤمن بن سعيد الشاعر ١٤٩ ، ١٥١
ناصر بن قيس ١٣٧ ، ١٣٨
نصر الفتى ١٣٩
النميري = عبد الله بن فرج النميري
هاشم بن رزين ١٦٤
هاشم بن عبد العزيز أبو خالد ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

هشام بن عبد الملك ٦٧

وليد بن ابراهيم بن لبيب أبو العباس ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٧٥

يحيى ١٢٧

يحيى بن اسحاق ٢٣٠

يحيى بن زكريا ٣١ ، ٩٠ ، ١٥٧

يحيى بن سعيد القطان ٥٠ ، ٥٣

يحيى بن معين ٥٠

يحيى بن يزيد بن هشام ٤٩

يحيى بن يوسف بن يحيى المعافري ٧٦

يوسف بن بسيل ١٦٣

يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٧

يوسف الفهرى = يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

يونس بن عبد الأعلى ٢١٢

يونس بن متى ١٢٢

(٣) فهرست القبائل

- آل الفرج بن كنانة ٩٤
أهل اشبيلية ١٠٣ ، ١٦٤
أهل باجة ٦١
أهل جيان ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥
أهل حمص ٥١
أهل الشام ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
أهل شذنة ١٠١
أهل العراق ٥١
أهل قرطبة ٩٤ ، ١١٣
بنو اسرائيل ١٨٥
بنو الأغلب ٤٣
بنو أمية ٤٤ ، ٢١٣
بنو حاطب بن أبي بلتعة ٦٧
بنو زياد ١٨٣
بنو شهيد ١٨٩
بنو العباس ١١٧ ، ١٢٠
بنو قتيبة ١٢٧
بنو موسى ١٠٠
الشيعة ٤٣
العرب ٩٥ ، ٩٦ ، ١٤٦
عرب الشام ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣
عكل ٥٢
قريش ١٨٣
كنانة ٩٣

(٤) فهرست الأماكن

- أربونة ٣٨ ، ٩١
أستجه ٦٣ ، ٨٩ ، ١٤٦
أسترقه ٩٥
الاسكندرية ١٣٦
أشبيلية ٥٠ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٦٤ ، ٢١٥
أفريقية ٤٨ ، ١٣٦
البيره ١٣٣ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
الأندلس ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٦ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٢
باب العطارين ١٥٧
باب القنطرة ١٤٢
باب اليهود ١٤٠
باجة ٦١ ، ٧٣
بازو ٦٧
باغة ١٥٧
بريل ١١٧
تنس ٣٨
تونس ٨٠
جامع الزهراء ٢٢٧
جليقية ٩٥
جيان ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ،
١٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤
حمص ٥٠ ، ٦٧
دمشق ١٣٥
الربض ٥٨

الرملة ١٣٥
ريه ١٨٣
سرقسطة ٥٤
الشام ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٣٥
شبلاد ٥٤
شدونة ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٦٣ ، ١٨٦
طليطلة ٢٣٤
العراق ٥١ ، ٥٢
العريش ٤٤
غافق ١٣٥ ، ١٥٥
غليار ٦٧
فحص البلوط ١٢٧ ، ١٥٥
فلسطين ١٠٠
قبرة ١٨٦
قرطبة ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦١ ،
٦٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ،
١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢٣٢ ،
٢٣٩
قلعة الأشعث ١٢١
قنسرين ١٢١
القيروان ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ٢١٢
لبلة ٢١٥
ماردة ٤٨ ، ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
المدور ٦٧ ، ١١٤
المدينة ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٦
مسجد ابي عثمان ٧٦ ، ١٤٨
المسجد الحرام ٥٣
مسجد قرطبة ٥٥

المصاره ٣٢

مصر ٥٤ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣ ، ٢١٢

مفرانة (حارة) ١٠٣

المغرب ٢٤

مقبرة الربض ٦٧ ، ١١٠

منية الرصافة ٤٩

(٥) فهرست الشعراء

الغزال ١٣٦

مؤمن بن سعيد ١٧١ ، ١٧٢

(٦) فهرست القوافي

الصفحة	البحر	القافية
١٨١	بسيط	غياب
١٢١	طويل	يخامرا
١٧١	طويل	يزرى
١٢٦	طويل	الفضل
٧٤	بسيط	عملا
١٢٢	طويل	مريما

(٧) فهرست الكتب

تاريخ أحمد بن أبي خيثمة ٥١
الموطأ لمالك بن أنس ٨٦

(٨) فهرست المراجع

أخبار مجموعة
الأنساب للسمعاني
تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية
تذكرة الحفاظ للذهبي
التكملة لابن الأبار
تهذيب التهذيب لابن حجر
جذوة المقتبس للحميدي
جمهرة أنساب العرب لابن حزم
الخلاصة في أسماء الرجال للخزرجي
صفة جزيرة الأندلس
قضاة الأندلس للنباهي
معجم البلدان لياقوت
المغرب في حلى المغرب لابن سعيد
ميزان الاعتدال للذهبي

(٩) الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الكعبي	الكلبي	٤٨	١٠
بحدير بن	بحدير ، ابن	٤٩	٥
ابنه	ابنة	١٤٦	٤
سليمان بن سود	سليمان بن أسود	١٣٥	٨
خالد بن	خالد ، ابن	١٥٥	٦
فرج بن سلمة	فرج بن سلامة	١٥٦	١٤
بن انتنيان	ابن انتنيان	١٦٠	٧
محمد (بالتنوين)	محمد (من غير تنوين)	١٦٢	٣
أحمد بن أبي خالد	أحمد بن خالد	١٦٥	١٩
نضحى	تضحى	١٧٤	٨
نمسي	تمسي	١٧٤	٨
ابن الربيع	ابن أبي ربيع	١٩٦	١٠
محمد بن عمر لبابه	محمد بن عمر بن لبابة	٢٠٧	٢
أحمد ابن	أحمد بن	٢١١	٩
عبد الله ابن	عبد الله بن	٢١٢	١١ ، ٤
ابن جدير	بن حدير	٢٢٢	١٧
يحيى ابن	يحيى بن	٢٣٠	١١